

المراهنة على
الزمن في الفكر
الإسرائيلي

العقبة الإسلامية

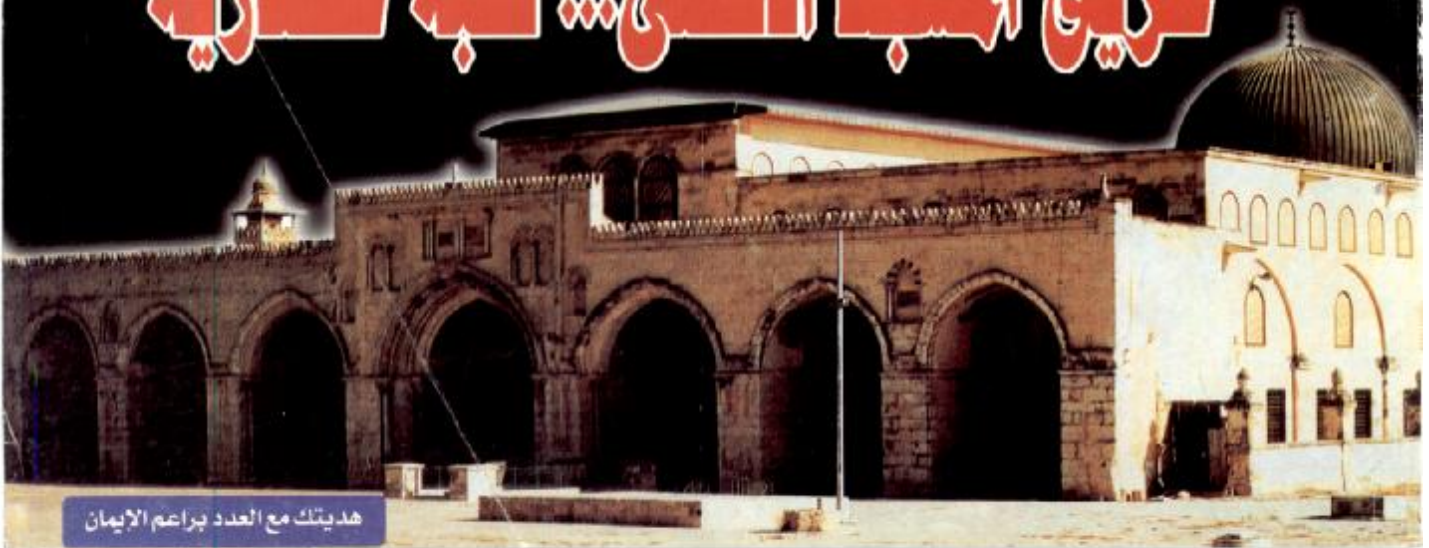
شهرية جامعة
al-Waer al-Islami

العدد ٤٠٦ - السنة السادسة والثلاثون - جمادى الآخرة ١٤٢٠ هـ - سبتمبر / أكتوبر ١٩٩٩

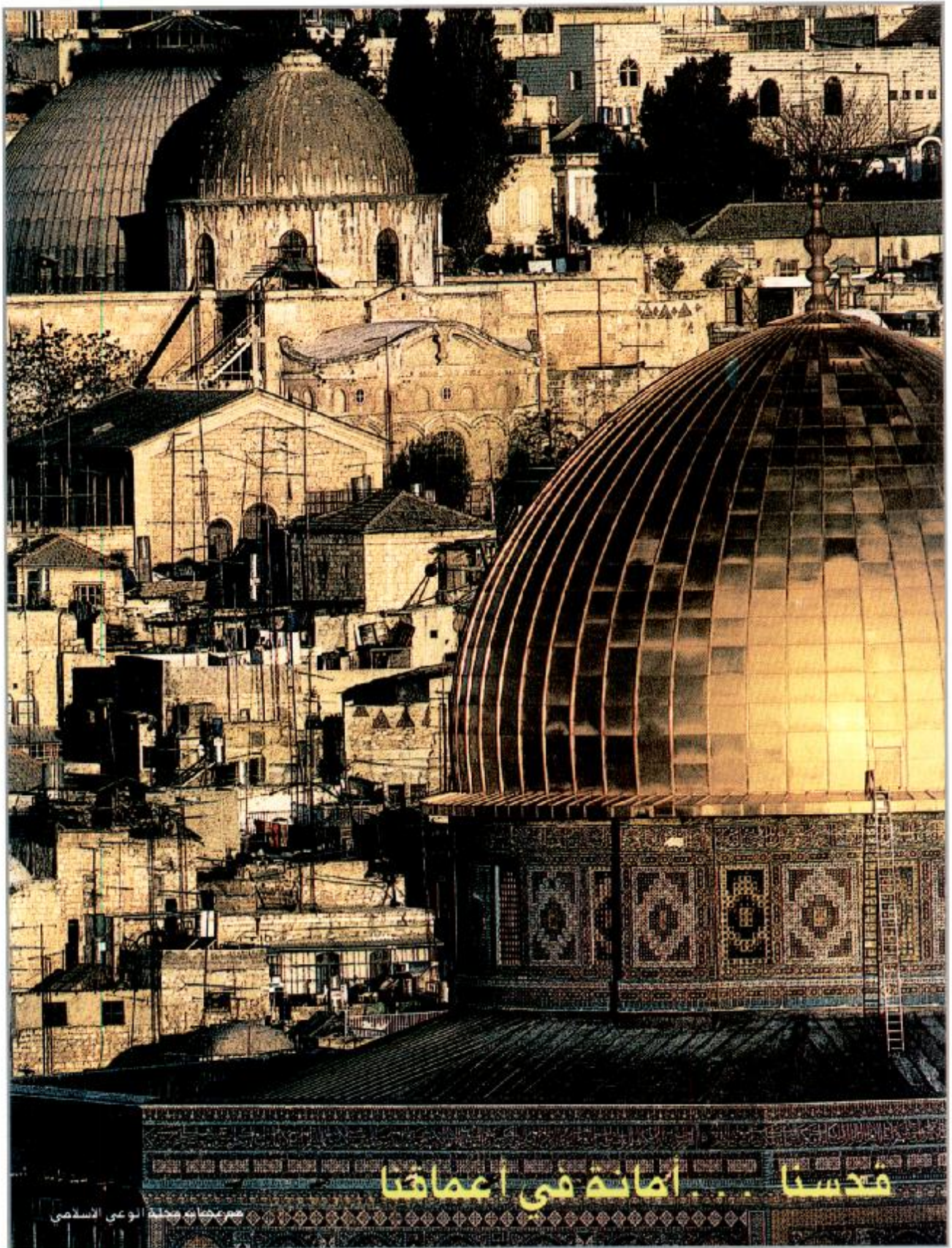
الانقلاب الكوني



حريق المسجد الأقصى... نكبة حضارية



هديتك مع العدد براءع الإيمان



قدسنا... امانة في اعناقنا

معهم جوارحهم مجلة الوعي الاسلامي

المشرف الإداري والمالي
ADMN. & FINANCE DIRECTOR

خالد عبداللطيف بوقماز

KHALED A. BUQAMMAZ

الإشراف الفني
ART DESIGNER

صالح محمد صالح

SALEH M. SALEH

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR

د. صالح أحمد الراشد

Dr. SALEH A. AL-RASHED

سكرتير التحرير
EDITORIAL SECRETARY

والل أحمد الهنيدي

WAEI A. AL-HUNAIIDI

العهد الإسلامي

إسلامية • شريعة • جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The
Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد 406. السنة الخامسة والثلاثون - جمادى الآخرة 1420 هـ - سبتمبر / أكتوبر 1999 م

المراسلات

المراسلات بكافة باسم رئيس التحرير

مجلة الوعي الإسلامي

ص.ب. ٣٣٦٦٧ - الصفاة. 13097. الكويت

هاتف ٥٣٤٨٩٧٦ (٩٦٥) فاكس ٥٣٤٨٩٥٤ (٩٦٥)

al-Waei al-Islami

P.O. BOX 23667 SAFAT

13097 KUWAIT

TEL. 965 5348976 FAX 965 5348954

e.mail: al_waei@hotmail.com

Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet

الإشتراكات

- داخل الكويت :
- للأفراد ٥ دنانير - للمؤسسات ١٠ دنانير كويتية
- الدول العربية :
- للأفراد ٦ دنانير كويتية (أو مايعادلها) .
- دول العالم :
- للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو مايعادلها) .
- للمؤسسات :
- ٢٠ ديناراً كويتياً (أو مايعادلها) .

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى
إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الإسلامي
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة
تتلقاها للنشر والمقالات لا تعبر
بالضرورة عن رأي الوزارة

مطابع السياسة - الكويت

الوعي الإسلامي

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف هاتف ٤٨١٦٨٨٤/٥ / ٤٨٣٥٠٤٧ / ص.ب. ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت - برقيا نيوزبيبر

كلمة المحرر

منظومتنا الحضارية

أعزائنا القراء: يشهد العالم المعاصر متغيرات متسارعة وإنجازات مادية عظيمة وتسابق كبير للحاق بركب الحضارة الغربية التي ركزت في منطلقاتها وأهدافها وغاياتها على تنمية الجانب المادي للإنسان وأهملت الجانب الروحي مما أوقعها في أزمة حقيقية نتاجها ما نراه اليوم من فتن وحرروب وأمراض اجتماعية وبدنية وقلق وجشع وطمع وأنانية ونهاقت على تحقيق المصالح الآنية.

لقد حاولنا في هذا العدد التركيز على الجانب الحضاري لديننا الإسلامي العظيم، القائم على التعاون والحوار والتعايش دون فقدان الخصوصية المتميزة الجامعة بين الروحانية والمادية في منظومة حضارية رائعة تستهدف بني الإنسان وتخاطبهم أينما كانوا (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) إنها موازنة مطلوب من المسلمين أن ينتهجوها في نهضتهم الحضارية المعاصرة حتى يعودوا كما كانوا وكما أراد الله لهم خير أمة أخرجت للناس يأمرين بالمعروف وينهون عن المنكر.

الأسعار

الكويت : ٣٥٠ فلساً . السعودية : ٤ ريالاً . البحرين : ٣٠٠ فلساً . قطر : ٤ ريالاً . الإمارات : ٤ دراهم . سلطنة عمان : ٣٠٠ فلساً . الأردن : ٥٠٠ فلساً . مصر : جنيه واحد . السودان : ٥ جنيهات . موريتانيا : ٢٠ أوقية . تونس : دينار واحد . الجزائر : ٥ دنانير . اليمن : ٥ ريالاً . لبنان : ١٠٠٠ ليرة - سوريا : ٢٠٠ ليرة - المغرب : ٦ دراهم . ليبيا : ٥٠٠ مليون . أوروبا : جنيهه استرليني واحد أو مايعادله . أمريكا وبقية دول العالم الأخرى : دولاران أو مايعادلها .

التحرير	كلمة العدد/ منظومتنا الحضارية	٣
رئيس التحرير	الافتتاحية/ حريق المسجد الأقصى نكبة حضارية	٥
التحرير	بريد القراء	٦
وائل الهندي	حدث في مثل هذا الشهر	٨
تمام أحمد	وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية كرمت الفائزين	١٠
	بمسابقة البحث والشعر والخط العربي	
تمام أحمد	كوارث/ زلزال مدمر يضرب تركيا	١٢
د. رفیق الحلبي	في القضية الفلسطينية / المراهنة على الزمن	١٤
	في الفكر الإسرائيلي	
محمود النجدي	قضايا فقهية/ أسس التقريب بين المذاهب الفقهية	١٩
غازي التوبة	قضايا فكرية/ عن التصادم بين الثقافتين الغربية والإسلامية	٢٢
	والإسلامية	
محمود محمد أحمد	شعر/ المثال الفريد	٢٤
محمد تور سويد	دراسات قرآنية/ كيف تتجدد المعاني القرآنية؟ ٢/١	٢٦
حيدر فقة	إعلام/ الرأي العام وأثره في المجتمع	٣١
أحمد محمد عبد العظيم	حوار/ الفكر الإسلامي د. عبد الحليم عويس	٣٤
د. محمد بلاسي	تيارات هدامة/ العلمانية خطر على الأمة الإسلامية	٣٧
د. خالد جليبي	دراسات تاريخية/ الانقلاب الكوني	٤٠
د. حسن عزوزي	حضارة/ من أجل تكريس مفهوم تعارف الحضارات	٤٤
عطية فتحي الويشي	ما تنتجتون وقضية التزاوج الحضاري	٤٦
مصطفى محمد طه	رؤية توينبي لمستقبل الحضارة الإسلامية	٤٨
أحمد عبد الوكيل صافي	الحاسوب بين الأمية والحضارة	٥٢
د. أحمد كريمة	فقه/ الفقه الإسلامي وعبث الجترئين	٥٤
محمد يوسف الجاهوش	تاريخ/ رجال ومواقف	٥٦
د. أحمد محمد سالم	قراءة في كتاب/ هموم الأمة الإسلامية	٥٨
	للدكتور محمود حمدي وقزوق	
محمد علي وهبة	قصص/ نائب إلى الله	٦٢
حواس محمود	شخصيات/ مالك بن نبي مفكر إسلامي	٦٤
د. حمد الرشيد	البيت المسلم/ الإسلام والتربية الأسرية	٦٨
عبدالرزاق زعال	أثر البيئة في تربية الطفل	٧٢
د. زيد الرماني	وقفات من اقتصاد البيت المسلم	٧٤
د. رضوان أحمد بيطار	الاضطرابات الهضمية عند الأطفال	٧٦
منى السعيد الشريف	عفواً سيدي الرجل	٧٩
د. حسن أبو غدة	مفاهيم تخص المرأة	٨٠
أشرف سعد	لغة الطفل كيف نفهمها؟	٨٢
د. كارم السيد غنيم	علوم/ فصل المقال في حركة الجبال	٨٣
عبدالمعزم أحمد	ترجمات/ الإسلام انتشر في روسيا قبل قرن من اغتناقها المسيحية	٨٦
محمد هاني	ثمرات الفكر	٨٨
التحرير	نافذة على العالم	٩٠
أحمد عبد الجبار	حديقة الوعي	٩٤
إدارة الإفتاء	الفتاوى	٩٦
علي مدني رضوان	المرسى/ القوة ... القوة	٩٨

في القضية الفلسطينية

المراهنة على الزمن في الفكر الإسرائيلي



الزمن قيمة حياتية كبيرة، وقاسم مشترك لدى جميع الأفراد والشعوب، والإسرائيليون راهنوا ويраهنون على الزمن لتحقيق مصالح أفضل وهم أول من عرفوا الأجل النسبي، وراهنوا عليه

فكر 22

عن التصادم بين الثقافتين الغربية والإسلامية

أبرز صور التصادم بين الثقافتين الغربية والإسلامية كانت بين نسبية الحقيقة في الثقافة الغربية وبين النص القطعي الثابت الدلالة في الثقافة الإسلامية.

علوم 83

فصل المقال في حركة الجبال

الجبال مكونات أرضية تتحرك بحركة كوكب الأرض في الفضاء وهي محمولة على الأرض وتتحرك بحركتها لأن الجزء لا بد أن يتبع الكل الذي ينتمي إليه ترى كيف تتحرك الجبال؟

ابواب تابة

حدث في هذا الشهر سرايا رسول الله ﷺ 8

ثمرات الفكر من اتفاق أو سلو إلى الدولة ثنائية القومية 83

نافذة على العالم شبكة إسلامية على الإنترنت دشنتها وزارة الأوقاف القطرية 90

حريق المسجد الأقصى... نكبة حضارية

يوم السبت الموافق ٢١/٨/١٩٩٩م مرت الذكرى الثلاثون على حريق المسجد الأقصى أولى القبلتين، وثالث الحرمين، والمتأمل في هذا الحدث الكبير تبرز له جملة علامات في حياة المسلمين ومستقبلهم، وهي الفكر الإنساني على العموم، إذ إن أبرز ما يمكن أن يُقال في حريق المسجد الأقصى في جانب الفكر الإنساني أنه نكبة حضارية بكل ما تحمل تلك الكلمة من معنى، ذلك أن الحضارة تعني الرقي والتقدم وهي في المفهوم الإسلامي أبعد أثرًا باعتبار أن التقدم لا يقتصر على علوم المادة وإنما كذلك الرقي في السلوك والأداب ومن هذا المنطلق فإن حريق المسجد الأقصى هدر لكل المعاني والقيم الحضارية التي تسمو بالإنسان إلى الأفضل وإلى الحياة السعيدة الطيبة بالذات إذا ما اعتمدنا نظرة الإسلام الحنيف ونظرة احترام الأديان بشكل عام، فهذا الاعتداء على أماكن العبادة والمقدسات يعتبر خروجاً على مفاهيم الحضارة، لذا يمكننا بكل ثقة أن نطلق على هذا الحدث الخطير بأنه نكبة حضارية، وأي نكبة تلك التي تم فيها التهجم على معلم مقدس لدى الأديان السماوية كافة!!

وإذا ما نظرنا إلى أثر هذا الحدث في حياة المسلمين، فإنه مما لا شك فيه أن النكبات والأزمات والكوارث تجمع الناس ولا تفرقهم، ومثل هذا الحدث أدانته واستنكرته كل الهيئات العالمية لحقوق الإنسان، وعقدت على إثره مؤتمرات وندوات وشجب واستنكار، إلا أن الشيء الأكثر أهمية في حياة المسلمين ومستقبلهم هو ألا يعيشوا ردة الفعل وحسب وإنما المهم تبني خطوات فاعلة وجادة للوقوف ضد المنهج الصهيوني في التعامل مع المقدسات الإسلامية والذي يدل على أن صراعهم هو صراع حضاري عقائدي وصراع وجود ومصير وليس صراع نزاع أو حدود، ولعلنا نلمس ذلك بعد مضي ثلاثة عقود من الزمن على حريق المسجد الأقصى حيث استمرت الاعتداءات الصهيونية على المقدسات الإسلامية متحدية مشاعر المسلمين، بل المجتمع الدولي كله، بينما أوضاع العرب والمسلمين مازالت ما بين تقدم وتأخر إن لم يكن غالباً هي إلى التأخر أكثر، بدليل أنها فقدت دورها الإيجابي الفاعل على الساحة العالمية، والأمة التي لا تحترم نفسها لا يمكن أن تحترمها الأمم الأخرى أو تحسب لها أي حساب لكن عزاءنا أن أمة المسلمين كافة التي قال فيها رسولها الكريم صلى الله عليه وسلم: «الخير فيّ وفي أمّتي إلى يوم القيامة، الحديث، تجعلنا في تفاؤل وأمل إلى أن مثل هذا الحدث وما تبعه من مسلسلات عدوانية يجب أن يدفعنا لمزيد من الترابط والتكاتف والتوعي بالمستقبل المنشود لخير المسلمين، بحيث نكون أكثر حذراً لما يخطط له الأعداء والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون. ■

رئيس التحرير

الافتتاحية



ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها ما يتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

هيا بنا نغترب!

لكانه جاء من كوكب آخر ينال منهم السخرية والاستهزاء، فيجني الالم والمعاناة... ولكن ماذا يضيره ومعلمه يقول: «يأتي زمان على امتي القابض فيه على دينه كالقابض على جمره، وأظنه والله هذا الزمان... وأظن أيضاً أن هذه هي أيام عودة الإسلام غريباً أيضاً... ولكننا والله لن نبالي بالجمر ولن نتخلى عن غريبتنا أيضاً والتي تمنحنا التميز... تميز الفكر والسلوك، وسنكون كما أوصانا صاحب الرسالة حين قال: «كونوا كالشامة بين الناس»، وسننظر إلى غيرنا من عل بقدر علو المنهج الذي تتبعه ولن نشعر بوحشة مطلقاً... فأي وحشة تلك ونحن في رحاب الحق وجنتنا في صدورنا.. تلك هي غريبتنا وهذا هو حال غريبتنا فهو ليس الذي فارق الديار وودع الامل والخلان ولكنه من يجد والناس من حوله يلعبون، ويصحو والناس من حوله ينامون، ويسك درب الخير والناس في ضلالهم يتخبطون، وصوق الشاعر إذ يقول:

قال لي صاحب أراك غريباً

بين هذا الأنام دون خليل

قلت كلا بل الأنام غريب

أنا في عالمي وهذي سبيلي

هذا هو الغريب غريب عند العابثين من البشر ولكنه عند ربه في مقام كريم.

عمره أحمد عطا الله شموخ - مصر

وهي دعوة أوجهها إلى كل من يكره أن يعيش إمعة في زمن التزاحم على كل شيء، وينشد التميز ولو صار به غريباً... والغربة التي أعنيها ليست كالتي أخذت بعض كتابنا ومثقفينا ولم ترجعهم إلى الآن حتى أقلامهم أخذوها منهم وأعطوهم أخرى غيرها ملونة تناسب كل مقام وكل مقال. كلا يا رفاق ليست كهذه مطلقاً ولكنها غربة من نوع خاص مستوحاة من حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء»... فهي غربة السلوك الإسلامي في المجتمعات الفاسدة.. وغربة السمعة الإسلامي حيث التميع المظهري وغربة الهوية الإسلامية حيث المسخ... نعم المسخ والذي يجب أن نقف عنده لحظة لخطورته اللومسة في عصب أمتنا...

وذلك لأن كثيراً من شبابنا قد أعجبهم حياة الغرب حيث التحرر والاتحلال فأرادوا تقليدها والسير في ركابها ولكنهم للأسف... أصبحوا كالطائر الذي أعجبه مشية الطاووس فأراد أن يحاكيها ويمشي مثلها... ولكنه بعد فترة وجد أنه لم يستطع محاكاتها في الوقت نفسه الذي كان قد نسى فيه مشيته الأصلية فأصبح مسخاً بلا هوية... هذا هو حال عدد غير قليل من شبابنا حتى أصبح الشاب المتمسك بدينه بينهم يبدو غريباً أو

فن إنشاد الشعر

إن روح الشعر التي يحيها بها، ويموت من دونها هي إنشاده، والإنشاد يحتاج إلى فنان موهوب، فكم من شعر قوي رصين تنفر منه النفوس، وتمجج الأسماع بسبب الإنشاد الميت، والإلقاء الضعيف ومعظم الشعراء موهوبون في فن الإنشاد لأن الشاعر يلقي القصيدة ويؤيدها أداءً جميلاً ممتعاً، لأن هذا شعره نبع من بين

جوانحه وخلقه خالجه نفسه فقرأه عند الإنشاد يرفع الصوت في المواضيع التي تقتضي رفعه، ويخفضه في المواضيع التي تتطلب خفضه، فيفرق بنبرات صوته بين مواقف الفرح ومواقف الحزن، فللعتاب صوته وبنبراته، وكذا الحنين فبالإنشاد يستطيع المنشد أن يسيطر على عواطف السامعين فإذا هم معه يعيشون في عالمه يتفاعلون بما به يتفاعل، فيطربون لما به يطرب، ويحزنون لما به يحزن فترى الجمع في فرد، والكل في واحد، فلا عجب إذا قلنا إن شاعراً

أيقظ أمة، ويعد مجتمعاً.

وما يحزن أنه في وقتنا الحالي مات الإنشاد في مدارسنا، فمات الشعر ناهيك عن أن دراسة النصوص الشعرية في مدارسنا دراسة ميتة تنفر الطلاب ولولا رغبتهم في النجاح والحصول على شهادة علمية ما أقبلوا عليها يحفظونها أو يدرسونها مكرهين، وبعد اجتياز الامتحان لا يبقى في ذاكرتهم منها شيء، لكل هذا يجب علينا أن نهتم بإنشاد الشعر حتى شعر بجماله وحلاوته.

محمد عباس محمد حمادي - مصر

ردود خاصة

أحياناً لا تتوفر لدينا بعض الأعداد لكن سنعمل بإذن الله على تأمين العددين ٣٨٥، ٤٠٠ وإرسالهما إليك في أقرب وقت ممكن ونود لغت انتباهك إلى أن رقم فاكس المجلة الجديد هو: (٥٣٤٨٩٥٤).

القارئ أحمد صدقي محمد حسن - مصر:

شكراً على ملاحظتك وقد بلغنا الجهة المسؤولة عن الخطأ لتلافي ذلك في المستقبل.

القارئ عبدالفتاح محمد الشناوي - مصر:

أعانكم الله ويمكنكم مراسلة إحدى الجمعيات الخيرية في بلدكم أو في الكويت للحصول على المساعدة المطلوبة.

الأخ محمد الصالح بن عمر عزيز - تونس:

الأخ الحسن بو طاهيري - هولندا:

وصلت رسالتكم وسنعمل على تعديل العنوان بإذن الله كما سنرسل لكم العدد المفقود لديكم جزاكم الله كل خير.

الأخ د. محمد ضياء الحق - باكستان:

سنرسل لكم العدد ٣٩٦ والذي نشرت فيه مقالكم.

تصحيح

إملاق نحن نوزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأ كبيراً) الإسراء: ٢٦، وقوله تعالى: (قل تعالوا آتوا ما حرم ربكم عليكم إلا تشركوا بالله شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نوزقكم وإياهم) الانعام: ١٥١، والمتأمل يجد أن المعنى هنا مختلف تمام الاختلاف وصدق الله إذ يقول: (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات. فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم وما يذكر إلا ألوا الأكياب) آل عمران: ٦. ومع ذلك نجد المقال يشبه بعض آيات القرآن الكريم بالأمثلة الشعبية الدارجة هذه الأيام كما ورد في الصفحة ٤٩ حين شبه قوله تعالى: (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) بالمثل القائل من جهل شيء عاده وقوله تعالى: (والذين إذا انفقتوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً) شبه ذلك بالمثل القائل خير الأمور أوسطها كما يذكر المقال في نهايته أن القرآن الكريم يعيد إلى التكرار في بعض آياته للتأثير ويشبه هذا بأصحاب الدعايات في عصرنا الراهن التي تعمد إلى التكرار لكي تكون مؤثرة فإني لنا أن تشبه القرآن الكريم بأعمال الدعايات المتكررة مثل الدعاية عن شامبو أو نوع من الصابون أو خلافة لا يجوز أن تشبه كلام الله بكلام البشر ولو كان القرآن كذلك لملت الأذان من سماعه إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمشر وإن أسفله لغدق وهو يعلى ولا يعلى عليه، ينبغي إذا أردنا أن نستدل بمثل من القرآن أن نقول والله المثل الأعلى. لأن أمور الدين لا ينبغي الخوض فيها إلا عن دراية كاملة وإن الخوض فيها دون وعي كافر كمن يجري عمليات جراحية وليس متخصصاً في علوم الطب.

بهذا أردت الإشارة ولا شك أن النوايا حسنة إن شاء الله. أسأل الله أن يهدينا إلى ما فيه خير الإسلام والمسلمين ■

د. محمد حامد المسيري

أستاذ اللغة القارئ - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

نتقرب دائماً ظهور العدد الجديد من مجلة الوعي الإسلامي، حيث اعتدنا منها أن تزودنا بالموضوعات القيمة ونحصل على جرعة دسمة من المعلومات المفيدة بكل عدد جديد منها، ولقد لفت نظري عنوان مقال: «الأثار النفسية لأسلوب القرآن الكريم المنشور بالعدد ٤٠٠ ذو الحجة ١٤١٩هـ على الصفحات ٤٨، ٤٩، وبعد مطالعة الموضوع والوقوف على محتواه اعتراني إعجاب وخيبة أمل ذلك لأن الكاتب قد جانب التوفيق حينما شبه آيات القرآن الكريم ببعض التشبيهات غير الصحيحة والتي لا تليق بكتاب الله إذ يقول إن القرآن جمع بين الشعر والنثر ونذكره بقول الحق تبارك وتعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا نثر وقرآن مبين) (يس: آية ٦٩)، ثم يسترسل المقال قائلاً إن ما في القرآن من سجع يشبه السجع الذي برع فيه العرب ونقول إنه لا يمكن لبشر أن يأتي بآية واحدة من كتاب الله وذلك هو سر إعجاز القرآن وصدق الله إذ يقول: (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبينا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهدائكم من دون الله إن كنتم صادقين. فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) البقرة: ٢٤، كما جاء في قوله تعالى: (قل إن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) الإسراء: ٨٨، كما ورد عن القرآن قول الحق تبارك وتعالى: (قل أوحى إليّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجياً يهدي إلى الرشد فأمنا به) الجن: ١، ٢. كما يقرر المقال أن القرآن فيه تكرر وتشابه في آياته لتثبيت المعنى، والمعروف أن كل آية نزلت في القرآن لتعالج قضية معينة وفي مناسبة محددة بكل حرف من حروف القرآن له معنى خاص به وإن تشابه بعض الألفاظ كما في قوله تعالى: (ولانقلوا أولادكم خشية

تعقيب

قرات بعمق العدد رقم ٤٠٠ من مجلتنا الحضارية «الوعي الإسلامي»، ولغت انتباهي مقال (فاطمة وذريتها رضي الله عنهم) المنشور في زاوية «فضايا المرأة في الصحافة»، التي استمتعت بها كثيراً شأنها في ذلك شأن باقي موضوعات «الوعي الإسلامي» العميقة التي تقدم إسلامنا المخلد بشكل حضاري، ولا شك في أن المقال جيد ممتاز ويشهد بجهد كاتبه، ولكنني أستأذنكم في أن أضيف بعض الإضافات المتواضعة.

ورد في مقدمة المقال أن النبي ﷺ دعا الله في عرس سيدنا علي وابنته فاطمة - رضي الله عنهما - فقال: «اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في نسلهما» ثم ورد أنه ﷺ: «رش عليهما الماء من فيه الطاهر»، والقصة هي أن

الله شملكما وبارك لكما وبارك فيكما وبارك عليكما وأمر جدكما وأخرج منكما الكثير الطيب»، ورفقت فاطمة فانتقلت إلى بيت علي مع أم أيمن مولاة الرسول ﷺ، وكان النبي ﷺ قد أوصى أن ينتظراه حتى يحضر بعد العشاء فلما حضر قال لفاطمة: «انثني بماء»، فقامت تتعثر في حياء، فأنثته فودح فيه ماء فأخذ منه في فمه الشريف ثم سكب في الإناء وقال لها: «تقدسي» ففقدت، ففرش من الماء بين ثدييها وعلى رأسها وقال: «اللهم إنني أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم»، ثم قال لها: «ادبري» فادبرت، فصب من الماء بين كتفيها، وفعل ذلك مع علي وعودته ثم قال: «اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في نسلهما» ثم قال لعلي: «ادخل على أهلك باسم الله والبركة»، أسأل الله أن يلهمنا هدي نبينا ﷺ ويهدينا للتي هي أقوم، كما أشكر «الوعي الإسلامي» لأنها أفسحت لي صدرها ووقتها الثمين. ■

محمد محمود عبد الحميد فايز - أخصائي نفسي

جمادى الآخرة

الأمير، فأطاعه أبو عبيدة فكان يصلي عمرو بالناس. (٤)

ومنها أيضاً أن عمرا بن العاص رضي الله عنه منع الجيش من إيقاد النار وقد كانت تلك السرية في أيام باردة، وحاجة الجيش إلى النار لا تخفى على أحد، فلما علم بهذا المنع عمر بن الخطاب رضي الله عنه غضب وقال لأبي بكر الصديق رضي الله عنه: ألا ترى ما صنع بالناس... يمنعهم منافعهم؟ فقال له أبو بكر رضي الله عنه بلغة الواثق المطيع: دعه فإنما ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلمه بالحرب. (٥)، وتتضح شرة هذه الطاعة حين يعود الجيش إلى المدينة، فيسأل الرسول صلى الله عليه وسلم الجيش عن عمرو وصحابته، فيثنون عليه خيراً وأخبروه بأمر النار وما أمر به عمرو بن العاص رضي الله عنه، فسأله الرسول صلى الله عليه وسلم عن سبب منعه إيقاد النار، فقال عمرو: «كرهت أن أذن لهم أن يوقدوا ناراً فيرى عدوهم قلتهم، فحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره». (٦).

ومنها أيضاً أن عمرو بن العاص رضي الله عنه أصبح من ليلة جنباً، وكانت ليلة باردة شديدة البرودة، فغسل فرجه وتوضأ وصلى بالناس وكان اجتهداً منه في فهم الآية الكريمة: (ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً) النساء: ٢٩.

إذ إنه لما غلب على ظنه أنه قد يموت من شدة البرد يومئذ توضأ وصلى بالناس، وظن الناس أنه صلى بهم جنباً، ومع هذا الظن الذي اعتقدوه، تراهم قد سمعوا وأطاعوا ولم يتمرد منهم أحد، وما نقل أن أحداً منهم - ومنهم أبو بكر

رغبة في الإسلام وأن أكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بِعِماً بالمال الصالح للرجل الصالح» (٣).

ويتضح من هذا الحديث حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم في اختيار القادة، إذ بعث إلى عمرو بن العاص - رضي الله عنه - ولم يعلمه لِمَ طلبه، وأمره أن يهتم بلباسه ويأخذ سلاحه، فلما أتى كما أمره النبي صلى الله عليه وسلم نظر إليه نظرة القائد الفاحص المدقق، ثم عرض عليه أمانة الجيش ووعدته بالسلامة والغنيمة، وهنا يتضح إخلاصه رضي الله عنه، ليقول على الفور: ما أسلمت لاكسب مالا إنما أسلمت كي أكون معك.

وها هو ذا أمير على الجيش الذي فيه من كبار الصحابة ممن أسلموا في مكة قبل الهجرة، لا لأنهم أقل منه فضلاً أو رتبة، بل لأن الحرب تحتاج الدهاء وسرعة البديهة أكثر من احتياجها لأي شيء آخر متى انتظم الناس في ظل عبودية لله مخلصه وامثال الأمر نبيهم الكريم صلى الله عليه وسلم.

وتتضح هذه الحنكة وذلك الدهاء في عدد من أفعال عمرو بن العاص رضي الله عنه منها:

أنه حين اقترب من قبائل شمال الجزيرة ورأى جمعهم بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في مائتين من سراة المهاجرين وفيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهم أجمعين، فكان عدد الجيش بالإضافة إلى المدد خمسمائة... فلما أراد أبو عبيدة رضي الله عنه أن يؤم الناس قال له عمرو بن العاص رضي الله عنه: إنما قدمت عليّ مندأ وأنا

في مثل هذا الشهر نقف على نمط من أنماط السرايا التي كان يجهزها رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأهداف عدة، وجماع هذه الأهداف كلها هو القيام بواجب الدعوة إلى الله تبارك وتعالى.

تحدث في هذا الشهر عن سرية ذات نمط خاص، يكاد يميزها عن غيرها من السرايا منذ الهجرة النبوية أو - بشكل أدق - منذ فرض الجهاد القتالي.

كانت هذه السرية على إثر غزوة مؤتة التي حدثت في العام التاسع للهجرة، وقد وجهها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قبائل شمال الجزيرة من قضاة ولسى، والذين انضموا إلى جيش الروم لغزو المسلمين أيام مؤتة، فكانت هذه السرية تؤكد لقبائل شمال الجزيرة أنهم ليسوا بعيدين عن سيوف المسلمين إن هم عادوا لمثل ما فعلوا في وقوفهم مع الروم ضد المسلمين.

استعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابته، ثم اختار أحدهم، وقد كان عمرو بن العاص رضي الله عنه، الذي أسلم في أول سنة ثمان للهجرة (١).

وما إن أكمل سنة أو فوقها بقليل حتى أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش ذات السلاسل، وفيهم كبار المهاجرين والأنصار، يقول عمر بن العاص رضي الله عنه: «بعث إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «خذ عليك ثيابك وسلاحك، ثم انتني» فأتيته وهو يتوضأ فصعدني النظر، ثم طأطأ، فقال: «إني أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك من المال رغبة صالحة» (٢)، قال قلت يا رسول الله ما أسلمت من أجل المال ولكني أسلمت

وعمر وأبو عبيدة - قد صلى بمفرده، احتراماً لأمر رسول الله ﷺ «اسمعوا وأطيعوا...» وإيماناً بروح الاجتهاد، ذلك الباب الواسع الذي يغطي كل أبواب الحياة بشتى صورها وأفكارها ونظمها، بل كل ما استحدثته من نظم المدنية والعصرية، فلا يوجد باب يُعْظَمُ فيه أمر الله، بحيث لا يتعارض مع صريح القرآن والسنة، إلا ووظفه في خدمة الدين، لا العكس.

إن الدين نزل ليحفظ للإنسان كرامته، ويوصل إنسانيته، ولا يتم التكريم للإنسانية إلا بالالتزام بروح الشريعة انطلاقاً من فهم مقاصدها واستشعاراً لحاجتنا إليها في كل زمان ومكان، إذ ما من نظام يسعى فيه المفكرون من أرياب الفكر الغربي إلا وهو يبحث عن أصل ثابت ينطلق منه لفهم علاقة الإنسان بنفسه والكون من حوله نشأة وظهوراً، وذلك كيلا يصطدم بما يعارض مصالحه الثابتة التي مازال يقلب فيها النظر ليعرف بعضها ويغفل عن بعض، وقد تكون معرفته لبعضها فتحاً عظيماً كالاكتشاف الكهربائي واستغلالها، وقد تكون تلك المعرفة من باب آخر نقعة لا تجر إلا الدمار كما في اكتشاف اليورانيوم المنضب، وغيرها من المواد الإشعاعية التي تهلك الحرث والنسل.

إن الإسلام حين يضبط علاقة الإنسان بخالقه حباً وطاعة من خلال الأحكام الثابتة، لا ليحجر على الإنسان تفكيره أو يقيد عقله، بل ليريحه من عناء الوصول إليها بصورة التجربة والخطأ، فيقول له: هذه الخطوط العريضة، إن أنت التزمت بها، أرحت نفسك من عناء الوصول إليها بعقلك، دع هذا الأمر لي، وأطلق لنفك العنان في كل ما سخرته لك في الحياة من متع، وكل ما خلقته لك من ثروات تكاد لا تحصى إن أحسنت استغلالها.

فلا يمكن بحال أن نفهم الإسلام ذلك

الدين الذي جاء للبشرية كلها يضبط شهواتها وأهواءها وينظم علاقاتها دون أن ندرك معنى الاجتهاد في ظل عبوديتنا لله. فإن العبودية بكل ما تعني من حب لله وطاعة له وامتثال لأمره واجتناب لنهاية تسد الفراغ الروحي كما أن بذل الجهد والوسع والطاقة في معرفة ما يصلح لأمر الدين والدنيا معاً يسد الفراغ العلمي، وبهما معاً تبني الحضارة ومهما رأينا من حضارات فإنها دون هذين الأصلين تبقى مبتورة منقوصة، بل قد تجر من الويلات والنكبات على الإنسانية الشيء الكثير.

ويؤكد رسول الله ﷺ على الاجتهاد بهذا المعنى في أحاديث كثيرة ومنها: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» «المر حسن الخلق والإثم ما حاك في نفسك وخشيت أن يطلع عليه الناس» وغيرها الكثير مما يدل بشكل مباشر أو غير مباشر لتقدير دور العقل في الحياة وتتبع مراقبها.

ومن تلك الصور المضيئة في تقرير الاجتهاد وقبوله أن رسول الله ﷺ حين سمع من عمرو بن العاص سبب عدم اغتساله وأنه خشى على نفسه أن يموت من البرد ضحك ولم يقل شيئاً (٧)

إن حاجتنا لأن نقفدي برسول الله ﷺ

قولاً وعملاً وحباً وتعاملاً، أضعاف حاجتنا لأي شيء آخر مهما عظم، فكان ﷺ مثال القيادة الفذة والأسلوب الراقى، والمعلم الميرّي والمهذب لنفوس من كانوا حوله.

وكان بالإضافة لهذا كله سمح التعامل ودمت الخلق، حتى يظن من يخالطه أنه أحب الناس إليه، لهذا نجد أن عمرو بن العاص رضي الله عنه بعد أن رأى من رسول الله ﷺ وقد ولاه على جيش فيه كبار الصحابة ممن أسلم قبله بكثير، يتسائل في نفسه: إلى أي درجة يحبني رسول الله؟! فلم يتمالك أن يسأل الرسول ﷺ قائلاً: «يا رسول الله من أحب الناس إليك؟» فيجيبه صادقاً مصدقاً لا مجاملاً فيقول: «عائشة»، ثم يسأله عمرو بن العاص ونفسه ملأى من حب رسول الله وفرحاً بإجابته: من الرجال: قال: «أبوها» ثم يعود ليسأله: ثم من؟ قال: «عمر» فقال عمرو فعدّ رجالاً فسكتُ مخافة أن يجعلني في آخرهم» (٨)

هذا بعض ما حدث في مثل هذا الشهر، ولنا موعد في الشهر المقبل إن شاء الله مع أحداث آخر، نستلهمها نوراً في حياتنا الدنيا ونجني ثمارها عند الله يوم القيامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. ■

الهوامش

- ١ - سير أعلام النبلاء، ج ٢ ص ٥٥ ط سنة....
- ٢ - أرغب لك: أمنك.
- ٣ - أخرجه البخاري في الأدب المفرد وأحمد وصححه ابن حبان.
- ٤ - الرحيق المختوم ص ٢٧٤.
- ٥ - تاريخ ابن عساکر.
- ٦ - أخرجه الحاكم في المستدرک وصححه، والترمذي وأحمد في مناقب الصحابة.
- ٧ - صححه ابن حبان والحاكم.
- ٨ - أخرجه الترمذي في مناقب عائشة رضي الله عنها

الأوقاف تكرم الفائزين بمسابقة البحث والشعر والخط العربي



● الفائزون في المسابقة في لحظة تنكارية

وأكد القناعي أن هدفنا من هذه المسابقة هو بث روح التنافس بين الشباب ودفعهم إلى بذل الجهد من أجل التثقيف الذاتي وتشجيعهم على البحث والكتابة وتنمية مواهبهم وليكون ذلك حافزاً لهم على مواصلة الطريق والإجادة في مجال العمل الثقافي حيث بلغ عدد المشاركين في المسابقة ستين مشتركاً فاز منهم في البحث الميداني ثلاثة وفي الخط العربي ستة وفي البحث العلمي أربعة والشعر ثلاثة ومن جهته ألقى الشاعر فاضل خلف كلمة لجنة التحكيم قال فيها: إن المسابقة الشعرية ضمت عشر قصائد وهي أجمل ما قرأت من شعر في هذه الأيام وشملت عدة مدارس شعرية ظهرت في هذا القرن الذي سوف نودعه بعد شهر وتلك المدارس هي مدرسة الشعراء الغنائيين والمدرسة الواقعية مؤكداً بقوله: لقد وجدت صعوبة في اختيار القصائد الثلاث الأولى لتقارب المستويات. وحث خلف الشعراء المتسابقين على ألا يسبق

تحت رعاية وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الدكتور عادل الصبيح أقام قطاع الشؤون الثقافية في الوزارة حفلًا تكريمياً وزع من خلاله الجوائز على الفائزين والفائزات في المسابقة الأدبية السادسة للبحث والشعر والخط العربي، وذلك في يوم الأحد ١١ جمادى الأولى ١٤٢٠هـ الموافق ١٩٩٩/٨/٢٢م بصالة عبدالعزيز حسين في منطقة مشرف، وقد ألقى الأستاذ عبدالعزيز البدر الوكيل المساعد للشؤون الثقافية في الوزارة كلمة في حفل الافتتاح نيابة عن وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية. أكد فيها حرص الوزارة على نشر الثقافة الإسلامية الراشدة من خلال قطاعاتها المتنوعة من قطاع الشؤون الثقافية والإفتاء والدراسات الإسلامية وغيرها، تدعياً للقيم الفاضلة وترسيخاً للمبادئ السامية وحفاظاً على الهوية الإسلامية العربية في عالم تتزايد فيه التحديات.

وأضاف القناعي: أن نشر الثقافة الإسلامية الواعية بين أبنائنا وفي مجتمعنا والدعوة إلى التمسك بالقيم والمبادئ هو السبيل الواقي الذي يحفظ الفرد والمجتمع ويجعل له دوراً إيجابياً في الحياة، مؤكداً أنه لا بد للمؤسسات الثقافية أن تسهم في تنوير المجتمع والنهوض به وبفرواده ومؤسساته ليكونوا على بصيرة من واقعهم ومشكلات عصرهم ومؤهلين لمعالجة هذا الواقع والتغلب على المشكلات بروح وثقة ووعي راشد.

وهذا يدعونا إلى الارتقاء بأسلوب الخطاب الثقافي والدعوي والأخذ بالأسباب الحديثة واستغلال الوسائل المتاحة حتى نصل إلى هدفنا المنشود وهو بناء الإنسان المسلم المتحضر الواعي... المثقف ثقافة تنمي مواهبه وتحفز مداركه وتأخذ بيده إلى نور الإسلام والهداية وإلى العزة والكرامة.

ومن مسابقة القراءة الحرة فاز المتسابق علاء سالم باكوين من السعودية. وكرمت اللجنة المنظمة للمسابقة المتسابقين الصغار المتميزين في الأداء رغم صغر سنهم وهم خالد جاسم العيناتي من الكويت وأحمد موسى البلوشي من الإمارات وخالد علي محمد من البحرين.

ويعد ذلك ألقى مدير إدارة الأنشطة الثقافية والرياضية في الأمانة العامة لدول مجلس التعاون الخليجي عبدالرحيم الأحمدى كلمة في حفل الاختتام أعرب فيها عن شكره وامتنانه لدولة الكويت لاستضافة هذا التجمع وهذه

اختتمت يوم ١٩٩٩/٨/٩م المسابقة الـ١٢ للقرآن الكريم والحديث الشريف لشباب دول مجلس التعاون الخليجي التي نظمتها الهيئة العامة للشباب والرياضة بالتعاون مع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت. وأسفرت نتائج المسابقة على مستوى الفرق عن فوز الفريق السعودي بالمركز الأول يليه الفريق القطري ثم الفريق الكويتي. أما على مستوى مسابقة الفردي فقد فاز بالمركز الأول بالمتسابق محمد أحمد مغربي من السعودية يليه المتسابق ميثم محمد علي من قطر، ثم المتسابق سعيد خميس الشامي من سلطنة عمان.

استضافتها الكويت لشباب التعاون

اختتام المسابقة الثانية

عشرة للقرآن الكريم

والحديث الشريف



● لقطة من المؤتمر الصحفي الذي سبق حفل التكريم

ومختار عبدالهادي خامساً ومحمد عبد النعم سادساً وحسام إبراهيم ثامناً، أما الشعر العربي ففاز فيه أيمن توفيق أولاً وإسماعيل عمر منصور ثانياً والثالث أحمد عمر أحمد السيد وتم حجب الجوائز من الرابع حتى العاشر. أما في الخط العربي، فتم حجب الجوائز من الأول حتى الرابع وفاز عمر عبدالعزيز محمد بالمركز الخامس وأيمن عبدالله السادس وحمود جلوي السابع، وحسن مفيد الثامن وعبدالمحسن رجب التاسع وجاء حسين طه محمد عاشراً.

تطور المسابقة

والجدير بالذكر أن المسابقة الأدبية بدأت منذ عام ١٩٩٢م حيث كانت بدايتها في القصة القصيرة والبحث، وأضيف الشعر إلى المسابقة الثانية عام ١٩٩٤م واستمرت على نفس النمط منذ المسابقة الثانية وحتى الخامسة وفي المسابقة السادسة أضيف البحث العلمي «الميداني» والخط العربي حيث حرصت الوزارة على إثراء الاطلاع والقراءة لدى الجنسين بعيداً عن التعصب مع التأكيد على احترام العلماء والاجتهاد من باب التنوير وتوسعة فكر الباحث لما فيه المصلحة العامة بعيداً عن الفرقة والتناحر في الرأي. ■



● الوكيل المساعد للشؤون الثقافية يكرم أحد الفائزين

القصيدية أي مقدمات لأن القصيدة الجيدة هي التي تفرض نفسها مع ضرورة عدم اختيار أي مصطلحات قاموسية وعدم الإكثار من الهوامش. وعلى الصعيد ذاته ألقى علي البداح كلمة لجنة تحكيم الخط العربي، مؤكداً أن ارتباط هذا الخط بالقران الكريم هو الذي يجعلنا نعتز به وهو بحد ذاته فن من الفنون الجميلة.

وخلال الاحتفال ألقى شيماء قيس سليمان الفائزة بالمركز الخامس كلمة الفائزين في البحث الميداني وأكدت فيها أن البحث الميداني تاصيل للروافد الثقافية الإسلامية الحديثة والقديمة.

تكريم الفائزين

ويعد ذلك قام راعي الحفل بتكريم الفائزين حيث قامت لجنة التحكيم بحجب جوائز المراكز من الأول حتى الرابع في البحث الميداني لعدم توافر الشروط اللازمة وحصلت شيماء قيس على المركز الخامس وعبدالله أحمد عكاشة السادس، ثم تم حجب الجوائز من المركز السابع حتى التاسع وحل صبحي عبدالرضا عاشراً.

أما في البحث العلمي فتم حجب الجوائز من الأول حتى الثالث، كذلك السابع والتاسع والعاشر، وفازت أمينة علي الحميدان بالمركز الرابع

الجلسات المباركة

وقال «لقد تميزت هذه المسابقة بالكثير من الإضافات الحميدة وهي تتجدد كل عام أينما أقيمت مما يشجع على الاستمرار في أقامتها». وأضاف الأحمدى «لقد كانت الفائدة عامة والكسب رابحاً والتزود بالخير للمستقبل ذخيرة وفيرة».

وألقى المتسابق عبدالله بن أحمد من سلطنة عمان كلمة الوفود أعرب فيها عن بالغ سعادته بتمثيل بلاده في هذا التجمع والحضور بين أشقائه أبناء دول مجلس التعاون الخليجي في بلده الثاني الكويت.

وقال: «لقد حظي الشباب بمجتمعنا الخليجي بالشهيء الكثير من العناية والرعايتواالاهتمام في شتى المجالات وعلى مختلف الأصعدة والقطاعات نتيجة لإيمان المسؤولين العميق بدور الشباب في الحفاظ على المنجزات الحضارية التي تشهدها دول المجلس في هذا العهد الزاهر».

وأضاف أنه بناء على هذا التوجه، فقد حرص المسؤولون على تنظيم العديد من البرامج والفعاليات التي من شأنها تنمية الروح وتعميق الصلات الأخوية بين شباب دول المجلس وتأتي هذه المسابقة لتؤكد هذا المعنى

السامي، حيث تهدف إلى حث الشباب على حفظ كتاب الله ودراسة السنة النبوية الشريفة. وقال: إن حفظ كتاب الله يعتبر من أهم الأمور التي يجب على كل شاب مسلم أن يوليها اهتمامه، مشيراً إلى أن «ترك كتاب الله وترك العمل به هو السبب المباشر لتأخر الأمة». وحضر حفل اختتام المسابقة التي أقيمت في مسجد الدولة الكبير رئيس مجلس الإدارة والمدير العام للهيئة العامة للشباب والرياضة خالد الحمد ونائبه لشؤون الشباب ناصر العيار، إضافة إلى الوفود المشاركة في المسابقة. ■

كوارث

عبدالله بن محمد



زلزال مدمر يضرب تركيا



ضرب زلزال مدمر دام ٤٥ ثانية بلغت قوته ٧,٨ درجات على مقياس ريختر يوم ١٧/٨/١٩٩٩م شمال غرب تركيا مما أوقع عشرات الآلاف من

القتلى والجرحى، وسُوي آلاف المباني بالأرض تماماً، وكان الرقم الرسمي لضحايا الزلزال حتى يوم ٢٧/٨/١٩٩٩م قد بلغ ١٣٤٧٢ قتيلاً و ٢٧١٥٤ جريحاً كما يعتقد أن الآلاف آخرين مدفونون تحت الأنقاض مما يجعل الحصيلة النهائية لعدد الضحايا قابلة للزيادة وقد تصل إلى أربعين ألفاً.

وتبعت الزلزال الكبير أكثر من ٢٠٠ هزة ارتدادية بثت الذعر في جميع أنحاء تركيا، وأصاب الزلزال قاعدة بحرية مهمة في مدينة «غولجوك» المطلة على بحر مرمرة بأضرار بالغة حيث قتل مئات الجنود ووقع مركز الزلزال قرب مدينة «أزميت» على نحو ٨كم جنوب شرق استنبول أما عمقه فكان على بعد ٢٢كم تحت الأرض وهو عمق قليل مما يفسر ضخامة الأضرار التي حدثت لأن الزلزال الضحل أكثر تدميراً من الزلزال العميق بسبب وجود طبقات صخرية كثيرة تمتص قوة هذا الأخير وكانت أسوأ كارثة زلزال تحل بتركيا قد حصدت أرواح أربعين ألف شخص في أرزنجان عام ١٩٣٩م.

وتحتاج تركيا بعد انتهاء إحصاء الآلاف الضحايا في الزلزال الأخير إلى مساعدة مالية دولية ضخمة لإعادة بناء المناطق المدمرة وترفض الحكومة التركية المشغولة حالياً بعمليات الإنقاذ تقدير قيمة الدمار وشلل المنطقة الصناعية الأولى في البلاد.

مساعداً إلى تركيا من ٤٢ دولة

هذا وقد دفع حجم الكارثة الحالية العديد من دول العالم وفي مقدمتها الدول العربية والإسلامية إلى مد يد العون والمساعدة للشعب التركي المسلم، حيث قدمت ٤٢ دولة مساعدات مالية وعينية، كما شاركت نحو ثلاثين منظمة إنسانية وهيئات محلية من الهلال الأحمر والصليب الأحمر في حملة التضامن مع الشعب التركي الأمر الذي دفع الأمين العام للأمم المتحدة «كوفي عنان» إلى الإشادة بالمساعدات التي قدمتها الحكومات والمنظمات غير الحكومية والأفراد، وطالب بالمزيد منها لأن الاحتياجات ما تزال هائلة سواء لأغراض الإغاثة الدولية أو لإعادة التأهيل خاصة وأن هناك أكثر من ٦٠٠ ألف مشرد لابد من توطينهم قبل حلول فصل

الشتاء.

مساعداً خليجية عاجلة

وكانت دول الخليج العربي في مقدمة الدول التي هبت لتجدة تركيا في أزمتها الحالية، حيث أقام بعضها جسراً جويّاً لنقل المساعدات، ففي الكويت وبناء على أمر سمو أمير البلاد تم شحن كميات كبيرة من الأمصال والخيام والبطانيات ومولدات الكهرباء وأجهزة تقويم العظام، والكراسي المتحركة، وأجهزة تنقية المياه والمواد الغذائية المتنوعة، كما تم إرسال فريق طبي كويتي لإسعاف الجرحى والمصابين، وتأتي هذه المساعدات انطلاقاً من إيمان الشعب الكويتي بالبيادئ الإنسانية والأخوية وانفعاها إلى جانب الشعوب الصديقة ومساعدتها. وفي المملكة العربية السعودية أقيم جسر جوي لنقل المساعدات إلى المناطق المتضررة

بالزلزال بناء على أمر خادم الحرمين الشريفين وكذلك فعلت باقي دول الخليج العربية، حيث قدمت حكوماتها وشعوبها مساعدات إنسانية كبيرة.

تبنى الأطفال

من جهة أخرى، برزت في تركيا في أعقاب الزلزال المدمر عصابات من اللصوص تقوم بخطف الأطفال الذين فقدوا ذويهم تمهيداً لبيعهم ومن الصعب تقدير عدد الأطفال الذين أصبحوا يتامى بعد الكارثة، لكن المطلوب من الحكومة التركية والمنظمات الإسلامية، التنبه لهذه القضية، وإيجاد حل عاجل لها بما يكفل الحفاظ على هوية هؤلاء الأطفال، خاصة وأن عائلات من أوروبا والولايات المتحدة قد تقدمت بطلب تبني لهؤلاء الأطفال، تماماً كما حصل في أزمات البوسنة وكوسوفا والشيشان وغيرها. ■

زلازل ضربت تركيا منذ الأربعينات

- ديسمبر عام ١٩٣٩م قتل نحو ٣٣ ألف شخص حين هز زلزال قوته ٧,٩ درجة بمقياس ريختر مدينة أرزنجان الشرقية.
- ديسمبر عام ١٩٤٢م هز زلزال قوته سبع درجات بمقياس ريختر منطقة البحر الأسود وتسبب في مقتل ثلاثة آلاف شخص.
- نوفمبر عام ١٩٤٣م قتل نحو ٢٠٠٠ شخص حين هز زلزال قوته ٧,٢ درجة عدداً من المدن والقرى الواقعة شمال العاصمة أنقرة.
- فبراير عام ١٩٤٤م قتل نحو ٤٠٠٠ شخص من سكان مدينة بولو وما حولها حين ضرب المنطقة زلزال قوته ٧,٢ درجة.
- أغسطس عام ١٩٦٦م ضرب زلزال قوته ٦,٩ درجة بلدة فارنو الجنوبية الشرقية وقتل ٢٣٩٤ شخصاً.
- مارس عام ١٩٩٢م تعرضت أرزنجان مرة أخرى لزلزال قوته ٦,٨ درجة وسقط ٦٥٢ قتيلاً وأصيب نحو ٤٠٠٠ شخص.
- يونيو عام ١٩٩٨م ضرب زلزال قوته ٦,٣ درجة مدينة «أضنة» المطلة على البحر المتوسط وقتل ١٤٥ شخصاً.

- ديسمبر عام ١٩٣٩م قتل نحو ٣٣ ألف شخص حين هز زلزال قوته ٧,٩ درجة بمقياس ريختر مدينة أرزنجان الشرقية.
- ديسمبر عام ١٩٤٢م هز زلزال قوته سبع درجات بمقياس ريختر منطقة البحر الأسود وتسبب في مقتل ثلاثة آلاف شخص.
- نوفمبر عام ١٩٤٣م قتل نحو ٢٠٠٠ شخص حين هز زلزال قوته ٧,٢ درجة عدداً من المدن والقرى الواقعة شمال العاصمة أنقرة.
- فبراير عام ١٩٤٤م قتل نحو ٤٠٠٠ شخص من سكان مدينة بولو وما حولها حين ضرب المنطقة زلزال قوته ٧,٢ درجة.
- أغسطس عام ١٩٦٦م ضرب زلزال قوته ٦,٩ درجة بلدة فارنو الجنوبية الشرقية وقتل ٢٣٩٤ شخصاً.
- مارس عام ١٩٩٢م تعرضت أرزنجان مرة أخرى لزلزال قوته ٦,٨ درجة وسقط ٦٥٢ قتيلاً وأصيب نحو ٤٠٠٠ شخص.
- يونيو عام ١٩٩٨م ضرب زلزال قوته ٦,٣ درجة مدينة «أضنة» المطلة على البحر المتوسط وقتل ١٤٥ شخصاً.



تؤثر هذه الدراسة استخدام كلمة «إسرائيلي» للدلالة على جميع الفئات والسلالات من نسل «يعقوب» إسرائيل عليه، وهذا أفضل من كلمة «توراتي» أو «يهودي» أو «صهيوني» وفقاً للتسلسل التاريخي.

الزمن بمضرداته ومكوناته وعناصره المختلفة من ساعات وأيام وشهور وسنوات، قصة حياتية كبيرة وقاسية مشترك لدى جميع الأفراد والشعوب، مع تفاوت فيما بينهم من نسبة في ادراك هذه القيمة ودرجة التعامل معها. فهذه الأزمنة، طويلة أو قصيرة، أوعية زمنية وظروف تختلف أنواع الحياة والأعمال التي تصدر عن بني البشر... غير أن بني إسرائيل تبنوها منذ القدم إلى عاقل الزمن في تعاملهم مع الآخر، وفي كثير من القضايا الحياتية والدينية بما يعود عليهم بتحقيق مصلحة أو منفعة أو غاية، ولهم، غير تاريخهم الطويل القديم منه والحديث، كتابات مع الزمن ومواقف تستأهل التحليل والنظر. ولعلنا في هذه الدراسة نستطيع أن نلقى بعض الضوء على أسلوبهم في التعامل مع الزمن بكل أبعاده وتفاصيله، وما تولد عن ذلك من سلوكيات مهيئة تركت أثارها في محيط المجتمعات التي وجدوا فيها... وهي سلوكيات محكومة في مجملها بضرورتهم إلى الزمن والهروب من نوازع إلى الأمام، أو كما يقال بلغة هذه الأيام: رمي الكرة إلى الأمام، فقد يحمل المستحقين في طياته، كما يتوقعون أو يخطئون. شينا ما يحاولون جعله لصالحهم دون غيرهم من الخصوم، حتى لو كان الخصوم من بني جلدتهم أو عقيدتهم أو من إخوانهم.

ولا تتجنى هذه الدراسة عليهم، فقد اعتمدت في كثير من الاستشهادات على التوراة كتابهم المقدس وعلى جانب من أساطيرهم ومروياتهم التي روجوا لها بأنفسهم على الأخبار التي صدرت عن المثظرين للسياسة الإسرائيلية لديهم، كما ستعتمد هذه الدراسة على القرآن الكريم، كمصدر لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لخصت في أمور كثيرة تتعلق بحياتهم وطباعهم ومواقفهم ومنها قضية التلاعب بالزمن والمراهنه عليه.

المراهنة على الزمن في الفكر الإسرائيلي

صور من المراهنة على الزمن في التوراة

بين إسحاق وابنيه عيسو ويعقوب



● موروثة شعبية نسجها خيال الصهاينة !!

تذكر التوراة أن إسحاق عندما بلغه الكبر وضعف بصره، طلب من ابنه الأكبر عيسو أن يذهب إلى البر ليعده له طعاماً مما يصطاده، لعله يأكل منه ويعطيه البركة أو الولاية من بعده، وقد علمت ريبيكا «رفيقة» زوجة إسحاق بالخبر، وكانت تريد الولاية لابنها يعقوب، فاستغلت غياب عيسو وطلبت من يعقوب أن يقوم بإعداد الطعام لوالده قبل مجيء أخيه لينال البركة، فقام بذلك وقدمه له على أنه عيسو فنال بركة والده وأخذ الولاية أو «النبوة» من بعده، وقد تعجب الوالد من السرعة التي أعد فيها الطعام... «سفر التكوين عدد ٢٧».

الزمن في هذه الرواية كان لصالح يعقوب الذي لم يغادر المنزل، فأخوه عيسو ما زال في الخلاء يبحث عن صيد ليعده منه طعاماً لأبيه، وبمعنى آخر: كان أخوه يعيش لحظات، يمكن أن تعد ضمن زمن المستقبل، وكان يعقوب يعيش لحظة في الزمن الحاضر، فأخوه بعيد، وهو قريب من صنع الحدث، فلما عاد عيسو أصبح الأخوان في زمن واحد ومكان واحد ولكن الأمر قد انتهى لصالح يعقوب حيث أصبحت الولاية له من بعد أبيه، ولم يجد عتاب عيسو لأبيه، رغم انكشاف الحيلة بأن أخاه حلّ محله عند تقديم الطعام، وأنه نال البركة والنبوة بدلاً منه، ولعل هذه الرواية - وفقاً لما جاءت عليه في التوراة - تشكل بداية الاستفادة من عنصر الزمن والمكان في اتحادهما معاً، وهو ما يطلق عليه «الزمكانية»، ومدى استثمارهما بصورة تحقق مصلحة ومنفعة لطرف دون طرف في النزاعات حتى لو كانت على حساب الأخوة.

بين يعقوب وخاله لابان تشكل ظاهرة الربا

هذه القصة امتداد للقصة السابقة، حيث أصرت «رفقة» أن لا يتزوج يعقوب من الكنعانيين، وطلبت منه أن يسافر إلى «حران» ويتزوج من إحدى بنات أخيها «لابان»، وما إن رأى يعقوب «راشيل» ابنة خاله حتى وقع في حبها وكانت لها أخت أكبر منها سناً وأقل منها جمالاً، فطلب من خاله أن يزوجه راشيل، فوافق على ذلك، وطلب منه أن يخدمه سبع سنوات مقابل ذلك، ولما انقضى الأجل أقيم «عيد» للزواج وفي الصباح اكتشف يعقوب أن الزوجة التي بنى بها ليست راشيل وإنما هي «ليها» أختها، فغضب وعاتب خاله، فأجاب: ابق معها أسبوعاً ثم تزوجك الثانية، لأنه لا يجوز لنا أن تزوج الصغرى قبل الكبرى، وهكذا تزوج يعقوب من راشيل على أختها «ليها» في مقابل خدمة خاله لابان سبع سنوات آخر... وزادت الثروة وزاد المال وربما عند يعقوب ولابان، وللقصة بقية مطولة في كيفية الاستيلاء على الثروة والهروب بها ومطاردة لابان يعقوب لاسترداد ثروته، وقد رأي أخيراً أن يتركها له ولابنتيه وأولادهما، ثم قام بتوذيهم واستمر يعقوب في طريق العودة إلى أرض كنعان. «سفر التكوين أعداد ٢٨، ٢٩».

وهذه الرواية تؤكد كيفية استثمار الزمن حتى تربو الثروة وتزيد، ويتكئ بنو إسرائيل على هذه الواقعة في تسويق الربا والدفاع عنه بأنه تجارة ومزارعة وعمل، وأن جدهم يعقوب - على حد زعمهم - أول من تعاطى الربا ربا الأجل أو «النسي»، حيث قبل أن يعمل سبع سنوات وسبع سنوات آخر مقابل الزواج والثروة وكان الثروة والزواج ثمرة من ثمرات الأجل، ولم يكن العالم القديم آنذاك يعرف الربا قبل

هذه الظاهرة التاريخية المتمثلة في قصة لابان مع يعقوب، وكان من الممكن أن تكون هذه القصة عارضة من عوارض التاريخ، فتهمل ولا يعتد بها، ولكن بني إسرائيل وجدوا فيها مسوغات لتكرارها في أشكال مختلفة من المعاملات المالية كرسد ظاهرة الربا وفتحت أبوابه في العالم القديم وحتى أيامنا هذه.

تاجيل زواج دينا ابنة يعقوب ... حتى حين ؟

تزعم الرواية أن شكيم ابن أحد أمراء كنعان وقع في حب دينا، وكانت بينهما علاقة يعف القلم عن ذكرها، فطلب من أبيه أن يخطبها له، فعرض الأمير الأمر على يعقوب، كما عرض معه فكرة الزواج الجماعي من كلا الجانبين مقابل حياة كريمة لهم بينهم، حيث الزراعة والاستقرار، فبيتوا النية لمنع الزواج وتعللوا بأن الكنعانيين لا يطهرون أولادهم، ومن أجل تحقيق المصاهرة الجماعية وزواج شكيم من دينا لابد من الطهور الذي يطبقه بنو إسرائيل دون غيرهم... وهكذا تمت عملية طهور أبناء المدينة فمرضوا وأصبحوا مجاهدين وفي اليوم الثالث دخل اثنان من أبناء يعقوب وهما «سيمون وليفي» وأعمالا السيف في رقاب رجال القرية بمن فيهم شكيم ووالده ونهبا ما وجداه من الموجودات والمقتنيات ثم فرا بليل مظلم، وقد عاتبهما أبوهما يعقوب على ذلك... قائلًا: لقد دمرتماني. «سفر التكوين عدد ٣٤».

فالأجل أو رمي الكرة إلى الأمام لإعداد العدة والتدابير المناسبة، وأضح في هذه الرواية، فقد كانوا يبيتون النية لرفض زواج أختهم من شكيم، فتعللوا بطلب طهور أبناء القرية جميعاً، وهو أمر يحتاج إلى وقت ولا يتم إلا بعد حين من الزمن، ولما تم لهم ذلك وتعب الرجال بسبب الطهور، كان الحسم على الطريقة الإسرائيلية وهو القضاء على رجال القرية ونهب ما فيها والفرار بليل.

صور من مراهنتهم على الزمن في القرآن

تعظيم يوم السبت وتحريم الصيد فيه

عندما خرجوا من مصر الخروج الكبير الأول، فراراً من فرعون وملكه، أقاموا في مدين في سيناء، وكانوا يعظمون يوم السبت «هناك



● من أراد أن يعرف طباع اليهود فليقف على أساليبهم الشيطانية

مفصلاً في القرآن الكريم، قاموا بذبحها (وما كانوا يفعلون).

الرهان على الزمن في هذه القصة واضح من التساؤلات المتلاحقة لبيان صفات البقرة، وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن مدة التساؤلات استغرقت زمناً طويلاً، وأياً كانت المدة فإنها تؤكد ما جيلوا عليه من ملاحظة وتسويق، وقد ينخدع البعض عند قراءة هذه القصة، فيعتقد أن ذلك يدل على ذهنية ذكية وعقلية محكمة تريد التحقق والتثبت من الأمور، وهذا الاعتقاد خاطئ؛ لأن الأمر الإلهي جاء مطلقاً وغير مقيد بصفة محددة، حيث يبيح لهم ذبح أي بقرة يجدونها أمامهم في الطريق العام، فكلما بقرة نكرة لا تحتاج إلى تحديد من الوجهة المنطقية، ولكنهم فتحوا على أنفسهم باب التساؤل لحاجة في نفوسهم وطباعهم، فالسؤال الأول جاء للتأكد من مدى جدية الأمر (قالوا) «انتخذونا هزواً»، ثم توالت الأسئلة، ولعلمهم اعتقدوا أن هذه التساؤلات قد تصرف الأنظار عن جريمة القتل التي ارتكبت في حق واحد منهم وظل القاتل مجهولاً إلى أن ذبحوا البقرة وأمروا أن يضربوا جثة الميت ببعض أجزائها، وقيل: ضربه بلسانها، فأحياء الله ليخبرهم بلسانه من الذي قتله منهم، حتى يتم القصص منه.

القصة في حد ذاتها ذات مغزى حيوي، ومن أراد أن يعرف طباعهم وطباعهم فليعد إليها بين وقت وآخر، ليقف على أساليبهم في التعامل مع الآخرين ومحاولة صرف الأنظار عن الشيء «الواقع» في الزمن الحاضر إلى مستقبل أو أجل غامض، وبين الواقع أو الزمن الحاضر وبين المستقبل تمتد المسافات وتبعد المساحات، وتحدث أمور ومستجدات، وهم مع هذا التسويق لم يكونوا الفاتزين هذه المرة ولم يكن الأمر في صالحهم، فبالإضافة إلى اكتشاف القاتل قبل إنهم دفعوا مالا كثيراً ثمناً للبقرة، وهو ما لا يرضونه أبداً.

فتح مدينة أريحا بين المبعدين الديني والأسطوري

تعلق بنو إسرائيل منذ القدم بأمل كبير، وهو أنهم سيعودون إلى أرض كنعان «الموسوعة» ص ١٩٨٦م، فبعد أن خرجوا من مصر وأقاموا في سيناء أمرهم الله أن يسيروا إلى أرض كنعان «الأرض المقدسة» التي كان يسكنها الكنعانيون العماليق، ووعدهم الله أن

علاقة لغوية بين السبت والسبات بمعنى النوم»، وقد قطعوا على أنفسهم عهداً كما أمرهم الله بالآل يعتقدوا فيه بصيد الحيتان والأسماك وليتفرغوا للعبادة حيث يقبعون في بيوتهم ولا يأتون بعمل من شأنه أن يعطلهم عن العبادة.

وأراد الله سبحانه أن يختبرهم فابتلاهم بأن جعل الأسماك تظهر بكثرة أمامهم على وجه الماء في يوم السبت، وأما في باقي الأيام فتختفي، فأرادوا أن يعبثوا بالأيام ويجعلوا يوماً مكان يوم، لأن الأسماك لا تظهر إلا يوم السبت فيتمنون أن يكون ظهورها في غير ذلك اليوم لينعموا بالصيد، ولما عجزوا عن العبث بالأيام راحوا في يوم الجمعة يحفرون أحواضاً عند الشاطئ ويجعلون لها جداول فتدخلها الأسماك يوم السبت لأنها من الصيد، فيتركون العبادة وينطلقون إلى الشاطئ ليسدوا فتحات الجداول، وليحبسوا الأسماك في الأحواض - وكانهم بذلك لا يصطادون ولا يأتون بعمل نهوا عنه - ثم يصطادونها يوم الأحد. قال تعالى: (إذ أتيتهم حيتانهم يوم سبتهم شراً ويوم لا يستطيعون لا تأتيهم كذلك لنبلوهم بما كانوا يفسقون) الأعراف: ١٦٢، وانظر تفسير النسفي ج ٢ ص ٨٢م، ليس في ذلك أكبر دليل على التلاعب بالزمن والمراعاة عليه لتغيير الحقائق، فظاهر الأمر أنهم لا يصيدون الأسماك يوم السبت، لأنهم يسدون أبواب الحياض وفتحاتها فقط ثم يقومون بالصيد في يوم الأحد، وهذا احتيال لأن سد الحياض في حد ذاته يعدّ صيداً، لأنهم يحبسون الأسماك في مكان محصور يستطيعون السيطرة عليه وصيد ما فيه في أي يوم، وفي ذلك قلب للحقائق وتزييف للواقع، ولقد عدّ الله فعلتهم تلك اعتداءً منهم وخروجاً على العهد الذي قطعوه على أنفسهم، قال تعالى: (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت) البقرة: ٦٥، وانظر تفسير النسفي ج ١ ص ٥٢.

المراهنة على الزمن في قصة البقرة

على أن قصة ذبح البقرة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم خير شاهد على المراهنة على الزمن، وقد جاءت هذه المرة في غير صالحهم، وهذه القصة تدل على طبع بني إسرائيل في المماطلة والتسويف اعتقاداً منهم أن الزمن المستقبل كفيلاً بحل جميع المشكلات، جاء أمر الله على لسان نبيه موسى عليه السلام (إن الله يأمرك أن تذبحوا بقرة)، والأمر هنا مطلق يعطي الحرية لهم بذبح أي بقرة، وكان من الممكن أن يأتوا إلى أول بقرة يرونها ويذبحونها وبذلك يكونون قد تحلوا من الأمر الإلهي، ولكن المماطلة والتسويف والنسيء من الأمور التي أصبحت تشكل سلوكاً معيناً يتحكم في أمور حياتهم.

يقول المفسرون: أول القصة مؤخر في التلاوة، وهو قوله تعالى: (وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها) البقرة: ٧٢، وذلك أن رجلاً موسراً قتله بنو عمه ليرثوه وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤوا يطالبون بديته، فجاء أمر الله لهم بأن يذبحوا بقرة «تفسير النسفي ج ١ ص ٥٥»، فراحوا يراوغون ويماطلون ويسالون، فطرحوا أربعة أسئلة على نبيهم جاءت على النحو الآتي:

١ - (قالوا) «انتخذنا هزواً»؟

٢ - (ادع لنا ربك يبين لنا ما هي)؟

٣ - (ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها)؟

٤ - ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا)؟

وبعد أن تعرفوا إليها، وفقاً لتلك الصفات التي جاءتهم وجاء ذكرها

ليست كل مراهنة في صفهم ولصالحهم ويقدرُونَ وتضحك الأقدار



● لماذا ينسى اليهود أن الزمن ملك للجميع ؟

ورضع شرطاً تعجيبياً إذا لم يسدد أنطونيو ما عليه وهو اقتطاع رطل من لحمه، وظل هذا المرابي ينتظر بفارغ الصبر انتهاء الأجل عسى أن يصبح خصمه عاجزاً عن السداد لينتقم منه، وفقاً للعقد المبرم بينهما وجاءت الأخبار في صالحه، حيث شاع أن خصمه خسر جميع ثروته وتجارته، وفي يوم المحاكمة لم تنفع وسيلة ولا حيلة ولا ضمان يمكن أن يبعد شبح اقتطاع رطل من لحمه، وقد وجد شاييلوك في هذا العجز المالي فرصة للانتقام... إلى أن جاءت سيدة تزيت بزّي رجل للدفاع عن أنطونيو وقلبت الموازين لصالحه، حيث اعتمدت في دفاعها عنه أن العقد ينص على اقتطاع رطل من اللحم دون إراقة قطرة واحدة من الدم وطلبت من شاييلوك أن ينفذ العقد وأن يقطع رطل لحم كما ينص العقد، وفي حالة إراقة قطرة من الدماء سيكون تحت طائلة القانون، وبذلك بنجوا أنطونيو من العقوبة ويقع شاييلوك في قبضة العدالة ويتعزم بكل ما يملك، الربا هو موضوع المسرحية وهو يقوم أساساً على عامل الزمن الذي يوظف توظيفاً دراماتيكياً لصالح شاييلوك أولاً ولادة طويلة من العمل المسرحي، ثم يأتي لصالح أنطونيو أخراً كحل للعقدة المسرحية، ولم يقدم كاتبها على كتابتها واختيار موضوع الربا متمثلاً في شاييلوك رمز المرابين إلا بعد أن غرقت أوروبا في مستنقع الربا الذي كان يتعاطاه اليهود في مختلف الأحياء ويمارسونه بشراهة على البسطاء والمحتاجين من أصحاب الحرف والأعمال البسيطة، حتى نبذتهم تلك المجتمعات فعاشوا في أحيائهم المنعزلة المعروفة «بالغيوت».

يهودي يفلت من حكم الإعدام بالرهان على الزمن

ظل عامل الزمن ضمن الموروثات الشعبية التي نسجها الخيال الإسرائيلي وضمن الوعي الجماعي الذي يدفعهم إلى تصرفات وردود أفعال تجاه الآخرين، فيروى أن أحد القياصرة حكم على يهودي بالإعدام، وكان القيصر يسك بجبل كلبه، وفكر اليهودي كيف يتخلص من حكم الإعدام الذي سينفذ فيه بعد قليل، فقال للقيصر: أسهلني سنة واحدة أستطيع خلالها أن جعل كلبك يتحدث الروسية مثلك تماماً

تكون لهم دار قرار كما وعدهم بنصرته، غير أنهم ترددوا وتهببوا لما عرفوا ما لدى الكنعانيين من قوة وشوكة، وقد جاءت هذه الأخبار مفصلة في القرآن قال تعالى على لسان موسى: (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم) المائدة: ٢١، (قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وأنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون) المائدة: ٢٢، ثم (قالوا إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فذهب أنت وريك فقاتلا إنا مهنا قاعدون) المائدة: ٢٤، (قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض) المائدة: ٢٦، ثم دارت المعركة وانتصروا فيها بعد حرب ضروس، وكان قاندهم فيها يوشع بن نون، (انظر: تفسير النسفي ج ١ ص ٣٧٥).

في التوراة تفصيل مطول لدخولهم الأرض المقدسة، ووصف للمعركة التي دارت بين الجانبين، وتضيف إلى جانب ذلك أنهم اعتمدوا على جاسوسة اسمها «رحاب» قدمت لهم معلومات كافية سهلت لهم العبور والانتصار، كما تضيف أن نهر الأردن جفاً ليتمكنوا من العبور، وأنهم كانوا ينفخون في الأبواق فتنهدم المباني وتتهوى البيوت «سفر يوشع عدد ٦:٤»، غير أن أساطيرهم لم تترك المسألة كما جاءت في التوراة، بل ذهب خيالهم إلى تصور عجيب، وهو أن المعركة التي دارت رحاها يوم الجمعة لم تحسم وأوشكت الشمس أن تغيب وبعدها سيأتي يوم السبت حيث يستوتن، هنالك دعا يوشع ربه أن يجعل الشمس تتوقف في السماء، وألا تغيب حتى تتم المعركة، فاستجاب له الله ووقفت الشمس حتى أتم المعركة وكتب الله له النصر، فقصه دخولهم الأرض المقدسة يختلط فيها البعد الأسطوري البطولي بالبعد الديني التوراتي الذي لم يسلم من الخيالات والزيادات والانتكاه على الجاسوسية. ويتدخل عامل الزمن «الأجل أو النسبي» - أو هكذا أرادوا أن يكون للزمن دوره - في توقف الشمس، حيث يتوقف معها الزمن ولا يمضي وفقاً لنواميس الطبيعة والكون، وتستمر المعركة التي لاحت بشائر النصر فيها إلى جانبهم، وقد شاعت أسطورة توقف الشمس حتى انتشرت في التراث العربي، وربما كان مصدر هذه الأسطورة لدى العرب ما شاع في كتب المفسرين من إسرائيليات تطفح بها أكثر كتب التفسير، حتى وصلت الشاعر أحمد شوقي فقال:

ألا يا أخت يوشع خبّرنا

بما فعلت قرونُ الغابرينا

فانطلق على الشمس أنها أخت يوشع، في إشارة منه إلى جوهر الأسطورة السابقة وهي توقف الشمس في السماء ريثما تنتهي المعركة.

المراهنة على الزمن في بعض الأعمال الأدبية

قدم الشاعر والكاتب وليام شكسبير (ت القرن ١٦م) مسرحية تاجر البندقية واتخذ من شخصية «شاييلوك» رمزاً للمرابي اليهودي الذي راهن على الزمن ليكون في صالحه ضد خصمه المسيحي أنطونيو ومنافسه في البورصة، فقد أقرض شاييلوك خصمه مبلغاً من المال

الإسرائيليون راهنوا ويراهنون على الزمن لتحقيق مصالح أفضل

إن رفضهم للكثير من القرارات الدولية تكون لكسب الوقت وتوظيفه لصالحهم، من ذلك ما أدلت به جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل سابقاً ذات مرة عن مشكلة اللاجئين: «إن الزمن كفيل بحلها، الكبار يموتون، والصغار ينسون»، ولكن الرياح تجري بما لا تشتهي السفن، ويقدرون وتضحك الأقدار، فقد ظهر من الصغار وهم الجيل الرابع لنكبة فلسطين ما عجز عنه الكبار الذين راهنت عليهم بالموت، من تضحية وفداء وحب لوطنهم وتثبيت بحقهم في وطنهم وأرضهم.

الإسرائيليون ينسون أو يتناسون حقيقة جوهرية وهي أن الزمن ملك للجميع وقد يشترك فيه الناس كافة، ولكن الموازين قد تكون في صالح طرف دون طرف، وليست كل مراهنة على الزمن أو غيره رابحة، فكثير من المراهنات خاسرة، لأن عوامل الربح والخسارة ليست في مجرد المراهنة، بقدر ما تكون في درجة الاستعداد وأخذ الحيطة وإعداد العدة والعتاد، وللناس الحق المطلق في استثمار الزمن للصالح العام وللصالح الشخصي أيضاً دون مراوغة ومماطلة وتسويق واحتيال، ولهم أن يضعوا الخطط الخمسية وغيرها من خطط تنموية وإعمارية، وإلا تصبح الحياة دون ضوابط ودون معنى، وتصبح مفرغة من قيمها ومحتوياتها الحياتية والحيوية.

على أن هناك استخلاصاً لطيفاً من هذه الدراسة يتصل بموضوعها: وهو ما شاع بين العرب وغيرهم من وصف من لا تعجبهم تصرفاته بأنه «يهودي» أو كاليهودي، ويتساءل المرء: لماذا لم يقع الاختيار إلا على اليهودي من بين شعوب الأرض، وفيهم من الأجناس البشرية ومن الأشكال والألوان ما فيهم؟ في الواقع نرى أن هذا الوصف لم يأت اعتباطاً ولم يأت مجرد الوصف أو السباب، فمعجم السباب عند العرب وغيرهم من الشعوب زاخر بألوان السباب المختلفة، ولا يعوزهم أن يجدوا فيه ما يريدون من الألفاظ والمفردات المطلوبة، ولكن الناس عندما يطلقون هذا الوصف على من يريدون شتيمة، ينظرون فيه، فيجدونه محباً للمال، عاشقاً للحياة، مرابحاً، يحتال على الناس، يماطل لا يلتزم بعهده أو ميثاقه، وأكثر من ذلك أنه يراهن على الزمن في تعاملاته مع الآخر مع استخفاف بالعقول، حينئذ يكون الوصف له بأنه يهودي مطابقاً للسمت الذي ارتسم في الذاكرة الإنسانية والوعي الجماعي، لذلك اليهودي الانتهازي المتقلب عبر التاريخ، وعبر شخصيته التوراتية، وعبر تمرده على الحق المطلق في جدلية تقوم أكثر ما تقوم، على الوهم والترجسية وعبادة الذات، فيرسل الناس ذلك الوصف لعنة وسبة على ذلك السم.

وهذا يؤكد الراوية القائلة إن بني إسرائيل، عندما خرجوا من مصر عاشوا فترة من حياتهم في التيه، على شاطئ البحر الأبيض شمال سيناء في منطقة تسمى اليوم «البرديول»، وما زال أهل هذه المنطقة يصيدون الأسماك في بعض المواسم بالطريقة نفسها التي كان ينو إسرائيل يصيدون بها الأسماك، فيفتحون فتحات الجداول عند المد، إلى أن تمتلئ بالماء بما فيه من أسماك، وعندما يبدأ الجزر يسدون الفتحات ثم يقومون بصيد الأسماك وجمعها. ■

ملحوظة: اعتمدت الدراسة على النسخة الإنجليزية للتوراة.

واقترح القيصر بذلك وأخذ عليه عهداً، ثم أخذ اليهودي الكلب وخرج معه أخرون، فسأله أحدهم: هل تستطيع أن تجعل الكلب يتحدث الروسية خلال عام؟ فضحك اليهودي وقال: خلال عام إما أن يموت القيصر، وإما أن يموت الكلب، وإما أن أموت أنا، المهم أنني أجلت حكم الإعدام سنة... وهذه الحكاية تحمل في طياتها الكثير من الدلالات، في مقدمتها المراهنة على الزمن، والاستخفاف بعقول الآخرين.

المراهنة على الزمن والتلاعب به عند عرب الجاهلية

رأينا كيف راهن بنو إسرائيل على الزمن، فكانوا وما زالوا يلغون الكرة إلى الأمام من خصومهم، فيعطون لأنفسهم مهلة ووقتاً كافياً للتساؤل والتساؤل، ومحاولة الانفلات من أمور لا ترضيهم أو تكلفهم أعباء لا يطيقونها ومسؤوليات هم في غنى عن تحمل تبعاتها، فكانوا يصيبون مرات ويخطئون مرات.

على أن المراهنة على الزمن - كما رأينا - أوجدت ظاهرة الربا، وقد انتشر الربا وتقضى في الأمم التي عاش بنو إسرائيل بين ظهرانيهم، وكان من بينهم عرب الجاهلية، كما أن ظاهرة التلاعب بالزمن وهو الوجه الآخر للمراهنة على الزمن أوجدت ظاهرة التلاعب بالشهور ومحاولة العبث بها وفقاً للمصلحة، وقد تأثر العرب في الجاهلية - فيما تأثروا - سلباً بكثير من سلوكيات بني إسرائيل، فبالإضافة إلى تعاطيهم الربا بصورة فاحشة، عبثوا بالشهور فكانوا يبدلون فيضعون شهراً مكان شهر تحقيقاً للمصلحة، وقد نزلت آيات قرآنية تحرم تلك الظاهرة، وتبين ضرورة التقيد بالمواعيد، قال تعالى: (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم) (التوبة: ٣٦)، وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ولحرمهم القتال فيه ورجب لتعظيم العرب له، وقد عرف العرب النسيء بعد مجاورة اليهود لهم، وهو تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر لارتكاب المعاصي والحروب والغارات، وقد حرمه الله، قال تعالى: (إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله) (التوبة: ٣٧)، وانظر تفسير النسيء ج ٢ ص ١٢٥-١٢٦.

المراهنة على الزمن في السياسة الإسرائيلية

من البديهي - في هذه الأيام - أن يدرك أقل الناس حياً لمقابلة الأخبار السياسية أن سياستهم من بين سياسات العالم تراهن على الزمن في كثير من القضايا الجوهرية والمصيرية، بحيث أصبحت المراهنة عندهم على الزمن إحدى الدعائم الأساسية التي تقوم عليها فلسفتهم السياسية، فوعد بلفور المشؤوم (١٩١٧/١١/٢م)، على سبيل المثال ضرب من المراهنة على الزمن، فقد بذلوا الكثير لاستصداره وعلوا الكثير هم وغيرهم لتنفيذه، وبين ذلك الوعد وبين قيام دولتهم نحو ثلاثين سنة، وهم ينتظرون ويخططون، ولو لم تنتصر بريطانيا في الحرب العالمية الأولى والثانية لظل الوعد حياً على ورق، وهناك أمور كثيرة في سياساتهم تقوم على المراهنة على الزمن، إذ

أسس التقريب بين المذاهب الفقهية

لا يمكن أن ينجح التقريب بين المذاهب الفقهية إلا بأن يقوم به مجتهدون مخلصون يتحلون بنزاهة القصد وموضوعية الحكم، فلا ينصرون قولاً لفضل قائله، ولا يهملون قولاً لهوى في النفوس، ولا ينصرون مذهباً على آخر بالتشهي، ولا يقصدون إماماً، ولا يستخفون بإمام آخر.



وإذا كان الله تعالى قد بين الدين وأكمّله، كما قال سبحانه: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) (١)، إلا أن الناس يتفاوتون في مراتب الفهم، بل قد يقصر أكثرهم عن فهم ما دلت عليه النصوص وعن وجه الدلالة، ولهذا يقع الاختلاف بينهم، ويلزم التقريب بينهم حتى يضيق الخلاف، ولا يتسع الخرق على الراقع، وتحقق المصلحة الشرعية في الاجتماع والائتلاف.

٢ - القول لا يصح لفضل قائله، وإنما يصح بدلالة الدليل عليه، ولا يجوز تقديس شخص أو قول تقديساً يمنع من النقد والدراسة المنهجية الفاحصة في ضوء الكتاب والسنة وعلم أصول الفقه، وكلام العلماء، ليس حقاً في ذاته، وليس بديل شرعي، ولا حجة فيه بنفسه، وليس في هذا القول تنقيص لإمام ولا حط من قدره، وفضل الأئمة وعلمهم ونصحهم لله ورسوله لا يوجب قبول كل ما قالوه، وما وقع في كلامهم من المسائل التي خفي عليهم فيها ما جاء به الرسول: «فقالوا بمبلغ علمهم، وكان الحق خلاف ما قالوا»، لا يوجب اطراح قولهم جملة وتنقصهم والوقية فيهم، والحق ألا نؤسّمهم، وألا نقول بعصمتهم، بل نقول في الأئمة الأربعة مثلما نقول في الخلفاء الأربعة وسائر الصحابة، فلا نقبل كل أقوالهم ولا نهدرها، ولا منافاة بين هذين الأمرين عند من شرح الله صدره للحق، وإنما يتناقضان عند من جهل مقدار الأئمة وفضلهم، أو جهل حقيقة الشريعة التي بعث الله بها رسوله - ﷺ - ومن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعاً أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح وأثار حسنة، وهو من الإسلام وأهله بمكان، قد تكون منه الهفوة والزلة التي هو فيها معذور، بل ومأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يُتبع فيها، ولا يجوز أن تهدر سكانته وإمامته ومزلته من قلوب المسلمين. (٣)

٣ - لم يوجب الله على أحد اتباع إمام بعينه، ولا التزام مذهب معين، وإنما أوجب اتباع أهل العلم من غير تخصيص بعالم ولا بمذهب حيث يقول سبحانه: (فسألو أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) (٤).

ويمكن تفصيل الأسس والقواعد التي ينبغي أن تقوم عليها عملية التقريب بين المذاهب الفقهية في الآتي:

١ - تجمع الأمة الإسلامية على أن مصدر الأحكام الشرعية هو الكتاب والسنة الصحيحة، فلا تسليم لحكم إلا أن يكون مستنداً إليهما، فالله سبحانه هو المشرع كما قال تعالى: (أم لهم شركاء، شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) (٢)، وعقيدة المسلمين أن الله وحده هو الذي يحل ويحرم، والفقيه في عمله الاجتهادي إنما يتلمس حكم الله في المسألة التي يجتهد فيها.

وأما المصادر الفقهية الأخرى - غير الكتاب والسنة - كالإجماع والقياس والاستحسان والمصالح المرسلة وغيرها، فهي ليست مصادر مستقلة لاستمداد الأحكام، ولكنها تابعة لنص شرعي، وإن كان مختلفاً في ثبوته أو دلالاته.

ويجمع الأئمة على العمل بالحديث متى صح، وأنه لا رأي لأحد مع السنة الشريفة، كما يجمعون على العمل بحديث الأحاد الصحيح، وتقديم الحديث الحسن على القياس، بل يتفقون على تقديم الحديث الضعيف غير الواهي على محض القياس، ومذهب الأئمة الأربعة العمل بقول الصحابي على الجملة، ولكنه ليس حجة على الإطلاق، إذ هو ليس بمعصوم، وإنما العصمة بإجماع الصحابة أو بمجموع الأمة.

وهكذا يتفق الفقهاء على وحدة المصدر، ولكنهم يختلفون في الأحكام الجزئية التفصيلية.

ولا يلزم إن اتبع إماماً أن يتبعه في كل المسائل التي تعرض له، بل له أن يسأل من شاء من المجتهدين ويأخذ بقول من شاء منهم، وإن قلد إماماً في مسألة جاز له أن يقلد غيره في مسألة أخرى، وإن اتبع مذهباً جاز له الانتقال منه إلى مذهب آخر، وأقوال العلماء وأراؤهم في المذاهب المختلفة لا تنضبط ولا تنحصر، ولم تضمن لها العصمة، إلا إذا اتفقوا ولم يختلفوا، فلا يكون اتفاقهم إلا حقاً، ومن المحال أن يحيلنا الله على ما لا ينضبط ولا ينحصر، وإنما وقفنا عند المذاهب الأربعة لأنها منضبطة الأقول منحصرة المصادر معلومة المراجع، ولم تضمن لنا العصمة لواحد من الأئمة، ولا قام دليل على أن أحدهم أولى بأن نأخذ قوله كله، وتدع قول غيره كله. (٥)

٤ - ليس للعامي مذهب، ولا يلزمه أن يتمذهب ببعض المذاهب المتبوعة، ذلك لأن المذهب إنما يكون لمن يعرف الأدلة، ولهذا قيل: «العامي مذهبه مذهب مفتيه»، فله أن يستفتي من شاء من فقهاء المذاهب ويتبع ما شاء منها شريطة ألا يكون ذلك بحثاً عن الرخص في كل مذهب، بل عليه اتباع الحق بحسب الإمكان. وأن يكون محباً للأئمة موالياً لهم جميعاً، وأن يقلد كل واحد منهم فيما يظهر له أنه موافق للسنة (٦) ويمكنا أن نقول إنه قد انقضى عصر التمهذ عند العامة أو كاد، (بل هذا الرأي في المتفهمين المنتسبين للمذاهب الأربعة أكثر)، وهذا محفز للتقريب ومعين عليه، إذ إن التمهذ للمتعبص تعصباً أعمى كان يحول نون ذلك فيما مضى، أما الآن فلا يلتفت المسلم من العامة «والخاصة أيضاً» على الجملة إلى الفروق بين المذاهب التفاتاً يرجح أحدها على الآخرين إذ كلها عند العامة مذاهب أئمة المسلمين، وليس أحدها أولى بالحق والاتباع من الآخر، وقد يوجد تمهذ في بعض المناطق لدى نفر قليل من الناس، ولكن هذا في طريقه إلى الانحسار والزوال، والحركة العلمية والتعليمية والدعوية الناشطة في أنحاء العالم الإسلامي كفيلة بالقضاء على العصبية المذهبية العمياء، والمشكلة كما قلنا في بعض المتهذبين من المتفهمين المتعصبين، وفي قصور القانون في بعض الأقطار على الأخذ من مذهب واحد.

٥ - لم يجمع أحد بعد النبي - ﷺ - علم الدين كله، ولم يحط مذهب بكل الوقائع والأحداث، فلا يوجد إمام جمع كل الأحاديث ولا كل العلم بالأحكام، فبعضها كان يخفي على الواحد من الصحابة، وعلى رأسهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، فليس أحد منهم - رضي الله عنهم - إلا قد خفي عليه بعض ما قضى الله ورسوله به، فهذا أبو بكر الصديق أعلم الأمة بالدين، خفي عليه ميراث الجدة حتى أعلمه به محمد بن مسلمة والمغيرة بن شعبة، وخفي عليه أن الشهيد لا دية له حتى أعلمه به عمر، فرجع إلى قوله، وخفي على عمر تيمم الجنب، فقال: لو بقي الجنب شهراً لم يصل حتى يغتسل، وخفي عليه دية الأصابع، فقضى في الإيهام والتي تليها بخمس وعشرين حتى أخبر أن في كتاب آل عمرو بن حزم أن رسول الله - ﷺ - قضى فيها بعشر، فترك قوله ورجع إليه، وخفي عليه شأن الاستئذان حتى أخبره به أبو موسى وأبو سعيد الخدري، وخفي عليه توريث المرأة من دية زوجها حتى كتب إليه الضحاک بن سفيان الكلابي وهو أعرابي من أهل البادية أن رسول الله - ﷺ - أمره أن يورث امرأة أشيم الضبابي من دية زوجها، وخفي عليه أمر الجوس في الجزية حتى أخبره عبدالرحمن بن عوف أن رسول الله - ﷺ - أخذها من مجوس

هجر، وخفي عليه سقوط ملوفاً الوداع عن الحائض فكان يردهن حتى يطهرن ثم يطفن، حتى بلغه عن النبي - ﷺ - خلاف ذلك فرجع عن قوله، وخفي عليه شأن التمتع في الحج وكان ينهى عنه حتى وقف على أن النبي - ﷺ - أمر بها، فترك قوله وأمر بها، وخفي عليه جواز التسمية بأسماء الأنبياء، فنهى عنه حتى أخبره به طلحة أن النبي - ﷺ - كناه أبا محمد، فأمسك عمر ولم يتماد في النهي، وهو كما قال ابن مسعود: «لو وضع علم عمر في كفة ميزان، وجعل علم أهل الأرض في كفة لرجح علم عمر» (٧).

٦ - من الثابت أن كلاً من الأئمة الأربعة نهى عن تقليدهم والأخذ بكل ما يقول، ولم يكن أحد منهم يعتقد أن كل قوله صواب لا يشوبه الخطأ، وكذلك كان تلاميذهم وأهل الفضل والهداية الذين اتبعوا مذاهبهم من بعدهم، فهؤلاء تلاميذ مالك: عبدالله بن وهب، وابن القاسم، وأشهب، وعبدالله بن الحكم كانوا يجتهدون ويخالفونه أحياناً، كما خالف المزني والبيهقي شيخهما الشافعي، وكما خالف أبو يوسف ومحمد بن الحسن أستاذهما أبا حنيفة.

وعلى هذا الهدى سار أهل الهداية من اتباع المذاهب، فهذا ابن عابدين من الحنفية المتأخرين زماناً يقول: «إذا سلطنا أي المذاهب صواباً... فلا تجزم بأن مذهبنا صواب البتة، ولا بأن مذهب مخالفنا خطأ البتة بناء على المختار من أن حكم الله في كل مسألة واحد معين وجب طلبه، فمن أصابه فهو المصيب، ومن لا فهو المخطئ، ونقل «معناه» عن الأئمة الأربعة» (٨).

ومن العلماء من كان لا يتقيد بمذهبه بل يجتهد لنفسه، فإن صح عنده حديث عمل به، وإن وجد قولين للعلماء تخير لنفسه، ومن هؤلاء كثرة مثل: ابن تيمية وإبن القيم، وابن دقيق العيد، والعز بن عبدالسلام، وابن كثير، بل من تلاميذ الأئمة أنفسهم من كان يفعل، فهذا محمد بن الحسن، لم يمنعه انتسابه إلى أبي حنيفة من اختياره من مذهب مالك، وهكذا غيره.

٧ - العمل بالحديث الذي على خلاف المذهب ليس ضد المذهب، ولكنه عمل بالمذهب نفسه، لأنه يسير على قواعد الإمام في تقييم السنة، وقد بيّن أبو عمرو بن الصلاح أن المنتسب «الشافعي» إذا كان ذا اجتهاد فوجد حديثاً يخالف مذهب، أو أداه اجتهاده إلى مذهب إمام آخر اتبع الحديث وصار إلى اجتهاده، ونكر أن ممن سلك هذا المسلك من الشافعية من عمل بحديث تركه الشافعي عمداً على علم منه بصحته مانع اطلاع عليه وخفي على غيره، مثل أبي الوليد موسى بن أبي الجارود من أصحاب الشافعي، إذ روى عنه أنه روى عن الشافعي قوله: «إذا صح عن النبي - ﷺ - حديث، وقلت أنا قولاً فأتنا راجع عن قولنا، فأتنا بذلك» قال أبو الوليد: وقد صح حديث: «أفطر الحاجم والمحجوم» فأتنا أقول: قال الشافعي: أفطر الحاجم والمحجوم (٩).

٨ - الأئمة لم يقصدوا إلى الخلاف، ولكنهم اجتهدوا فاختلغوا والخلاف الفقهي في الفروع قديم قدم الإسلام نفسه، وهو خلاف لا خوف منه على الدين، ولا بأس به مادام ناتجاً عن دراسة زريهة من أهل الاختصاص على أصول العلم، وإنما ذم القرآن من الخلاف ما كان راجعاً إلى الهوى وعوج العقول والتشهي ومؤدياً إلى التناوب والتحزب والنقائل بين أهل الدين، بعد ترك البيئات الظاهرة في النصوص المحكمة.

والخلاف طبيعة لا تزول، ذلك لأن أسباب الخلاف قائمة في طبيعة البشر، وطبيعة الحياة، وطبيعة اللغة، وطبيعة التكليف، فمن أراد أن يزيل الخلاف بالكلية فإنما يكلف الناس والحياة واللغة والشرائع ضد طبايعها، إلا أننا في مع هذا مأمورون بدرء النزاع والاجتماع على الحق بعد تحريره، كما في قول الله تعالى: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين)(١٠).

وقوله عز وجل: فإن تنازعتم في شئ، فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر(١١).

والخلافيات بين المذاهب محصورة أو يمكن حصرها، كما يمكن التقريب بين أكثرها، وهي ليست في أصل الدين، ولكنها في الفروع الفقهية وبعض الأصول التي يقوم عليها الاستنباط، وهذه الخلافات يمكن ردها إلى أسبابها، كما يمكن الوصول في أكثرها إلى قول واحد إذا قربنا بين المذاهب، وهذا دور من يقومون بعمل التقريب: اكتشاف الأرضية المشتركة بين المذاهب وتوسيعها، وتقليل الخلافات، ومحاولة الفصل في الأمور الاجتهادية، بما يلائم عصرنا، فكل عمل فقهي هو لعصره، ولذلك فالحاجة إلى الاجتهاد متجددة، ولا خير إن ظل هناك جانب من الخلاف لا يمكن حسمه، ولا يستطيع الفصل فيه برأي واحد، وذلك لتنوع النظر وتعدد المناهج في الاستدلال على الأحكام، ولا بأس بهذا الاختلاف، وخصوصاً في المسائل الفردية التي ليست ذات صفة عامة، أما المسائل العامة فحكم الحاكم يفصل في موضوع النزاع إذا لم يتفق الفقهاء فيها على قول واحد، وقد تقرر في الأصول أنه إذا حكم حاكم في مسألة خلافية، أن حكمه يرفع الخلاف، والمراد بالحاكم هنا كل من له سلطة شرعية، سواء كان السلطان، أو الوالي، أو القاضي أو نائبه(١٢) وفي عصرنا الحاضر تعد التشريعات التي تصدرها الجهات المختصة والقوانين الصادرة عن الدولة في الأمور الشرعية مندرجة تحت هذه القاعدة الفقهية.

ويجب أن نفهم أن الاختلاف في الأحكام الفقهية لا يناقض كمال الإيمان، فأهل الإيمان قد يتنازعون في بعض الأحكام، ولا يخرجون بذلك عن الإيمان، وقد تنازع الصحابة في كثير من مسائل الأحكام وهم سادات المؤمنين وأكمل الأمة إيماناً(١٣).

٩ - العمل الفقهي ينقسم إلى أصول وفروع، واختلاف الأئمة في الأصول ومناهج الاستدلال أدى إلى اختلافهم في الفروع، ولذلك ينبغي أن يعمل التقريب في الأصول والفروع معاً، وهناك الأصول التي اتفق عليها الأئمة والأصول التي اختلفوا فيها، والتقريب في هذا الجانب يناط به الاجتهاد في دراسة مصادر الأحكام التي نستفيدها من المذاهب الأربعة مجتمعة، فنأخذ من كل مذهب ما عنده من أصول تأخذ بيدنا إلى الحق، وأن ندع ما لا حاجة لنا به، ولسنا في حاجة إلى ابتداع أصول فقهية أخرى، ذلك لأن هذه الأصول قد استوت على سوقها ونضجت.

وليس من المبالغة أن نقول إن مناهج الأئمة في الأصول متقاربة أشد التقارب، بل لقد عبر أحد الدارسين عن أنها: «تكاد تكون واحدة في العدد، ولكن الاختلاف إنما هو في سعة الدوائر وضيقتها. فإن ضاقت دائرة الحديث، واتسعت دائرة الرأي عند الأولين، كان الأمر على العكس عند الآخرين، أما عدد الدوائر نفسها فتكاد تكون واحدة»(١٤).

أما الاجتهاد في الفروع فيتسع لانتساع الاختلاف فيها، ومقصده الوصول إلى الدليل ومعرفة وجه الدلالة فيه، والتخير من المذاهب الفقهية في حال غياب الدليل، ويكون هذا التخير على أسس منها مراعاة المصلحة والتيسير وتحقيق العدل والمساواة بين الناس، وإعمال مصادر الأحكام في ذلك من قياس واستحسان ومصالح مرسله وسد للذرائع واستصحاب وعرف وعادة وقواعد كلية فقهية.

١٠ - القطعيات (ثبوتاً ودلالة) قرأنا وسنة متواترة، لا مجال فيها لعمل التقريب بين المذاهب مادام تم الاتفاق عليها، وهي نوعان: أحدهما ما يعلم من الدين بالضرورة كالصلاة والصيام والزكاة والحج، والآخر ما خفي على بعض الناس كمقايير المواريث.

والإجماع الصريح المنقول نقلاً صحيحاً لا مجال للتقريب فيه، أما الإجماع غير الصريح ففيه الاجتهاد لمعرفة حجته وثبوته، ومن يقوم بهم الإجماع، ومن خالف فيه، وتغير الإجماع لتغير المصلحة إن كان الإجماع يقوم على مصلحة متغيرة.

وأما الظنيات ثبوتاً ودلالة، فهي مجال لعمل التقريب بين المذاهب، وأمثلتها:

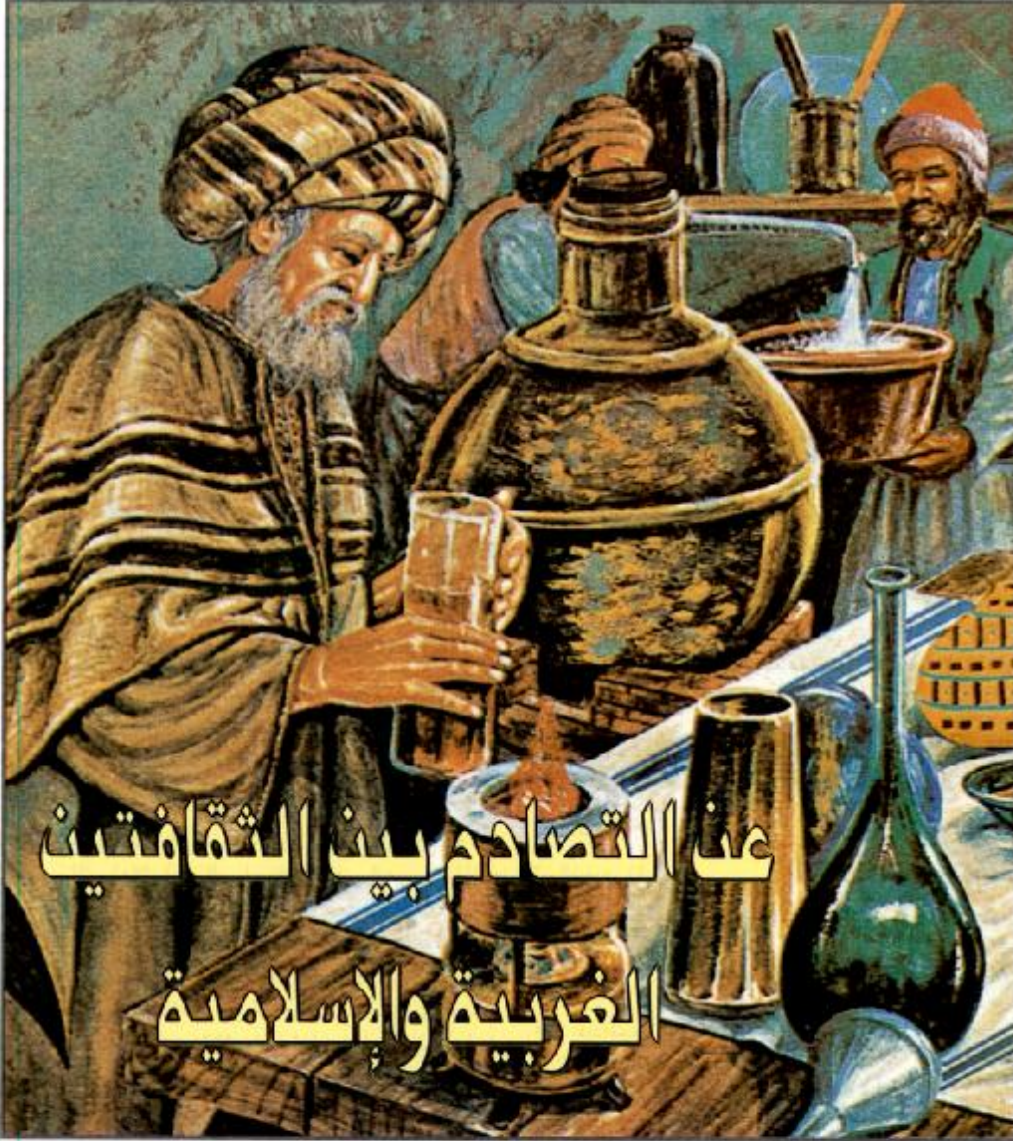
١ - قطعي الثبوت ظني الدلالة، مثل قول الله تعالى: (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء)(١٥)، وظنية الدلالة تأتي من فهم القرء: هل هو الحيض أو الطهر على خلاف في ذلك بين المذاهب والعلماء.

ب - ظني الثبوت قطعي الدلالة مثل قول النبي - ﷺ -: «إن الله أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث»(١٦) وهو ظني الثبوت لأنه حديث آحاد، إلا أن دلالته قطعية وعليها العمل.

ويتسع مجال الاجتهاد التقريبي ليشمل القواعد الفقهية، وأدلة الأحكام في المذاهب كما أسلفنا، ففي مجال القياس مثلاً، ترد الفروع والجزئيات إلى أصولها وتكشف علل الأحكام الباطنة أو حكمتها الظاهرة، وهكذا. ■

المراجع

- ١ - المائدة: ٢.
- ٢ - الشورى: ٢١.
- ٣ - إعلام الموقعين لابن القيم (٢٤٨/٣).
- ٤ - النحل: ٤٣.
- ٥ - د عبدالمجيد مطلوب: المدخل في التعريف بالفقه الإسلامي، ص ٢٢٤، إعلام الموقعين (١٦٤/٢).
- ٦ - انظر تفصيل ذلك في: إعلام الموقعين (٢٢٦/٤ - ٢٢٨)، حاشية ابن عابدين (٣٤/١)، أدب الفتوى لابن الصلاح ص ١٤٥ - ١٤٦.
- ٧ - إعلام الموقعين (٢٠١٢٠/٣)، وانظر أدب الفتوى لابن
- ٨ - حاشية ابن عابدين (٢٤/١).
- ٩ - أدب الفتوى لابن الصلاح، ص ٨٧-٩٠، والحديث رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان، وانظر إعلام الموقعين (٢٠٦/٤).
- ١٠ - الأنفال: ٤٦.
- ١١ - النساء: ٥٩.
- ١٢ - المغني (٤٥٠/٦).
- ١٣ - إعلام الموقعين (٤٠/١).
- ١٤ - أحمد أمين: ضحى الإسلام (٢١٢/٢).
- ١٥ - البقرة: ٢٢٨.
- ١٦ - رواه الترمذي وهو صحيح.



عنا التصادم بين الثقافتين الغربية والإسلامية

الحقيقة، ولكنْ تكونْ تلك الركيزة في الثقافة الغربية يعود إلى فترة أبعد من العصور الحديثة ويرتبط بالعصور الوسطى، فمن المعروف أن الكنيسة كانت تنطلق آنذاك في حكمها لأوروبا من نص الإنجيل المقدس، والذي كان ثابتاً والذي كانت تحتكر تفسيره، وعندما قامت حقائق علمية وكونية متعددة تناقض النص المقدس الثابت، وتناقض

إنْ نسبية الحقيقة إحدى الركائز التي تقوم عليها الثقافة الغربية منذ نهضة أوروبا الحديثة، ويربط المفكرون الغربيون بين تلك الركيزة وتغير الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المحيطة بالمجتمع، ويعتقدون أنْ تغير الحقائق الحياتية يقتضي نسبية



الحدود: كحد السرقة، والزنى، والحراية، والقفل العمدة إلخ... وفي مجال الأحكام: كتوزيع الميراث، وأخذ الربا إلخ... اعتبر جميع تلك النصوص خاضعة لاجتهاد رسم له حدين: أدنى وأعلى، وقد اعتبر أن سنة الرسول ﷺ هي اجتهاد محمد ﷺ، لتطبيق حدود الإسلام ضمن بيئة الجزيرة العربية، وبالتالي فإن تطبيقها ليس ملزماً لنا في شيء.

لا شك أن نسبة الحقيقة هي النظام الذي يشمل كل تلك الطروحات بدءاً من تشكك طه حسين في الوجود التاريخي لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وفي واقعة بنائهما الكعبة، ومروراً بربط الدكتور حسين أحمد أمين لحد السرقة بظاهرة الأملاك المنقولة، وباعتبار الدكتور نصر حامد أبو زيد السحر والجن والشياطين الفاظاً ذات دلالات تاريخية، وانتهاءً باعتبار الدكتور محمد شحرور جواز ترجيح الحد بين اجتهادين أعلى وأدنى... ولا أريد أن أكرر الحديث عن الخصوصية التاريخية التي جعلت ثقافة الغرب تقوم على نسبية الحقيقة، ولا أريد أن أفصل مناقشة رأي كل كاتب فيما يتعلق بالنصوص القطعية الثبوت الدلالة التي تعرض لها فقد فعلت ذلك في مواضع أخرى أو فعل غيري ذلك، ولكنني أرد موجزاً مختصراً فأتساءل: هل يجوز لطله حسين أن يرد نصوصاً قطعية الثبوت قطعية الدلالة في شأن وجود إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وفي شأن بنائهما الكعبة من أجل وجود أساطير مشابهة قبلها الرومان عن بناء روما من قبل باينياس بن بريام صاحب طروادة اليوناني؟ لماذا يربط الدكتور حسين أحمد أمين بين حد السرقة والأموال المنقولة ولا يربط ذلك بفعل السرقة الشنيع وما يشتمل عليه من ترويع وتخويف واعتداء على المسروق وما يصوره من طمع السارق وندائه وتطلعه إلى ما في يد الغير بغير حق مشروع؟ لماذا يعتبر الدكتور نصر حامد أبو زيد الكلمات: السحر والحسد والجن والشياطين الفاظاً ذات دلالات تاريخية؟ فهل نفى العلم بشكل قطعي وجود حقائق عينية لتلك الألفاظ حتى نعفي عليها ونعتبرها الفاظاً لا حقائق لها وذات دلالات تاريخية؟ لماذا يُخضع الدكتور محمد شحرور كل الألفاظ القرآنية للتحليل اللغوي المعجمي مع أن الإسلام أخرج كثيراً من الألفاظ من معناها اللغوي وجعلها مصطلحات أعطاهها معاني أخرى أمثال: الصلاة، الزكاة، الإيمان، الكفر، الحد إلخ... وعليه أن يحترم هذه المصطلحات عند أي بحث علمي؟

والآن أعود إلى نسبية الحقيقة التي تتصادم مع النص القطعي الثبوت القطعي الدلالة الذي يؤدي إلى ثبات الحقيقة وتجاوز الظروف التاريخية التي جعلت نسبية الحقيقة جزءاً أساسياً من ثقافة الغرب والتي تختلف عن ظروفنا التاريخية وأتساءل: هل حقاً ليس هناك ثبات في الحقيقة؟ ومن أين جاء النص القطعي الثبوت القطعي الدلالة في ثقافتنا الإسلامية؟ وما سنده الواقعي في صيرورة الكون؟

لقد جاء النص القطعي الثبوت القطعي الدلالة الذي يشير إلى ثبات بعض الحقائق من الفطرة الثابتة التي لا تتغير، قال سبحانه وتعالى: (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) الروم: ٢٠، فطالما أن هناك فطرة ثابتة لا تتغير، وهذا ما قادت الظروف التاريخية أوروبا لإنكاره، وليس بالضرورة أن يكون الصواب مع أوروبا. ■

تفسير رجال الكنيسة له ووقع التصادم المريع بين الدين والعلم، وكانت النتيجة اضطهاد رجال العلم بحجة مخالفة النص المقدس الثابت، ولكن الكنيسة انهزمت أمام الثورة عليها وأمام حقائق العلم، واعتبرت الثورة الدين عقبة في طريق العلم والتقدم، وصار الربط حينئذ بين النص المقدس وثبات الحقيقة، والعلم ونسبية الحقيقة.

ومنذ أن بدأ التفاعل بين الثقافتين: الغربية والإسلامية خلال الفترة الماضية، فإن أبرز صور التصادم كانت بين نسبية الحقيقة في الثقافة الغربية وبين النص القطعي الثبوت القطعي الدلالة في الثقافة الإسلامية، وسأعرض لبعض صور التصادم في السطور التالية.

من أول صور التصادم ما أثاره طه حسين في كتاب «في الشعر الجاهلي» عام ١٩٢٦م، فقد تعرض لنصوص قطعية الثبوت قطعية الدلالة تحدثت عن بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام للكعبة، وتشكك في تلك الحقيقة، وحتى في وجودهما التاريخي، وفي هجرتهما، ورأى أن قريشاً اختلفت تلك القصة لأسباب سياسية واقتصادية، ورأى فيها نوعاً من الحيلة لإثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة، وبين الإسلام واليهودية، والقرآن والتوراة من جهة أخرى.

ومن صور التصادم أيضاً حديث الدكتور حسين أحمد أمين في كتابه «حول الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية» عن حد السرقة الذي ورد في نص قطعي الثبوت قطعي الدلالة في قوله سبحانه وتعالى: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزءاً بما كسبا نكالاً من الله) المائدة: ٢٨، فقد ربط الدكتور بين ذلك الحد وبين الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية آنذاك، وبيّن أن العربي كان ينقل كل متاعه على راحلته، وإن سرقة تعني سلبه كل ما يملك من جهة، وتعني هلاكه من جهة ثانية، لذلك جاء الحكم بتلك الصورة لأنه مرتبط بالأموال المنقولة، والآن أصبحت الأموال غير المنقولة أثنى وأعلى من الأموال المنقولة لذلك فهو يقترح تغيير الحكم انطلاقاً من تغيير الوضع الاقتصادي.

أما الدكتور نصر حامد أبو زيد فقد تحدث في كتابه «نقد الخطاب الديني» عن النصوص القطعية الثبوت القطعية الدلالة في عدة مجالات منها: صفات الله وفي مجال آخر هو الحسد والسحر والجن والشياطين، وقد اعتبر أن الألفاظ الأخيرة مرتبطة بواقع ثقافي معين ويجب أن نفهمها في ضوء واقعها الثقافي، وإن وجودها الذهني السابق لا يعني وجودها العيني، وقد أصبحت الآن ذات دلالة تاريخية، والدكتور نصر حامد أبو زيد في كل أحكامه السابقة ينطلق من أن النصوص الدينية نصوص لغوية تنتمي إلى بنية ثقافية محدودة، تم إنتاجها طبقاً لنواميس تلك الثقافة التي تعد اللغة نظامها الدلالي المركزي، وهو يعتمد على نظرية عالم اللغة «دي سوسير» في التفرقة بين اللغة والكلام، وينتهي الدكتور نصر حامد أبو زيد إلى ضرورة إخضاع النصوص الدينية إلى المناهج اللغوية المشار إليها سابقاً.

أما الدكتور محمد شحرور في كتابه «الكتاب والقرآن: قراءة معاصرة» فقد اعتبر أن جميع النصوص القطعية الثبوت القطعية الدلالة في مجال الحياة الاجتماعية: كالنكاح، والطعام، وفي مجال

يا بلال والله عز المثل
في زمان يقل فيه الرجال
أنت في البذل والفضاء فريد
لم تطاول بلوغه الأبطال
قد رضيت الإسلام ديناً وهانت
كل بلوى وما ثناك النكال
ورضيت العذاب لم تتضجر
من صنوف الآلام حين تكال
فسبقت الأشراف علماً وعقلاً
حين حادوا عن هديه واستقالوا
حزت بالدين عزة وفخاراً
خلدته الأيام والأجيال
إن قلباً يرضى بذاك مطيعاً
لهو قلب يطيب فيه المقال
أسلموه نصيبه الحي منهم
وهو راض ولم يصبه الملال
جرجروه في كل حي وطافوا
ما عليهم فإنهم جهال
كادهم أن يروه جلدأ صبوراً
لم يخفه العذاب والأغلال
فأرادوا أن يرهبوه وخابوا
ليس كل المأمول دوماً ينال
أنت عبد تطيع أمري ذليلاً
ليس للعبد مهرب واحتيال

دعوة مفتوحة من بلال
رضي الله عنه لكل
المصطفدين في العالم وحتى
يعلّموا أن التصبر مع الصبر
ومناسبتها مفتوحة لكل زمان ومكان.

شعر : محمود محمد إبراهيم أحمد

المثال الفريد

أنا عبد أجل ولكن لربي
وله العز والثناء والجلال
ها هو الجسم فافعلوا ما أردتم
قطعوه أو حرقوه وغالوا
فهو للتراب لحمه ودماه
يأكل الدود عظمه والرمال
غير أن الفؤاد لن تملكوه
ومحال أن تكرهوه محال
لا تراعوا يا إخوتي من عذابي
فالأعادي هموا بما لم ينالوا
لا تبالوا بما جنوه كآني
دمية اللهو والعدا أطفال
لم تكن هذه القيود حديداً
بل سواريزينتي وجمال
هذه الصخرة التي وضعوها
فوق صدري تنن منها الجبال
لم تكن صخرة ولكن أراها
مثل حب الغمام إذ ينثال
والمهاد الذي طرحت عليه
حشوه الشوك والحصى والرمال
يتلظى في ساعة القيظ ناراً
لا تطيق المسير فيه الجمال
تحذر الطير أن تمر عليه
ما لجنب المجلود فيه احتمال
كان عندي استبرقاً وحريراً
فيه نعمى وظلة وأخضلال
ينسوا من عذابه فأرادوا
أن يبيعوا ولو أتى مثقال
فيجيء الصديق عجلان يقدي
ذلك الطود والهموم ثقالم
لم يكن حين عذبوه ضعيفاً
كان عزماً تزول منه الجبال

راودوه فلم يجبههم لشرك
وبريق الوعود: حر ومال
وأراهم من نفسه أي عزم
واباء تهضو إليه الرجال
أحد قالها وقد أرهبتهم
من صنيع المملوك صالوا وجالوا
اقتلوه وخلصوا الأرض منه
ما لهذا المسحور حي وآل
إن يعيش بينكم سيجلب شوماً
وتضيع الهيئات والأموال
فطريد الأحباش صلب عنيد
وبه سوف تضرب الأمثال
يا بلال كان العذاب شديداً
يوجع النفس حينما ينهال
لا تظنوا أنني رأيت عذاباً
كان حلماً بل إنه لخيال
إن صدق الإيمان في القلب أقوى
لم تزله الأحداث والأهوال
وجسوم العباد في الأرض تفتنى
والى الله ترفع الأعمال
«قبذا لم يكن من الموت بد»
فمن الفخر أن يموت الرجال
في سبيل الإسلام نقضي ليحيا
وليكن موتنا له والقتال
إن يكن ذلك في الإله فحسبي
أن تكون الجنان نعم المآل
حين شاع الإسلام في كل حي
قرت العين واستراح البال
فاحفظوا الدين إخوتي وأنشروه
ما بدا النجم واستدار الهلال

كيف تتجدد المعاني القرآنية



وقال الله تعالى: (كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون) فصلت: ٣.

قال ابن كثير في تفسيره: قوله تبارك وتعالى: (كتاب فصلت آياته) أي بينت معانيه وأحكمت أحكامه (قرآناً عربياً) أي في حال كونه قرآناً عربياً بليلاً واضحاً فمعانيه مفصلة والفاظه واضحة غير مشككة كقوله تعالى: (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) أي هو معجز من حيث لفظه ومعناه (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حمدي) وقوله تعالى: (لقوم يعلمون) أي إنما يعرف هذا البيان والوضوح العلماء الراسخون) انتهى.

وقال تعالى: (ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد) فصلت: ٤٤.

(وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتتذكر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير) الشعراء: ٧.

(إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) الزخرف: ٣.
(ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً لينذر الذين ظلموا وبشورى للمحسنين) الأحقاف: ١٢.

فتأكيد الآيات السابقة عربية القرآن لمواجهة فصحاء العرب وإعجازهم الإتيان بلسانهم، فلو كان العرب يستطيعون السيطرة عليه لأتوا بلسانهم، ولكنهم عجزوا لأسباب كثيرة منها اتساع معاني الكلمة العربية لتشمل أغلب المعاني اللغوية المنتشرة بين القبائل العربية، وهذا لا يستطيع أن يحيط به إنسان بكل جزئيات المعاني للكلمة الواحدة.

وتأتي أهمية البيان الدعوي بالعناية الخاصة بلسان الرسول المبعوث بلغة قومه قال الله تعالى: (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم) إبراهيم: ٤.

قال القرطبي في تفسير الآية: قوله تعالى: «ما أرسلنا من رسول» أي قبلك يا محمد «إلا بلسان قومه ليبين لهم» أي بلغتهم، ليبينوا لهم

نزل القرآن بلسان عربي مبين، وهذا اللسان العربي، يضم في ثناياه عدداً من المعاني في بيانه، وذلك حسب السياق والموضوع الذي يبحث فيه، كما فيه المعاني الظاهرة والمجتملة والمشاركة والمؤولة حسيماً هو معروف في علمي: علوم القرآن وأصول الفقه، وحتى يظهر بيانه يحتاج إلى الترجيح، وترجيح معنى على آخر يكون بقريضة ذاتية أو خارجية، وأحياناً بمرجح من السنة أو من فهم الصحابة رضى الله عنهم، وهذا الترجيح متعدد الأنواع، ومختلف الاتجاهات، حتى يصل الأمر أحياناً إلى معنيين أو أكثر، وكل من المعاني له نليله ومؤيده من الأئمة الأعلام.

قال الله تعالى: (وكذلك أنزلناه حكماً عربياً ولئن اتبعت أهواءهم بعدما جآك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق) الرعد: ٣٧.

إن اكتفاء المفسر بأحد المعاني يفلق باب التأمل والتدبر في كتاب الله تعالى

(ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يُلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) النحل: ١٠٣.
(وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرقنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يُحدث لهم ذكراً) طه: ١١٣.
(وإنه لتنزيل رب العالمين. نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين. وإنه لفي زُبر الأولين. أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل. ولو أنزلناه على بعض الأعجمين. فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين) الشعراء: ١٩٢ - ١٩٩.

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: (بلسان عربي مبين) أي هذا القرآن الذي أنزلناه إليك أنزلناه باللسان العربي الفصيح الكامل الشامل ليكون بيننا واضحاً ظاهراً قاطعاً للعدو مقيماً للحجة ليلياً إلى المحبة) انتهى.

وقال تعالى: (قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون) الزمر: ٢٨.

قال ابن كثير في التفسير: وقوله جل وعلا «قرآناً عربياً غير ذي عوج» أي هو قرآن بلسان عربي مبين: لا اعوجاج فيه، ولا انحراف، ولا لبس، بل هو بيان ووضوح وبرهان وإنما جعله الله تعالى كذلك وأنزله بذلك «لعلهم يتقون» أي يحذرون ما فيه من الوعيد ويعملون بما فيه من الوعد» انتهى.

أمر دينهم، ووحد اللسان وإن أضافه إلى القوم لأن المراد اللغة، فهي اسم جنس يقع على القليل والكثير، ولا حجة للعجم وغيرهم في هذه الآية، لأن كل من ترجم له ما جاء به النبي ﷺ ترجمه يفهمها لزمته الحجة، وقد قال الله تعالى: (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً) سبأ: ٢٨.

وقال ﷺ: «أرسل كل نبي إلى أمته بلسانها، وأرسلني الله إلى كل أحرر وأسود من خلقه» (١).

وقال ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار» أخرجه مسلم. انتهى

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: بينما رسول الله ﷺ مع أصحابه في يوم دجن،

إذا قال لهم: «كيف ترون بواسقها»

قالوا: ما أحسنها وأشد تراكبها!

قال: «فكيف ترون قواعدها»

قالوا: ما أحسن وأشد تمكينها!

قال: «فكيف ترون جريانها»

قالوا: ما أحسنه وأشد سواده!

قال: «فكيف ترون رحاها استدارتها»

قالوا: ما أحسنها وأشد استدارتها!

قال: «فكيف ترون برقها أو ميض أم خفق أم يشق شقاً؟»

قالوا بل يشق شقاً؟

قال: «الحياة الحياة إن شاء الله».

قال: فقال رجل: يا رسول الله بأبي وأمي ما أفصحك! ما رأيت الذي هو أعر بملك!

قال: فقال: «حق لي، وإنما أنزل القرآن بلساني، والله يقول: «بلسان عربي مبين» الشعراء: ١٩٥. (٢)

وتبرز أهمية المعاني المتجددة في تلاوة القرآن كخاصية أساسية من خواصه المتعددة والمتنوعة، وذلك في معالجة جميع المشكلات التي يعاني منها المسلم في مختلف الأزمنة والأمكنة.

وقد ورد في الأثر أن القرآن: (ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، رواه الترمذي (٣).

قال في تحفة الأجوذي شرح الترمذي: قوله: «ولا يخلق» بفتح الياء وضم اللام، وبضم الياء وكسر اللام من خلق الثوب إذا بلي، وكذلك أخلق «عن كثرة الرد»، أي لا تزول لذة قراءته وطراوة تلاوته، واستماع إنكاره وأخباره من كثرة تكراره، قال القاري: أي لا يصدر الخلق من كثرة تكراره كما هو شأن كلام غيره تعالى.

وهذا أولى مما قاله ابن حجر، من أن «عن» بمعنى «مع» انتهى. قلت: قد وقع في بعض نسخ الترمذي «على» مكان «عن»، وهو يؤيد ما

قاله ابن حجر «ولا تنقضي عجائبه» أي لا تنتهي غرائبه التي يتعجب منها، قيل: كالعطف التفسيري للقريتين السابقتين ذكره الطيبي» انتهى.

أي لا يجمد على معنى واحد بكثرة التلاوة، فالحالة النفسية للقارئ، ومدى تفاعله بالواقع، وقدرته العلمية، وتقواه وصلاحه، يؤهله بذلك أن يستنبط من المعاني ما لا يخطر ببال غيره، حتى ما كان ذلك الباحث يتوقع أن يخرج منه ذلك المعنى، وهذا سماه العلماء في كتبهم: بالفتح الإلهي أو بالفتح الرباني، أو بفتح الباري، أو بفتح القدير، أو بمنحة المعبود، فكل هؤلاء أقرؤا بالفتح المعاني بفصل من الله تعالى، وهذا أصبح ظاهرة عامة في كل عمل موسوعي إسلامي.

ومدام القرآن قد نزل بلغة العرب: (الر. تلك آيات الكتاب المبين، إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) يوسف: ٢.

قال ابن كثير في تفسيره: «وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها وأكثرها ثابته للمعاني التي تقوم بالنفوس، فلماذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات وابتدئ إنزاله في أشرف شهور السنة وهو رمضان فكمّل من كل الوجوه» انتهى.

وقال القرطبي في تفسيره: (لعلكم تعقلون) أي لكي تعلموا معانيه، وتفهموا ما فيه. وبعض العرب يأتي بأن مع «لعل» تشبيهاً بعسى، واللام في «لعل» زائدة للتوكيد، كما قال الشاعر:

يا ابتأ علك أو عساكا

وقيل: «لعلكم تعقلون» أي لتكونوا على رجاء من تدبره، فيعود معنى الشك إليهم لا إلى الكتاب، ولا إلى الله عز وجل.

وقيل: معنى «انزلناه» أي أنزلنا خبر يوسف، قال النحاس: وهذا أشبه بالمعنى، لأنه يروى أن اليهود قالوا: سلوه لم تنتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر؟

وعن خبر يوسف، فأنزل الله عز وجل هذا بمكة موافقاً لما في التوراة، وفيه زيادة ليست عندهم. فكان هذا للنبي ﷺ. إذ أخبرهم ولم يكن يقرأ كتاباً قط ولا هو في موضع كتاب - بمنزلة إحياء عيسى عليه السلام الميت على ما يأتي فيه» انتهى.

فالتعلل والتدبر في آيات القرآن مطلب قرآني، وذلك بحثاً وتنشيط العقل على استنباط المعاني، وفق منهج القرآن ومنهج اللغة العربية التي نزل بها القرآن.

وقد اعتاد كثير من المفسرين على ترجيح معنى على غيره، والانتصار له بشتى طرق الترجيح العقلية واللغوية، فإذا استبعد المفسرون في عصر من العصور أحد المعاني، فلا يلبث إلا أن يثبتته مفسرون آخرون في عصر لاحق.

إن اكتفاء المفسر بأحد المعاني عن طريق الترجيح وعدم سير جميع المعاني، وعدم إيرادها للمعاني الأخرى، يغلغق باب التأمل والتدبر في كتاب الله تعالى، الذي دعيناه إلى تدبره، وتأمّله، والتفكير فيه، والاعتبار عند عجائبه: الفكرية واللغوية والفقهية والعقدية والكونية والغيبية السابقة واللاحقة.

من أسباب إعجاز القرآن اشتماله على أغلب المعاني اللغوية المنتشرة بين القبائل العربية

وإن انتصار المفسر لأحد تلك المعاني على غيرها، حسب علوم ذلك العصر، وقدرة المفسر اللغوية، والفكرية، والعملية، وصفاته النفسية، وشغافيته الروحية، يؤدي لحال الجمود التي تنافي خصائص القرآن التجديدية، ولكن الحقيقة التي يراها كاتب هذه السطور، أن كل تلك المعاني مقصودة، ولكن تحتاج إلى من يستطيع كشف تلك المعاني، وذلك حسب الربط بين المعاني في السياق القرآني الموضوعي واللغوي، والربط بين الكلمات، والربط حسب معلومات العصر، والقدرة اللغوية المتجددة.

والجديد الذي نحب أن نطرحه للتأمل والتدبر والدعوة إليه هو: أن المعاني اللغوية للكلمة القرآنية جميعها مطلوبة التأمل فيها، وما على هذا العقل إلا أن يتدبر في استنباط المعاني وإظهارها حسب السياق القرآني، وذلك لاستنهاض العقول والهمم في استحداث المعاني المتجددة للقرآن.

وقد وفق كل التوفيق على تجلية هذه الفكرة عملياً، الإمام يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليميني في كتابه القيم: (الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز) في تفسير أخطر موضوع حساسية، لدى أهل السنة والجماعة، وهو حول معنى كلمة

«استوى» في قوله تعالى: (ثم استوى على العرش...) الأعراف: ٥٤، نعرضه فيما يلي، لنثبت كيف أن العالم الرباني: (ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) آل عمران: ٧٩، يستطيع هذا العالم الرباني أن يضع الأمور في نصابها، ويهدي الحيارى إلى رشدها، وكيف يستطيع ألا يستبعد أحد المعاني في أدق المواضيع التي تنزلق تحتها الأقدام، فإذا به يتبناها جميعاً ولا ينفىها، ويؤكد تفسيره لهذه الكلمة، القاعدة التي ادعو إليها، وهي: عدم استبعاد أي معنى لغوي ورد في اللغة، قال الإمام يحيى بن حمزة العلوي اليميني رحمه الله تعالى في مرشحه لقوله تعالى: (إن ربكم الله الذي خلق السموات

والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يُغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) الأعراف: ٥٤.

ويعد أن استعرض الإمام المعاني الرائعة الجميلة التي أظهرها في الآية كلمة كلمة، قال رحمه الله:

قوله: (ثم استوى على العرش) ظاهر الآية دال على أن الاستواء إنما كان بعد خلق السموات والأرض، وإمال أحوالهما، أما خلق العرش فليس في ظاهر الآية ما يدل على تعين وقت خلقه، فبقي الأمر فيه على الاحتمال حتى يدل دليل شرعي على ذلك. (٤)

ولأن العرش والكرسي من أعظم المخلوقات، لما خصهما الله تعالى من عظم الخلق، ولما اشتملا عليه من الأسرار الإلهية، والحكم المصلحية التي لا يحيط بعلمها إلا الله تعالى.

والاستواء فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون بمعنى الاستيلاء، يقال: فلان الملك قد استوى ملكه، أي استولى عليه وأحاط به، فلا يشذ عنه منه شيء.

وثانيهما: أن يكون الاستواء على حاله من غير تأويل، من قولهم: الأمير استوى على سرير مملكته، أي تمكن فيه. وتحقيقه: قعد عليه قعود المتمكن المستقر، لا قعود القلق المنزعج وكلاهما حاصل في حق الله تعالى:

فعلنى المعنى الأول: أن الله استولى على العرش وملكه وأحاط به علماً واقتداراً

وعلى الوجه الثاني: يكون على جهة التخيل كقوله تعالى: (يد الله فوق أيديهم) الفتح: ١٠.

وتقرير التخيل: أن الحالة الحاصلة للملك في الاستقرار والتمكن على تخت مملكته وسريره، هي حاصلته لله تعالى على عرشه، كما في قوله تعالى: (بل يداؤه مبسوطتان) المائدة: ٦٤، كما سنقرره في التخيل ونوضح أمثلته بمعونة الله تعالى.

وأتى به ثم «دون الغاء» ليدل بها على التراخي، ولأن نظام الآية يكون أسلس وأسهل، والسبب بها أتم وأعجب، وهذا يذوقه من جاد ذوقه، وسلم طبعه، عن عجرة الكلام، وزال عن العنجهانية في القول. انتهى قول الإمام يحيى رحمه الله.

فأنت تلاحظ كيف استطاع الإمام يحيى تقرير المعنيين مع التنزيه الكامل لله تعالى، فالعنى الأول يرد به على الفلاسفة الذين قالوا: إن الله تعالى خلق العالم ونظامه وتركه ولم يعد يتصرف به، فيأتي معنى استوى لاستوى، ليرد ذلك الزعم، فيثبت بأن الله تعالى أحاط بالعرش وما حوى فيه، علماً وقدرة وأنه على كل شيء قدير، وأنه على كل شيء وكيل، وأن المخلوقات كلها تستمد وجودها في كل لحظة وأجزائها، القدرة من القادر سبحانه وتعالى، وأنها كلها في قبضة الله تعالى، وبذلك تنقض مزاعم الفلاسفة.

وفي المعنى الثاني يقرر معنى الاستقرار للمملكة بأنها كلها تجري بمشيئة الله سبحانه، ودليل الاستقرار أنه لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه، فهو سبحانه المتفرد في الملكوت، وهو الفعال لما يريد في مملكته التي خلقها، لا أحد غيره سبحانه، يفعل ما يشاء لما يشاء كيف يشاء، وبهذا يصبح معنى الاستقرار له عظيم الفائدة في النفوس، بتقريبه إلى العقل، عن طريق التخيل، ليتوصل به إلى معاني التنزيه والتقريب بأن واحد، ومعاني العظمة في القدرة والتصرف في الملك.

وبمثل هذا التفكير تتفتح معاني القرآن، وتظهر أفكاره الكثيرة، وتتضح معالم العمق اللغوي والفكري، والربط بينهما مع آيات القرآن الأخرى.

بينما نجد مدرستين مختلفتين، منها من تمسكت بمعنى «استوى» له «استوى» ومنها من تمسكت بمعنى «استقر» له «استوى» وتنافرت المدرستان وتضادتا حتى وصل الأمر إلى التضليل، وأحياناً إلى التكفير بينهما، بينما نلاحظ أن كلا المعنيين له جانبه السامق، لو عبر عنه بنحو ما أسلفنا، وهو التنزيه والتعظيم، والتقريب والإثبات لآيات القرآن وفهمها بوساطة التخيل حسب المعاني اللغوية وسياق وموضوع الآية.

القرآن لا يجمد على معنى واحد بكثرة التلاوة وهذا هو المقصود من كونه لا يَخَلَقُ

والتخييل: هو اللفظ الدال لظاهرة على معنى، والمراد غيره على جهة التصوير.

ثم يشرحه فيقول: فقولُه هو اللفظ الدال على معنى بظاهرة. يحترز به عن اللفظ المشترك، فإنه غير دال على معنى بظاهرة فإنه لا ظاهر فيه، وإنما دلالاته على جهة البلية.

وقوله: والمراد غيره: يحترز به عن البصر، فإنه دال على معنى بظاهرة وهو المراد بنفسه لا يُراد غيره.

وقوله: على جهة التصوير: يحترز به عن سائر المجازات كلها.

وقال ابن أبي الأصبغ المصري (٥٨٥ - ٦٥٤هـ) في كتابه (تحرير التمثيل): «ومن شواهد في السنة قول الرسول ﷺ حكاية عن بعض النسوة في حديث أم زرع: «زوجي ليل تهامة، لا حر ولا برد، ولا وخامة ولا سامة» (٥) فعدلت عن لفظ المعنى الموضوع له إلى لفظ التمثيل، لما فيه من الزيادة، وذلك تمثيلها المدح، باعتدال المزاج، المستلزم حسن الخلق، وكمال العقل اللذين ينتجان لين الجانب، وطيب المعاشرة، وخصت الليل بالذكر لما في الليل من راحة الحيوان، وخصوصاً الإنسان، لأنه يستريح فيه من السكد

والفكر، ويكون الليل جعل سكتاً، والسكن الحبيب، ولا سيما قد جعلته ليلاً معتدلاً بين الحر والبرد، والطول القصير، وهذه صفة ليل تهامة لأن الليل يبرد فيه الجو، بالنسبة إلى النهار مطلقاً لغيبه الشمس، وخلوص الهواء، من اكتساب الحر، فيكون في البلاد الباردة شديد البرد، وفي البلاد الحارة معتدل البرد مستطية، فقالت: «زوجي مثل ليل تهامة، وحدقت أداة التشبيه، ليقرب المشبه من المشبه به، وهذا مما يبين لك لفظ التمثيل في كونه لا يجي إلا مقدراً به مثل» غالباً، ولا كذلك لفظ الإرداف، وإلا فانظر إلى قول صاحبتها في الإرداف: «زوجي رفيع العماد»

فتجدها قد وصفت بصيغة المبتدا والخبر، لكون الخبر غير المبتدا لا مثله، إذ لا يجوز ما هنا تقدير «مثل» في الكلام لتعلم أن لفظ الإرداف أقرب إلى لفظ المعنى من التمثيل. أهـ. (٦).

فاتضح من ضابط التخييل بتقدير «مثل»، ومن هنا نرى أن الآية الكريمة «ليس كمثله شيء» وهو السميع البصير الشورى: ١١، أفادت أن حصول التخييل يجب أن يصحبه نفي المائلة، وبذلك نفهم سبب ورود «كمثله» ولم يرد: ليس كشيء شيء، أو ليس كظهير شيء، لأن ضابط التخييل هو «مثل»، ومن هنا لم ينقل عن الصحابة رضوان الله عليهم الاختلاف بأيات الصفات لأنهم أكثر عمقاً باللغة العربية وفهماً لها من غيرهم والله أعلم بالصواب.

وقد استطاع الشهيد سيد قطب رحمه الله تعالى أن يتناول في كتابه «التصوير الفني في القرآن» جانب التخييل بالتصوير وأن يرقى إلى معنى عظيم، وذلك باستطاعته غرس فكرة التصوير القرآني للمعاني، وتقريبها من الأفهام، ليتناولها العقل بعد تصورها وتخييلها إلى معاني متعددة، وأفكار متجددة، وأن يحولها إلى واقع في الحياة.

ثم انتقل في «ظلال القرآن» إلى فكرة تصوير الواقع العملي في مكة

والمدينة، ليعيش القارئ الجو الذي تنزلت فيه الآية القرآنية، والجو الدعوي الذي تعيشه الدعوة في صراعها مع المشركين المعاندين، والمنافقين الكاذبين.

والتخييل هو الفارق بين الإنسان والحيوان، فوجود عقل الإنسان وقدرته على التخيل والتخييل، والتصور والتصوير لما ليس موجوداً محسوساً، وهو الفارق الأساسي حتى بين العقول البشرية، وهذا ما عبّر عنه القرآن بنعمة البيان التي من الله بها على الإنسان: (الرحمن: ٤ - ١)، فالنعمة علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان. (الرحمن: ١ - ٤)، فالنعمة والرحمة الكبرى هي الهداية، ثم الإيجاد، ثم البيان، ومن لم يتعلم البيان فقد فاتته خير كثير، لأنه لم يدرك الرحمة الإلهية فيه.

والإنسان يمارس في حياته اليومية البيان في كل شيء، فإذا رسم أو نطق «جبل» فهمه منه الشخص المقابل ويتصوره في ذهنه، وإن لم يكن الجبل حاضراً موجوداً الآن أمام كليهما، فعن طريق البيان يتعامل الناس حياتهم اليومية، فمالنا لا نتعامل به مع القرآن وهو قمة البيان؟ بل هو كلام صاحب واهب البيان الإنساني، أفليس جديراً الغوص في معاني القرآن وعدم إهمال أي معنى من معانيه أمر مهم وضروري؟! وأن يحصل التفكير في تبيان تناسبه وتناسب هذه المعاني مع الآيات القرآنية الأخرى، وبذلك يفتح باب قوله تعالى: (أفلا يتبدرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) النساء: ٨٢.

قال ابن كثير في تفسيره: «يقول تعالى أمراً لهم بتدبر القرآن ونهاياً لهم عن الإعراض عنه، وعن تفهم معانيه المحكمة والفاظه البليغة ومخيراً لهم أنه لا اختلاف فيه ولا اضطراب ولا تعارض لأنه تنزيل من حكيم حميد فهو حق من حق، ولهذا قال تعالى: (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) ثم قال: (ولو كان من عند غير الله) أي لو كان مفتعلاً مختلفاً كما يقوله من يقوله من جهلة المشركين والمنافقين في بواطنهم لوجدوا فيه اختلافاً أي اضطراباً وتضاداً كثيراً أي وهذا سالم من الاختلاف فهو من عند الله كما قال تعالى مخبراً عن الراسخين في العلم حيث قالوا: (أكنا به كل من عند ربنا) أي محكمة ومتشابهة حق فلهذا ردوا المتشابه إلى المحكم فاهتدوا والذين في قلوبهم زيغ ردوا المحكم إلى المتشابه فغفوا ولهذا مدح تعالى الراسخين وذم الزائغين.

قال الإمام أحمد - وأسنده عن عمرو بن عشيب عن أبيه عن جده قال: لقد جلست أنا وأخي مجلساً ما أحب أن لي به حمر النعم، أقبلت أنا وأخي وإذا مشيخة أصحاب رسول الله ﷺ على باب من أبوابه فكر هنا أن نفرق بينهم فجلسنا حجرة إذ نكروا آية من القرآن فتماروا فيها حتى ارتفعت أصواتهم فخرج رسول الله ﷺ مغضباً حتى احمر وجهه يرميهم بالتراب ويقول: «مهلاً يا قوم بهذا أهلكم الأمم من قبلكم باختلافهم على أنبيائهم وضريرهم الكتب بعضها ببعض إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضاً إنما نزل يصدق بعضه بعضاً فما عرفتم منه فاعملوا به وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه».

وهكذا رواه أيضاً عن أبي معاوية عن داود بن أبي هند عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم

إن جميع معاني الكلمة في القرآن الكريم مطلوبة لتوسيم دائرة التأمل

وناهياً عن الإعراض عنه فقال: (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) أي بل على قلوب أفعالها فهي مطبقة لا يخلص إليها شيء معانيه.

قال ابن جرير - وأسنده - عن هشام بن عروة عن أبيه رضي الله عنه قال: تلا رسول الله ﷺ يوماً (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) فقال شاب من أهل اليمن بل عليها أفعالها حتى يكون الله تعالى يفتحها أو يفرجها فمزال الشباب في نفس عمر رضي الله عنه حتى ولي فاستعان به انتهى.

وذلك لأن القرآن كلام الله تعالى: (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) فصلت: ٤٢.

الا: (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) ق: ٢٧. ■

والناس يتكلمون في القدر فكأنما يفتأ في وجهه حب الرمان من الغضب فقال لهم: «ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض بهذا هلك من كان قبلكم» قال: فما غيبت نفسي بمجلس فيه رسول الله ﷺ ولم أشهده ما غيبت نفسي بذلك المجلس أتي لم أشهده ورواه ابن ماجه من حديث داود بن أبي هن بن به نحوه.

وقال أحمد - وأسنده - عن عبدالله بن عمرو قال: هجرت إلى رسول الله ﷺ يوماً فإنا لجلوس إذ اختلف اثنان في آية فارتفعت أصواتهما فقال: «إنما هلك الأمم قبلكم باختلافهم في الكتاب» ورواه مسلم والنسائي من حديث حماد بن زيد به انتهى.

ويفتح باب قوله تعالى: (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) محمد: ٢٤.

قال ابن كثير في تفسيره: «يقول تعالى أمراً بتدبر القرآن وتفهمه

الهوامش

١ - روى الإمام مسلم عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة ويبعث إلى كل أمة وأمة... الحديث» ورواه أحمد والدارمي.

٢ - انظر تفسير ابن كثير سورة الشعراء آية ١٩٥.

٣ - والحديث بتمامه قال الترمذي حدثنا عبد بن حميد حدثنا حسين بن علي الجعفي قال سمعت حمزة الزيات عن أبي المختار الطائي عن ابن أخي الحارث الأعر عن الحارث قال: مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون ف بالأحاديث، فدخلت على علي فقلت: يا أمير المؤمنين! ألا ترى أن الناس قد خاضوا في الأحاديث؟ قال: وقد فعلوها؟ قلت: نعم، قال: أما إن قد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الأإنها ستكون فتنة»، فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله فيه نيا من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من ترك من جبار قسمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حيل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأرواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: (إننا سمعنا قرآناً عجياً يهدي إلى

الرشد فأمنا به)، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن كم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم» خذها إليك يا أعور! قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، وعفي الحارث مقال.

٤ - انظر إلى أدب هذا العالم، فهو لم يقطع، ولم يجزم، وإنما أحال إلى الدليل، والدليل في ما البخاري في صحيحه عن عمران بن حصين قال: إني عند النبي ﷺ إذ جاءه قوم من عند تميم فقال: «أقبلوا البشري يا بني تميم» قالوا: بشرتنا فأعطنا، فدخل ناس من أهل اليمن فقال: «أقبلوا البشري يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم» قالوا: قبلنا جئناك لتنتفقه في الدين، ولنسالك عن أول هذا الأمر ما كان؟ قال: «كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء»، ثم أتاني رجل فقال: يا عمران! أدرك ناقك فقد ذهبت، فانتقلت أطلبها، فإذا السراب ينقطع دونها، وأيم الله لو ددت أنها قد ذهبت ولم أقمه ورواه الترمذي وأحمد.

٥ - وتمام الحديث: أخرج البخاري عن عائشة قالت: جلس إحدى عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن إلا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً.

قالت الأولى: زوجي لحم جمل غث على رأس جبل لا سهل

فيرتقى ولا سمين فينتقل. قالت الثانية: زوجي لا أبيت خبزه إنني أخاف ألا أتره إن أكره أنكر عجره ويجره.

قالت الثالثة: زوجي العشيق إن أنطق أطلق، وإن أسكت أعلق.

قالت الرابعة: زوجي كليل تهامة لا حر ولا قر ولا مخافة ولا سامة.

قالت الخامسة: زوجي إن دخل فهد، وإن خرج أسد، ولا يسأل عم عهد.

قالت السادسة: زوجي إن أكل لف، وإن شرب أشنف، وإن اضطجع التف، ولا يولج الكف ليعلم البث.

قالت السابعة: زوجي غيايا، أو عيايا، طياقا، كل داء له داء، شجك أو فك أو جمع كلاً لك.

قالت الثامنة: زوجي انس مس أرب، والريح ريح زرب.

قالت التاسعة: زوجي رفيع العماد، طويل النجاد، عظيم الرماد، قريب البيت من الناد.

قالت العاشرة: زوجي مالك وما ملك، مالك خير من ذلك، له إبل كثيرات المبارك قليلات المسارح، وإذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك.

قالت الحادية عشرة: زوجي أبو زرع وما أبو زرع! أناس من خلتي أنسي، وسلا من شحم عضدي، ويجحني فججحت إلي نفسي، وجدني في أهل غنيمة ينق، فجعلني في أهل سهيل وأطيط ودانس ومثق، فعنده أقول

فلا أقبح، وارقد فأتصبح، وأشرب فأتفتح.

أم أبي زرع فما أم أبي زرع! عكوبها رداح وبينها فساح.

ابن أبي زرع فما ابن أبي زرع! مضجعة كمثل شطبة، ويشبعة نراع بنت أبي زرع فما بنت أبي زرع! طوع أبيها وطوع أمها ومل، كسانها وغيط جارتها.

جارية أبي زرع فما جارية أبي زرع! لا تبث حبيبتنا تبثنا، ولا تنتفت ميرتنا تنقينا، ولا تصلا بيتنا تعشينا.

قالت: خرج أبو زرع ولا وطاب تخض فلقني امرأة معها ولدان لها كالفهدين يلعبان من تحت خصرها برمانتين فطلقتني ونكحها، فنكحت بعده رجلاً سرياً، ركب سرياً، وأخذ خطياً، وأراح علي نعماً ثرياً، وأعطاني من كل راحة زوجاً وقال: كلي أم زرع وميري أمك.

قالت: فلو جمعت كل شيء أعطانيه ما بلغ أصغر أنية أبي زرع.

قالت عائشة: قال رسول الله] : «كنت لك كابي زرع لام زرع» رواه مسلم.

٦ - انظر الطراز: الصنف السابع، وانظر (تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن) لابن أبي الإصبع المصري ص ٢١٤. إشراف محمد توفيق عويضة طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بصر.

الرأي العام وأثره في المجتمع

ثمة مقولات كثيرة تلوّكها الألسنة، وتبرق بها وسائل الإعلام من كل حذب وصوب، ومن هذه المقولات مصطلحات من مثل «الرأي العام»، و«سلطان الرأي العام»، و«اتجاه الرأي العام»، و«قياس الرأي العام»، و«حسابات الرأي العام»، وما شابه.

كثير دوران هذا المصطلح على ألسنة وأقلام الكتاب والمراقبين والمحللين وأهل الفكر عموماً، فماذا يعنون بالرأي العام؟ وما أهمية هذا الرأي العام؟ وهل عمل الإسلام على تكوين الرأي العام؟ وما ضوابطه في ذلك؟ وهل يفسد الرأي العام؟ وما موقف المسلم من الرأي العام؟... أسئلة كثيرة قد تجيب عليها مقالتنا هذه.

والرأي العام لا يقتصر على السياسة، بل يتعدى ذلك إلى جوانب الحياة الأخرى كالطعام والشراب والسلوك وكل أمر له مساس بحياة الناس، فالرأي العام في البلاد العلمانية - أمريكا وأوروبا وروسيا وغيرها - لا يجد غضاضة في المخادنة، بينما الرأي العام في مناطق أخرى يرى أنها جريمة نكراء، والرأي العام في بلد يعتمد على مشروب القهوة «البن» اعتماداً كلياً في حياته، بحيث يتأثر به ارتفاعاً أو هبوطاً أو فقداناً كلياً أو ندرتة مرحلية غير الرأي العام في بلد لا تشكل القهوة في حياته أهمية تذكر بينما الأهمية لغيره... وهكذا...

أهمية الرأي العام وأثره في السلوك

وللرأي العام أهمية لا يستهان بها في تحديد مسارات سلوك الناس، ذلك أن الإنسان مدني بطبعه، ويجب أن يعيش في مجتمع يُقدّره ويحترمه، لذا يحرص على أن يتوافق مع مجتمعه ولا يخالف، ويفعل ما يرضي الناس وإن جار على ما يرضيه هو، وكثيراً ما يتنازل عن رأيه كلياً لرأي المجموع، أو يسلك سلوكاً يوافق المجتمع وإن كان لا يقره في داخله.

والرأي العام حاجز لمنع السلوك الخاطئ من الأفراد، خوف العار أو الآثار الاجتماعية المترتبة عليه أو على أسرته، لذا يتحسّب لكل فعل أو سلوك قد يُعاب عليه مستقبلاً وفي هذا التحسب ما فيه من ضبط السلوك

تعريف الرأي العام:



وفي رأينا المتواضع، أن الرأي العام هو: ما استقرّ عند الأغلبية من قناعة تملّي عليهم مشاعر ومواقف معينة تجاه أمر ما، وعندما نقول «الأغلبية» فهذا يعني أن هناك قلة من الناس ليست داخلية في هذه القناعة، ومن ثمّ لا تتصرف تصرف الأغلبية، وأغلب ما تكون هذه «القلة» من أهل الفكر وعلية القوم، أما الرأي العام فلحمته وسداه وجيشه اللجب فمن الطبقة المتوسطة، أو ما اصطلح على تسميته بالسواد الأعظم أو الدهماء، وعندما نقول «قناعة» فإنما نعني أنها حالة قابلة للتحويل، وهي تفرق كثيراً عن «العقيدة» التي لا تتبدل ولا تتغير كالأيمان بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر... إلخ، العقائد الراسخة، والقناعة أيضاً غير التقاليد، التي هي مواضع تواضع الناس عليها في بيئتها، ثم توارثوها كإرثاً عن كابر.

فالقناعة العقلية بأمر ما، قابلة للتحويل إذا اعترها ما يبدها، ومن ثمّ تتبعها المشاعر والمواقف تجاه الأمر ذاته، وطالما أنها قابلة للتحويل، فهي يقيناً قابلة للإيجاد من عدم، أو قابلة للتأثير أو التطوير أو التخطيط، ولذا قد نجد الرأي العام في إقليم تجاه قضية معينة يختلف - اختلافاً يبلغ حد التناقض - مع الرأي العام في إقليم آخر تجاه القضية نفسها، وأمامنا حرب الخليج وما أنتجت من تباين مواقف الرأي العام في أقاليم العالم العربي.

إذا استوتت
نفس المسلم
على الجادة
وأوت إلى ركن
مكين من
المقياس
الصائب في
التمييز بين
الفت
والسمين كان
لا خوف عليه

ونهضة الرغبات.

والرأي العام يعمل على تهيئة النفوس لقبول كل جديد، ومخالفة الرأي العام قد تؤدي إلى فتن وشورات، ولذا تحرص الحكومات على تهيئة الرأي العام قبل التجديد أو التطوير أو التغيير، فهي تسخر وسائل الإعلام من إذاعة وتلفاز وصحف ومجلات وخطب ومحاضرات وندوات لتسويق خطواتها قبل الإقدام على هذه الخطوات بمدّة كافية، حتى إذا اطمانت، مارست التغيير الذي تريد.

والرأي العام مسبار لاستكناه مقدرة اتجاه ما - سواء أكان حكومة أم هيئة أم جماعة - على توظيف قدراته التأثيرية في الإقناع، ومن ثم يكشف الفروق بين هذه الاتجاهات، فإذا قلنا إن الرأي العام الأمريكي مع اليهود مثلاً، تبين لنا قدرة اليهود على توظيف جهودهم في هذا المضمار، بينما كشف - الأمر ذاته - ضعف العرب والمسلمين في هذا الجانب.

والرأي العام ليس دائماً على صواب - لأنه قد يكون نتج عن تأثير قوى ضاغطة لها سلطان ونفوذ - كذلك لا يكون دائماً صالحاً، فقد يكون الرأي العام فاضلاً، وقد يكون فاسداً «كالإقرار بالفاحشة، مثلاً».

كيف عمل الإسلام على تكوين الرأي العام الفاضل؟

وقد اعتمد الإسلام في تكوين الرأي العام الفاضل في مجتمعه، على أسس ثلاثة رئيسة هي:

أولاً: العبادة، من صلاة وصيام وزكاة وحج... لتقوية الضمير المتصل بخالقه، الرقيب عليه في السر والعلن، ولو لم يكن هناك رقيب ظاهر من البشر، ولذا ينطلق المسلم من عقيدة راسخة بأن الله مطلع عليه في كل أفعاله وأحواله، وتذكّره بها عباداته المتنوعة المنضبطة الإيقاع في أزمان وأوقات محددة.

ثانياً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو ركن عظيم من أركان الإسلام، لخلق البيئة الصالحة التي يتألف معها المسلم، ويتعايش فيها العابد، أما عبادة من دون بيئة تعين فقلما تثمر، بل العابد - والحالة هذه - يتعرض لضغوط كثيرة وجاذب شتى تصرفه عن عبادته.

ثالثاً: تقوية حُلق الحياة لأن من يملكه الحياء لا يقدر على فعل ما يُعاب وإن نازعته في ذلك نفسه الجهول، ولا يُقصر في مطلوب منه ممدوح وإن استمالته للتقصير صوارف أنية ضاغطة، ولذا قال رسول الله ﷺ «الحياء لا يأتي إلا بخير» (١).

ضوابط صلاح الرأي العام

قلنا إن الرأي العام منه ما هو فاسد، وما هو صالح، والمطلوب شرعاً وعقلاً واجتماعياً تقوية الرأي العام الصالح - إن وجد أو إيجاده إن لم يكن موجوداً - ورفض

الرأي العام الفاسد، ومقاومة استقراره إن بدرت بوادره، لكن، ما الذي يحكم هذه العقلية؟ ومن الذي يقرر إن كان هذا الأمر فاسداً أو صالحاً؟ القضية تحتاج إلى ضوابط. والضوابط عندنا أربعة:

١ - الاهتمام بالقرآن الكريم، لأن الله خالق البشر ومدير الكون والعالم بصلاح أحوال خلقه يقول عن القرآن الكريم: (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) الإسراء: ٩٠، ويقول لأناس أعوجت مسالكهم: (قل الله أذن لكم أم على الله تفترون) يونس: ٥٩.

٢ - الاهتمام بالسنة النبوية المطهرة، لأن الرسول ﷺ مأمور من الله، وهو الحريص على هذه الأمة، ومن شأن الحريص ألا يدل إلا على ما فيه صلاح من يرعى، والإيمان لا يكتمل إلا بطاعته والسير في ركابه، قال تعالى: (وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) الحشر: ٧.

وقال: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) التوبة: ١٢٨. وقال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به» (٢).

٣ - الاهتمام بإجماع الأمة، والمعنى بالأمة هنا أهل العلم والصلاح، لا النعماء من الناس، ولا أهل البدع والأهواء وإن نالوا أعلى الشهادات، وتسنموا أرفع المناصب، فإن صلاح أهل العلم عاصم من الانحراف وقد قال ﷺ: «إن الله لا يجمع أمتي - أو قال: أمة محمد - على ضلالة» (٣).

٤ - موافقة العقل - المسترشد بما سبق من ضوابط - فالعقل الذي لا تكون مرجعيته الثلاث السابقات عقل يضل، فالعقل السليم وما ينتج عنه لا يختلف مع القرآن والسنة، قال تعالى: (أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) يوسف: ١٠٩، وهي دعوة لاستخدام الحواس والعقل في الوصول إلى الحق، وقال تعالى أيضاً: (وقالوا: لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) الملك: ١٠.

هذه عندنا ضوابط الحكم على الرأي العام إن كان صالحاً أو فاسداً.

إفساد الرأي العام

ويُفسد الرأي العام نتيجة عوامل معينة تؤثر فيه، فيصبح الناس وقد فسد تصورهم وتقديرهم للأمور، فيرون المنكر معروفاً، والمعروف منكراً، وتموت المروءات وتتبدل الحواس، فيرضى الناس بما كان لا يسلك لهم في خيط من قبل، وربما رآه غاية المنى، ومن المؤثرات التي تفسد الرأي العام ما يلي:

القناعة العقلية بأمر ما قابلة للتحويل إذا اعتراها ما يبدها

١ - نشر خبر الجريمة دون نشر عقوبتها معها، وذلك أن نشر خبر الشر، وجعله يظهر على السطح، والناس تتحدث عنه، ثم تنزل العقوبة بفاعله بعد زمن طويل، يكون الناس عندها قد خرجوا من حالة الشعور المؤلم الراض للشر، وهذا يؤدي إلى التألف معه، وبالتالي يغري الناس بالتساهل، ومن ثم يُجرئ ضعاف النفوس على التقليد، وكثيراً ما سمعنا بأن جريمة ارتكبت نتيجة لجريمة سابقة، ولذا حذر النبي ﷺ من إعلان الجريمة أو المجاهرة بالانحراف، واستعلان المعصية، قال ﷺ: «كل أمي معافى إلا الجاهرين، وإن من الإجهار أن يعمل العبد بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره ربه فيقول: يا فلان، قد عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، فيبيئ يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه» (٤)، وقال ﷺ أيضاً: «يا أيها الناس، قد أن لكم أن تنتهوا عن حدود الله... من أصاب شيئاً من هذه القانورات فليستتر بستر الله، فإنه من يُبد لنا صفحته، نقم عليه كتاب الله» (٥).

ب - ترك المنكر يستشري حتى يالفه الناس، فيمسي لا يُحرك فيهم نامة رفض ومن ذلك الإعلانات العارية والفاضحة للراقصات، الموضات الجديدة في لبس الناس وما تكشف من عورات، ودعوات الاختلاط في المناسبات تحت ذريعة التقدم أو التحضر.

ج - انتشار الأكاذيب والتهاويل، والاستطالة في سرد الأخبار والحوادث والقصص بإضافة زيادات لم تكن فيها، حباً في جذب جمهور القراء أو السامعين أو المشاهدين باسم الحرية الصحفية أو الإعلامية، تحت مظلة الديمقراطية، فتعمل هذه المسالك على دغدغة مشاعر الأغرار، ومن ثم استراجهم لتتبعها وانتظارها.

موقف المسلم من الرأي العام:

لقد هيا الإسلام المسلم ليكون واعياً فطناً، فحصنه ضد بهرجة الكثرة ووقر في حسه أن الكثرة لا تكون دائماً على صواب، وإنما مقياس الصواب الصحة في ذاته لا لكثرة الملتفتين حوله، وقد نزلت آيات كثيرة تصب في هذا

المجرى، منها قوله تعالى: (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) يوسف: ١٠٦، ومنها (... وإن كثيراً من الناس لفاسقون) المائدة: ٤٩، ومنها (إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) البقرة: ٢٤٣، (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يوسف: ٢١، وآيات كثيرة ميثوقة في سور المصحف، حتى إذا تهيأت نفس المسلم وتيقنت أن الصحة لا تكون حكماً لازماً مع الكثرة، ولا الخير ولا العلم ولا الصواب في صفها ضريبة لازمة، القى إليه بالحكم الفصل في توجيه رباني لنبيي ﷺ الذي هو أسوة المسلم وقوته، والخطاب إليه خطاب للمسلم في أي زمان وأي مكان فقال تعالى: (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله) الأنعام: ١١٦.

فالقضية إذن تمييز بين حق وباطل، لا انبهار بكثرة كاذبة، فقد تكون الكثرة خبيثة، فلا خير فيها عندئذ، والخير كل الخير مع القلة الصافية: (قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث) المائدة: ١٠٠.

فإذا استوت نفس المسلم على الجادة، وأوت إلى ركن مكين من المقياس الصائب في التمييز بين الغث والسمين، كان لا خوف عليه، وعليه أن يصطف مع الرأي العام الصالح، ويرفض الرأي العام الفاسد، ومقياس الصلاح ما قدمنا أنفاً «القرآن، والسنة، والإجماع، والعقل»، وتأتي النصوص تترى لتثبيت المسلم المؤمن في مواجهة معمران الحيرة، وضبابية الرؤية، وضغوط الباطل، وبهرجة الزائف، فيقول تعالى: (فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً) المائدة: ٤٤، (فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفك الذين لا يوقنون) الروم: ٦٠، ثم يأتي التوجيه النبوي المباشر الذي لا يحتمل تأويل ولا تخريجاً: «لا يكن أحدكم إمعة يقول: إن أحسن الناس أحسنت وإن أسأفوا أسأت، بل وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أسأفوا أن تجتنبوا إساءتهم» (٥)، وبذا تتحدد شخصية المسلم المستقلة المتميزة الواضحة الرؤية، السليمة النهج، ولا عليه من صيحات العوام، أو هيشات الطغام - من أن الانفراد بالرأي خروج على إجماع الجماعة - فقد قال ابن مسعود ﷺ: «الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحيدك» ■

الرأي العام ليس دائماً على صواب لأنه قد يكون نتج عن تأثير قوى ضاغطة لها سلطان ونفوذ

الهوامش

ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أسأفوا فلا تظلموا» وقال الترمذي: هذا حديث غريب (٢٤٦/٣) رقم (٢٠٧٥) وفي صحيح البخاري من قول عثمان ﷺ: الصفة أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسن الناس فأحسن معهم، وإذا أسأفوا فاجتنب إساءتهم، ج ١ ص ١٧٨ باب إمامة المفتون.

٤ - رواه مسلم، صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٢٩١ رقم ٥٢
٥ - رواه الإمام مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم، نقلاً عن فقه السنة لسيد سابق ج ٢ ص ٣٦٤.
٦ - هكذا أحفظه مذ كنت على مقاعد الدرس صغيراً، وما وجدته في سنن الترمذي من حديث حذيفة ﷺ - قال رسول الله ﷺ: «لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا، وإن

١ - متفق عليه من رواية عمران بن حصين - رضي الله عنهما - وفي رواية لمسلم «الحياء خير كله» انظر رياض الصالحين، كتاب الأدب، باب الحياء وفضله ص ٢٩٠.
٢ - قال النووي في أربعينه: هذا حديث صحيح، انظر المشكاة ج ١ ص ٥٩ رقم ١٦٧.
٣ - حديث صحيح، انظر مشكاة المصابيح ج ١ ص ٦١ رقم ١٧٢.

المفكر الإسلامي د . عبدالحليم عويس لـ : الوعي الإسلامي



في ظل الواقع المؤلم الذي تعيش الأمة الإسلامية تحت إنقاضه وتتلظى بنيرانه وفي هذا الجو المشحون بالذسائس والمكائد والتريص إلى جانب السباق المحموم للإجهاز على المسلمين والقضاء على موارث الإسلام ومقدساته.. وسط هذا كله من المكر والخيانات والتنازلات.. فإذا بخيط رفيع من النور يتدلى ليضيء الطريق نحو الخلاص والخروج من دائرة الأزمة وإذا بجيل الصحوة الإسلامية الواعد الذي ينتشر الآن من الخليج إلى المحيط ومن جزر الفلبين شمالاً إلى سواحل الهادي جنوباً.. هذا الجيل الذي تتعلق عليه آمال الأمة العظام ليستعيد شباب الإسلام ومجده وعنقوان حضارته، وفي هذا اللقاء مع أحد رموز الصحوة الإسلامية المفكر الإسلامي الدكتور عبدالحليم عويس الأستاذ بجامعة الزقازيق وعضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية... التقينا به لاستلهام رؤاه حول الصحوة الإسلامية ما لها وما عليها.. وحول القضايا الإسلامية الشائكة وكيفية البحث للخروج من مأزق التبعية والاستنادة الفكرية.. وهذا هو نص الحوار:



د . عبدالحليم عويس

تطبيق الشريعة

بشكلها الواعي

يضع قطار

المسلمين فوق

القضايا الصحيحة

الإسلام حسم الخصومة المصطنعة بين الدين والعقل

● هناك معركة مفتعلة في الأونة الأخيرة يروج لها العلمانيون والشيوعيون وهي قضية «العقل والنقل»... ترى ما مدلول هذه المعركة وأبعادها؟

- نعم... في الإسلام يستحيل تعارض النقل والعقل... فليس كما يزعم البعض أن العقل أولاً ويزعم آخرون أن العقل ثانياً... فليس في القضية أولاً ولا ثانياً... فالعقل الرشيد ابن شرعي للوحي الصحيح... ومن أبرز مهام الوحي تكوين العقل بعيداً من التقليد والتعصب والجزئية والعمى والجمود واستلاب الغرائز والضلال وتحكم الهوى والأثرة والعنصرية والتحيز والجهل وغيرها من صور الضغط والتوجيه التي تمنع العقل أن يرى الصورة كلها وأن يضع الأمور في نصابها وأن ينتهي إلى الحكمة الراشدة والرأي الدقيق المحيط بالسديد.

ولو أن الصحابة رضي الله عنهم انشغلوا بهذه المسائل مثلنا لتاكلوا داخلياً، ولما جيشوا الجيش وفتحوا القوتوحات ونشروا دين الله في الأفانق.

إن البناء الإسلامي منذ قام وهو يتكئ على تشابك خيوط الوحي والعقل معاً فإذا كان الأساس وحياً، فإن طبيعة الوحي لم تكن من مواد مناقضة للعقل أو عسيرة الاستيعاب بالنسبة له وليس في القرآن الكريم ولا في

المخلصين أن تكون المطالبة بتطبيق الشريعة لعلاج الانحدار الأخلاقي عملاً من أوجب الضرورات.

وبعد أن أفلست - في عصرنا الحديث - كل النظريات المستوردة والقوانين الوضعية، وأصبح المسلمون، بل البشرية كلها على شفا جرف هار، وانتشرت في ظل غيبة شريعة الله كل المويقات من القتل والاغتصاب والسرقات والرشوة وتجارة المخدرات والربا والخمور... إلخ، أفلا يحق للمسلمين في كل قطر إسلامي العمل على تطبيق الشريعة بعد أن أفلست أمامهم النظريات الوافدة وبعد أن منوا بكل الهزائم في ظلال القوانين الوضعية التي يسهل كل السهولة النفاذ من ثغراتها لتتحقيق كل الجرائم وحماية كل المجرمين!

أجل... إن الأمة الإسلامية في عصر الصحوة تنادي من أعماقها وتستصرخ ولاة

في مختلف بلدان العالم الإسلامي على وجه الخصوص؟

- اتفقنا على أن هناك صحوة إسلامية... إذن كيف تعتبر إسلامية إذا لم يكن جوهرها شريعة إسلامية... ومهما التزمنا نحن المؤمنون بهذا الدين العظيم بالتسامح وبالدعوة الحكيمة وبإقامة الجسور بيننا وبين كل الناس، فإننا لا نستطيع أن ننكر أو نخفي أننا نرؤى ونسعى لتطبيق شريعة الله... إنها حلمنا وهدفنا من كل كتاباتنا ونشاطاتنا.

والذين يتخيلون «صحوة إسلامية» لا تسعى لتطبيق الشريعة إنما يخدعون أنفسهم وأمتهم... فليس هناك «أمة إسلامية» من دون شريعة إسلامية أنها في هذه الحال أمة من الورق!!

إن تطبيق الشريعة سوف يضع قطار

سنة الرسول صلى الله عليه وسلم الصحيحة ما يتناقض مع العقل الصحيح.

وفي ضوء هذا نقول: إن علاقة الوحي بالعقل لم تكن مطروحة في عصر الرسالة أصلاً لأن الصحابة رضي الله عنهم وهم أصحاب عقول صافية نقية لم يكتشفوا تناقضاً بين حقائق الإسلام والفطرة والعقل والمبادئ البسيطة التي تعارف عليها الوعي الإنساني وقد كان الصحابة مشغولين بتغيير أنفسهم وتغيير العالم ولم يكونوا مشغولين بفلسفة الأشياء وفلسفة العالم وإغراق أنفسهم في مناهات جدلية شبيهة بمناهات عصور السفسطة الجدلية.

إن بعض ما كان علماً في السابق في مجال الطب أو الجغرافيا أو الفلك قد أصبح خرافة مضحكة في عصرنا الحديث، وبعض ما هو موجود في عصرنا مثل الفاكسميلي والطائرة والكمبيوتر والهاتف كان خرافة غير معقولة في الماضي.

لكن الإسلام واجه البشرية منذ البداية بالإمكانية العقلية الكاملة للإبداع وكان حادث الإسراء والمعراج بداية تأكيد هذا الأساس وبالتالي فلم يظهر في عصور القوة الإسلامية ذلك التعارض الوهمي بين ما هو وحي وما هو عقل، ولم يطرح استقهام حول أسبقية الوحي أو العقل ومع أن الوحي كان السابق بيقين منذ علم الله آدم الأسماء كلها إلا أنه في الإسلام بخاصة لم يعقل تعارض الوحي مع العقل أبداً.

وقد حسم الإسلام الخصومة المصطنعة بين الدين والعقل وحرر الإنسان من أزمة الصدام بين الدين والعلم ولهذا فليس الإسلام في حاجة إلى العلمانية لأن الأسباب التي أدت إلى العلمانية في أوروبا لا مكان لها في الإسلام والزعم الشائع في تاريخ الفكر الإنساني بأن هناك صراعاً مستمراً وتناقضاً أبدياً بين الدين والعقل أو بين الدين والعلم لا ينطبق بحال من الأحوال على الدين الإسلامي فكلاهما - الدين والعقل - يشكلان في الإسلام وحدة واحدة تتشابه أنسجتها تشابكاً محكماً.

الإسلام جوهره

● ما تفسيركم لتلك النداءات التي تحارب تطبيق الشريعة الإسلامية



د . عبدالحليم عويس

أكبر انحراف في العملية التربوية هو الذهاب إلى استيراد المناهج الغربية والنظريات الوضعية

أمورها ومفكرتها المخلصين تناديهم أن يفودوها في رحلة العودة إلى تطبيق الشريعة وأن يكونوا مخلصين في تحقيق هذا المطلب المصري مهما واجهتهم الضغوط الصليبية أو الصهيونية أو الشيوعية أو عملاء هذه التحديات.

● وماذا عن رأيكم نحو موقف الذين يرون إرجاء أو تأخير قضية تطبيق الشريعة الإسلامية واعتبار أنها ليست من أوليات العمل الإسلامي؟

- إنه شيء أشبه بالخيال أن يجد المسلمون وهم يقامون الغزو الثقافي الأوروبي أن هناك بعض جماعات ينضمون إلى صفوف الأعداء... فتارة يحاربون الشريعة بحجة أن الإسلام عقيدة شخصية وأنه لا نظام فيه!

وتارة يقولون بضرورة «التطور» بدون ثوابت! أو يقولون بأن الإسلام مجرد كليات أقرب إلى المواظف الأخلاقية أو يشككون في

المسلمين فوق القضببان الصحيحة ليتجهوا الوجهة الصحيحة في التاريخ، وسوف يقدمون النموذج الإنساني والأخلاقي للحياة، ذلك الذي تبحث عنه - الالهة - إنسانية اليوم القاتنة.

فالشيء الطبيعي أن يحارب أعداء الإسلام تطبيق الشريعة وصياغة الحياة وفق مبادئها.

وفي رأيي - أن الذين يقاومون تطبيق الشريعة لا يمكن أن يكونوا مسلمين إذا كانوا واعين بما يفعلون، فهم بسلوكهم هذا يلغون خمسمائة آية قرآنية صريحة الدلالة أنه نوع من الكفر وإلا فيماذا نسمي إلغاء خمسمائة آية على أقل تقدير.

ويجب علينا أن نعلم أن الدعوة إلى تطبيق الشريعة مع الصحوة الإسلامية لم تتواكب عيباً أو مصادفة، فالذي يعي المستوى الأخلاقي الذي انحدرت إليه الأمة الإسلامية سوف يدرك كم كان ضرورياً لدى كل

والمالية من الفائدة وكل صور الربا والاحتكار والفساد - وهذا امر ميسور جداً بعد نجاح تجربة البنوك الإسلامية وشركات المال والتأمين الإسلامية.

بتطبيق مبدأ الشورى في كل المؤسسات والأجهزة صغيرها أو كبيرها ... هذه الحلول المستقيمة النافعة

انحراف العملية التربوية

● ما تفسيركم لمحاولات التغريب التي اكتسحت العالم العربي والإسلامي على السواء... خاصة في العمليات التربوية والتعليمية والتثقيفية؟

- إن العملية التربوية لابد أن تكون ذات صلة بالبيئة، بتحديات البيئة وبمستوى البيئة ولا بد أن تكون ذات هدف بالنسبة لمواصفات البيئة وعاداتها... وإلا فإنها ستكون كقصيدة شعر إنجليزي تلقى على مسامع من لا يعرفون كلمة في الإنجليزية ويبدو أكبر انحراف في العملية التربوية هو الذهاب - دون وعي - إلى استيراد مناهج للتربية قد لا تكون صالحة للتربية وللارض التي يراد غرس بذور التربية فيها... ومظاهر هذا الانهيار كثيرة جداً في العملية التربوية، ولم يستطع المجتمع العربي أن يرسو على حال صحيح كما أنه لم يهدأ لحظة واحدة من الصراع الذي ينهك قواه ويشل حركته.

وبما أن المناهج المستوردة والعمليات التغريبية، والمحاولات التعليمية التي لم تراعى ظروف التراث والتطور التاريخي والوضعيات الاجتماعية والفكرية... كلها لم تنجح ولا يمكن أن تنجح في زرع الفكرة التغريبية الدخيلة، مكان النبض القلبي الأصيل فإن الشك والقلق والضياح كان هو الحصاد لوضعية من هذا النوع.

وكما لم يلتزم العرب تربوياً وفكرياً... فإنهم لم يلتزموا عسكرياً وسياسياً وعقائدياً!!

ووسط هذا التيه والحيرة والضياح... توالى على العرب نكبات من كل جانب، ووجد أعداؤهم الحضاريون الفرص سانحة لزرع كل بذور الشقاق بينهم وتحويلهم إلى أمم بعد أن كانوا أمة، وإلى عقائد بعد أن كانوا عقيدة وإلى عناصر متصارعة بعد أن كانوا يخضعون لرأية واحدة!! ■

ليس مفروشاً بالورد

● ترى إن ما الطريق لتطبيق الشريعة الإسلامية وسط هذا الخضم من الآراء والمقترحات والجهود المبدولة؟

- لا ينكر أحد من المفكرين المسلمين أن الطريق لتطبيق الشريعة ليس مفروشاً بالورد فإن القوى الخارجية تنريص بالمسلمين وتحول بينهم وبين شريعتهم بكل الطرق، كما أن الغزو الفكري الثقافي قد أوجد طبقة مسلمة «عازلة» تقاوم عودة الأمة إلى دينها، بالإضافة إلى كثير من الاتجاهات الفاسدة التي تراكمت كالاقتصاد الربوي والإعلام الهابط وهي تحتاج إلى جهود متدرجة في تغيير مجراها... ومن هنا فالفكر الإسلامي الحديث يمنع من عمليات التمهيد، والتدرج في كثير من القضايا التي تحتاج لهذا

د. عبدالحليم عويس

الإسلام حرر الإنسان من أزمة الصدام بين الدين والعلم



التدرج... لكن مع ذلك لا نملك إلا أن نقول: إن هناك مغالطات لابد من قضاها في موضوع تطبيق الشريعة الإسلامية، فبعض الدول تزعم أنها في طريقها للتطبيق منذ سنوات طويلة وقد شكلت لذلك لجاناً استغرقت سنوات طويلة لتطوير القانون البحري حتى يوافق الشريعة... أما القانون البري الذي يعيشه كل الناس في كل يوم فأت يأخذ الدرجة الثانية.

إننا لا نمانع في التمهيد لتطبيق الشريعة لكن هذا التمهيد لا يكون بالإعلانات المتكررة عن لجان التقنين ولكن التمهيد يكون:

بتنقية التلفاز من الأفلام المخلة والصحافة من الحرب على تطبيق الشريعة قولاً أو فعلاً والمذيع من الأغاني الماجنة. بتنقية المناهج الدراسية في المدارس والجامعات من كل ما يخالف الشريعة والإسلام كله، بتوفير العمل الشريف لكل المحرفين حتى لا يتاجروا بأنفسهم حتى لا تكون لهم حجة في التطبيق.

بتنقية الاقتصاد والمؤسسات التجارية

الأحاديث وقيمتها، أو يقولون بأن العصر يوجب قصر هذه الأحكام على عصر السلف... وهذه تهدف إلى إلغاء الشريعة وتحويل الإسلام إلى عقيدة ميتة كالعقائد المنتشرة في الأرض... مع كل ذلك فالواقع يشهد أن الشريعة الإسلامية وقفت - كما يراها أبناؤها وخصومها - شامخة قادرة على استيعاب كل مشكلات العصر... متجاوزة كل مراحل التشكيك والأرجاء، والتعطيل التي يتعمل بها خصومها من الخارج والداخل.

ومن هنا بدأ أعداء الشريعة يغيرون مواقفهم وقسموا صفوفهم قسمين، قسم يحارب تطبيق الشريعة بوضوح شديد ما دام تطبيق الشريعة قد أصبح مطروحاً طرماً علمياً، بل بدأ تطبيقه فعلاً في بعض البلدان وهؤلاء معروفون سواء كانوا من القوى

الخارجية المعادية للإسلام ديناً وحضارة صليبيين كانوا أو يهوداً، أو وثنيين أو شيوعيين ظاهرين أو مستترين أم من عملاء هذه القوى الذين حاولوا إخفاء هويتهم لكن الأمة كشفتهم.

وقسم آخر يحارب تطبيق الشريعة بنفاق شديد... وهذا الصنف هو الميكروب المؤذي الذي يدخل إلى الأحشاء ويحاول أن يغزو العقول بمغالطاته المفضوحة ويجرأته العمياء على دين الله وقوله فيه بالهوى، ويكاد هذا الصنف أن ينسخ شريعة الله وأن يهدم قواعدها قاعدة قاعدة وهو مع عدم تخصصه ومع انقطاع صلته بالشريعة يمنح نفسه حق القول فيها أكثر مما يسمح للعلماء والمتخصصين الذين اتصلت كل حلقات حياتهم بالشريعة، فهو وحده المجدد والفقهي والعصري.

والمهم أن هذين القسمين تصديا لتطبيق الشريعة وكانا السبب المباشر في إيقاظ الوعي العام لدى المطالبين بتطبيق الشريعة، من واقع الشعور بالغيرة والمسؤولية.



منذ أن نشأت العلمانية وهي تحاول أن تضرب بجذورها في التربة العربية والإسلامية، مستخدمة في ذلك كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة. وقصة العلمانية في بلادنا هي في الحقيقة صراع بين بلادنا المسلمة والاستعمار كأخر حلقة من حلقات التحدي الوثني الأوروبي المتسريل بقشرة مسيحية مزورة (١).

العلمانية...

فطر على الأمة الإسلامية

فما هي العلمانية؟

يقرر المرحوم الدكتور محمد البهي: أن العلمانية منسوبة - على غير قياس - إلى العالم أو العالمة.

ويراد بالعلمانية فكرة إبتار «الفهم» المادي للعالم، وسلوك «الاتجاه الدنيوي» في تصريف شؤون البشر، وسن القوانين لتنظيم حياة الإنسان على هذه الأرض (٢).

والعلمانية بالإنجليزية SECULARISM وترجمتها الصحيحة: اللادينية أو الدنيوية، وهي دعوة إلى إقامة الحياة على غير الدين، وتعني في جانبها السياسي بالذات: اللادينية في الحكم.

وينبغي أن نعلم أنه اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم SCIENCE والمذهب العلمي SCIENTISM (٣).

أفكار العلمانيين وأهدافهم (٤)

١ - العداة المطلق للكنيسة أولاً، وللدین ثانياً أياً كان، سواء وقف إلى جانب العلم أم عاداه.

٢ - إقامة حاجز سميک بين عالمي الروح

والمادة، والقيم الروحية لديهم قيم سلبية.

٣ - فصل الدين عن السياسة وإقامة الحياة على أساس مادي.

٤ - الحياة تقوم على أساس العلم المطلق وتحت سلطان العقل والتجريب.

٥ - تطبيق مبدأ النفعية «البراكتيكية» على كل شيء في الحياة.

٦ - اعتماد مبدأ «الميكانيكية» في فلسفة الحكم والسياسة والأخلاق.

٧ - نشر الإباحية والفضوى الأخلاقية وتهديم كيان الأسرة باعتبارها النواة الأولى

في البنية الاجتماعية.

عقيدة العلمانيين (٥)

١ - بعض العلمانيين ينكرون وجود الله أصلاً!

٢ - وبعضهم يؤمنون بوجود الله، لكنهم يعتقدون بعدم وجود أية علاقة بين الله وبين حياة الإنسان.

٣ - إنكار الآخرة وعدم العمل لها واليقين بأن الحياة الدنيا هي المجال الوحيد للمتعة والملذات.

أهداف العلمانيين نحو الإسلام (٦)

أما معتقدات العلمانية في العالم الإسلامي والعربي التي انتشرت بفعل الاستعمار والتبشير فهي:

١ - الطعن في حقيقة الإسلام والقرآن والنبوة.

٢ - الزعم بأن الإسلام استنفذ أغراضه وهي عبارة عن طقوس وشعائر روحية.

٣ - الزعم بأن الفقه الإسلامي مأخوذ عن القانون الروماني.

العلمانية بدأت

في أوروبا وصار

لها وجود سياسي

مع ميلاد الثورة الفرنسية

٤ - الزعم بأن الإسلام لا يتلاءم مع الحضارة ويدعو إلى التخلف.

٥ - الدعوة إلى تحرير المرأة وفق الأسلوب الغربي.

٦ - تشويه الحضارة الإسلامية وتضخيم حجم الحركات الهدامة في التاريخ الإسلامي والزعم بأنها حركات إصلاح.

٧ - إحياء الحضارات القديمة.

٨ - اقتباس الأنظمة والمناهج اللادينية عن العرب ومحاكاته فيها.

٩ - تربية الأجيال تربية لا دينية.

نشأة العلمانية

من المشهور أن العلمانية بدأت في أوروبا وصار لها وجود سياسي مع ميلاد الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩م، وقد عمت أوروبا في القرن التاسع عشر وانتقلت لتشمل معظم دول العالم في السياسة والحكم في القرن العشرين بتأثير الاستعمار والتبشير (٧)

ويرجع المؤرخون السبب الحقيقي من وراء نشأة هذه الدعوة الخبيثة إلى أنه كان رد فعل لتحكم الكنيسة المسيحية في أوروبا في شؤون الناس طوال القرون الوسطى وانحرافها عن النهج القويم، وممارساتها الظالمة للرعية، ووقوفها في وجه البحث العلمي وتطوره، وتكريسها تقسيم المجتمع إلى طبقات ثلاث هي:

أ - طبقة الإكليروس: وهم كهنة الكنيسة والقساوسة والرهبان، وعلى رأسهم «البابا» الذي كان بمثابة ملك ملوك أوروبا، ولهذه الطبقة قداسة مستمدة من قداسة الكنيسة، ولا يجوز معارضة قراراتها مهما كانت مجحفة.

ب - طبقة النبلاء والأشراف: وهم أصحاب الإقطاعيات الكبيرة، وعلى رأسهم الملك أو الأمير الحاكم، ولها من الرعية الطاعة العمياء ما دامت متمتعة برضا الكنيسة، ولهذا الرضا ثمنه المقرر من تبادل التأييد، واقتسام المغنم على حساب الشعب الخاضع.

ج - طبقة العامة: والذين هم غالبية الشعب من زراع وصناع وصغار تجار، وعليها كل الواجبات من قيام بالأعمال المختلفة، ودفن للضرائب الباهظة وخدمة للسادة، ولا حقوق

العلمانية بكل مدارسها وتياراتها ورموزها مشبوهة الارتباطات مشبوهة الأهداف

لها تذكر في واقع الأمر (٨)

ونجح الاتجاه العلماني في بسط سيطرته على الدولة في أوروبا، وبخاصة الدولة الفرنسية، حيث كان من نتيجة الصراع بين الكنيسة من جهة، وبين الحركة الجديدة من جهة - ولادة الحكومة الفرنسية سنة ١٧٨٩م، وهي أول حكومة لا دينية تحكم باسم الشعب، وهناك من يرى أن الماسون استغلوا أخطاء الكنيسة والحكومة الفرنسية وركبوا موجة الثورة لتحقيق ما يمكن تحقيقه من أهدافهم (٩)

كما نجح الاتجاه العلماني في إبعاد الكنيسة الممثلة للدين المسيحي عن شؤون السياسة والحكم، وحصر نشاطها في داخل الكنائس، وفي دويلة رمزية بلا شعب ولا أرض هي دولة «الفاتيكان» على جزء صغير من مدينة «روما» بإيطاليا، من باب إرضاء خاطر، وتذكراً لماضٍ عتيق باد واندثر (١٠)

وعلى الصعيد الإسلامي:

استطاع الاستعمار أن يطبق العلمانية ويفرضها فرضاً على معظم بلاد العالم الإسلامي بوسائل ضغط عديدة وبواسطة أنظمة وحكومات تابعة له، خاضعة لتوجيهاته، فطبقها تطبيقاً كاملاً في «تركيا»

معتقدات العلمانية

في العالم الإسلامي والعربي انتشرت بفعل الاستعمار والتبشير

المسلمة، مستغلاً ظروف هزيمتها في الحرب العالمية الأولى، بعد أن كانت مفرراً للخلافة الإسلامية، وطبقها تطبيقاً شبه كامل في أغلب البلاد الإسلامية الأخرى التي ابتليت به، ولمّا رحل الاستعمار عنها عسكرياً، بقيت هذه الأنظمة ذات الصبغة العلمانية «الكاملة أو الغالبة»، بقيت محتفظة بهذه الصبغة دون تغيير أو تعديل، بل كرستها ودافعت عنها، واعتبرت من يخرج عليها خارجاً على الدولة مناهضاً لها (١١)

الرحلة التاريخية للعلمانية (١٢)

وأرى أن قصة العلمانية هي قصة الصراع بين الحضارة الوثنية الأوروبية أو آخر فصول هذا الصراع مع الحضارة الإسلامية، وهذا الصراع ممتد في التاريخ والجغرافيا وشهد الكثير من المراحل وأخذ الكثير من الملامح حسب الزمان والمكان.

وهذا الصراع بدأ مبكراً جداً في حياة الرسول ﷺ، الذي أدرك بفراسته، ونبوته أن هذا الصراع سيشكل المساحة الأكبر في تاريخ الإسلام، ووضع له الأسس الصحيحة وهي أن الهجوم خير وسائل الدفاع، وهكذا خاض المسلمون في حياة الرسول ﷺ - الكثير من المعارك ضد الدولة البيزنطية وحلفائها، على اعتبار أن هذه الدولة تمثل في ذلك الوقت المواقع المتقدمة للحضارة الأوروبية الإغريقية والرومانية، واستمر الصراع بعد الرسول ﷺ - والتاريخ يحدثنا عن نتائج تلك الصراعات والتي تمثلت في الفتوحات الإسلامية، تلك التي عثت العالم.

ولكن عندما أحسست أوروبا بالخطر الشديد، قررت تغيير التكتيك من الصدام العسكري مع المسلمين إلى الاختراق الثقافي والسياسي، ومن خلال هذا الاحتكاك المباشر والذي وصل إلى قلب أوروبا عن طريق الأندلس إلى جنوب فرنسا وسويسرا، وعن طريق العثمانيين إلى كل أوروبا الشرقية ومن خلال جزر البحر المتوسط كان من الممكن أن يعرف الأوروبيون حقيقة الإسلام فيدخلوا فيه، وقد حدث هذا بالفعل في أكثر من مكان أوروبي مثل ألمانيا واليونان والهرسك وكوسوفو وغيرها، وكان لابد لأوروبا من جهاز للدعاية لحماية رعاياهم من الأثر الإسلامي، ونشأ من هنا الاستشراق الذي كان في البدء محاولة لمعرفة الإسلام

قصة العلمانية هي قصة الصراع بين الحضارة الوثنية الأوروبية والحضارة الإسلامية

أو دعوة إلى الفرعونية وغيرها من الدعوات المقيتة التي تستهدف استبعاد الإسلام، أو هؤلاء الداعين إلى الكتابة باللغة العامية نكابة في اللغة العربية وعزلاً لها، وبالتالي عزل القرآن الكريم عن الواقع حتى يضحى كل تراثنا تلامس عن أبنائنا، يحتاج لمن يترجمه لهم، أو هؤلاء الذين يدرسون في الإسلام ما ليس فيه أو يهيولون التراب على قيمه الثابتة.

كلمة أخيرة

يجب أن نتيقن: أن العلمانية بكل مدارسها وتياراتها ورموزها مشبوهة الارتباطات، مشبوهة الأهداف (١٣)، وكلها تصب في النيل من الإسلام وإبعاد المسلمين عن دينهم، وتحقيق أطماع الأوروبيين وضمان استبقاء نفوذهم في ديار المسلمين، ونهب ثرواتهم، والحيلولة بينهم وبين تحقيق الرقي والرخاء والحياة الآمنة الكريمة. (١٤)

ومن الواجب علينا أن نعلم: أن لليهود دوراً بارزاً في ترسيخ العلمانية، من أجل السيطرة، وذلك من أجل إزالة الحاجز الديني الذي يقف أمام اليهود حائلاً بينهم وبين أمم الأرض. (١٥)

حفظ الله أمتنا الإسلامية من شرور العلمانيين وأذنانهم، وأمن مقدساتنا من بغيهم، وجعل كيدهم في نحرهم، إنه سبحانه على ما يشاء قدير، وهو نعم المولى ونعم النصير. ■

من هؤلاء وأولئك نشأت العلمانية وهي محاولة للتفريغ الثقافي الذي يخدم مخططات الغرب أو محاولة لزرع القيم الثقافية الأوروبية فينا، وكل هذا جزء من مخطط واضح المعالم معروف الأهداف.

وقد فضح نابليون نفسه هذا الأمر في رسالته إلى كليبر الذي يقول فيها: «اجتهد في جمع ٥٠٠ أو ٦٠٠ شخص من الممالك أو من العرب ومشايخ البلدان لتأخذهم إلى فرنسا فحتجزهم فيها مدة سنة أو سنتين يشاهدون فيها عظمة الأمة الفرنسية ويعتادون على تقاليدنا ولغتنا وعندما يعودون إلى مصر يكون لنا منهم حزب ينضم إليه غيرهم».

وهكذا وجدنا كل الدعوات العلمانية: من دعوة إلى القومية العربية لضرب الوحدة الإسلامية وتقطيع أواصر المسلمين.

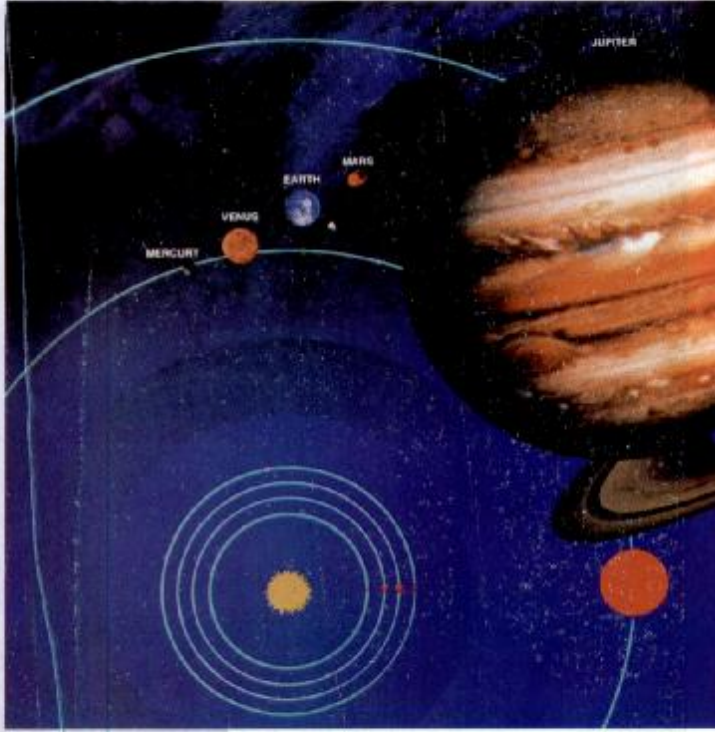
بهدف تشويه صورته في عيون الأوروبيين، ومع حالة النوم والاسترخاء التي عاشها العالم الإسلامي طمعت أوروبا في ذلك الوقت فيما هو أكثر من ذلك بعد أخذها بأسباب العلم والقوة، فتحول جانب من الاستشراق إلى تجسس أوروبي مباشر وغير مباشر على الدول الإسلامية، لمعرفة نقاط الضعف والتجهيز لحملة صليبية جديدة، تحت اسم الاستعمار، وكذلك نشأ التبشير، ومن الاستعمار والتبشير والاستشراق بدأت الحملة الصليبية الجديدة التي انتهت بسقوط الخلافة العثمانية ووقوع معظم بلاد العالم الإسلامي في قبضة الاحتلال الأوروبي، وحدث تطور جديد في الاستشراق فكان لا بد أن يمنع أي محاولة للنهضة في العالم الإسلامي وأي محاولة للمقاومة، وذلك بطمس معالم القوة في الثقافة الإسلامية وإحداث ما سمي بـ «التفريغ الثقافي»، وهذا التفريغ الثقافي يقوم على تشكيل مدرسة ثقافية محلية تتلمذ على يد مستشرقين، وتردد نفس رؤيتهم للإسلام واللغة العربية والآداب الإسلامية وغيرها، وهكذا وجدنا أنفسنا أمام تيارين أسوأ من بعضهما:

التيار الأول: هو هؤلاء الذين ينظرون إلى الثقافة الإسلامية والآداب واللغة، بل والدين بمنظور المستشرقين، وفضلاً عما في هذا الأمر من تأمر واضح فإنه أيضاً أمر غريب وعجيب لأنه من البدهي أنه مهما كان المستشرق قد وصل في تعلم اللغة العربية أو الآداب فإنه سيظل مجرد تلميذ في هذا الإطار ولا يمكن أن يتحول إلى أستاذ أو صاحب مدرسة لأنه نشأ وتعلم واكتسب ثقافته في أرضية ثقافية أخرى، وبدهي أن أحداً لن يفهم لغة أو ثقافة ما إلا إذا كان ابناً لهذه اللغة ولهذه الثقافة.

أما التيار الثاني: وهو الذي التقطته أوروبا وعلمته بحيث أصبح غريب التفكير والسلوك وحصل على العلوم وخاصة الاجتماعي منها من منظور أوروبي، فهذا سيأتي إلينا للتبشير بالقيم الأوروبية مباشرة، أي أننا أمام تيار كامل تقريباً أو تيار يفهم اللغة والآداب، بل والدين من منظور المستشرقين وهو منظور سطحي في أحسن الفروض أو مشبوه في أسوأها.

الهوامش

- ١ - العلمانية - النشأة الخبيثة: محمد السيد عامر، ص ٦٤، (مقال منشور بمجلة الوعي الإسلامي: العدد ٣٦٦، ذو القعدة ١٤١٦هـ).
- ٢ - العلمانية... مفهومها ومنشؤها، ونقدها، وبيان موقف الإسلام منها: للدكتور محمد عبدالمنعم العربي، ص ٢ وهامشها، «بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر: العدد الخامس عشر، سنة ١٤١٥هـ».
- ٣ - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض، ص ٣٦٧، الطبعة الثانية - سنة ١٤٠٩هـ.
- ٤ - المرجع السابق: ص ٣٧١، ٣٧٠.
- ٥ - انظر المرجع السابق: ص ٣٧١، ٣٧٠.
- ٦ - المرجع نفسه: ص ٣٧١، ٣٧٠.
- ٧ - المرجع نفسه: ص ٣٧١.
- ٨ - انظر العلمانية: للدكتور محمد عبدالمنعم العربي: ص ٥، ٤.
- ٩ - راجع الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص ٣٦٨.
- ١٠ - انظر العلمانية: للدكتور محمد عبدالمنعم العربي: ص ٥.
- ١١ - المرجع السابق: ص ٦.
- ١٢ - العلمانية... النشأة الخبيثة: ص ٦٤، ٦٥.
- ١٣ - المرجع السابق: ص ٦٥.
- ١٤ - العلمانية: للدكتور محمد عبدالمنعم العربي: ص ١١.
- ١٥ - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: ص ٣٧١.



لقد تم اختراق ثلاث فضاءات جديدة للمعرفة الإنسانية، قلبت التصور الإنساني السائد، ودفعت حركة التاريخ باتجاه جديدة، وكونت العالم الحديث، وبأكورة النهضة الغربية.

إنها ثلاث رحلات: الأولى في الجغرافيا، والثانية في البايولوجيا في جسم الإنسان، والثالثة في الفلك.

في الوقت الذي كان فيه ماجلان في العشرين من سبتمبر أيلول من عام ١٥١٩م يشق فيه طريقه عبر «صحاري» المحيطات المائية اللانهائية، كانت هناك مغامرات أخرى من نوع مختلف لارتياح مجاهيل جديدة، في الفجة السماوية فوق رؤوسنا، في الكون الكبير، وفي أيداننا التي نحملها كل يوم، في مستوى العالم الصغير. وفي عام ١٥٤٢م، تم صدور كتابين يعتبر كل واحد منهما ثورة في اتجاهه، الأول هو كتاب كوبرنيكوس في «دورات الأجسام السماوية»، والثاني هو «تركيب الجسم البشري» للمشرح فيساليوس، وبذلك وضعت خرائط جديدة لسطح الأرض، والجسم الإنساني، والفلك.

في الوقت الذي كان فيه ماجلان يعبر بحر الظلمات «الأتلانتيك»، ثم يلتف حول أمريكا الجنوبية عند رأسها السفلي ليصل إلى المحيط الهادئ «الباسفيك»، ليصل بعدها إلى جزر الفلبين، ويثبت بذلك - وعملياً - كروية الأرض، ويرسم بذلك خريطة جديدة للكرة الأرضية، كانت خريطة السماء تتغير شيئاً فشيئاً ليتشكل كون جديد وعالم مستحدث على يد كوبرنيكوس، كما أن بدن الإنسان بدا وتحت مبعض المشرحين الجدد يتم الكشف فيه عن بديع خلق الله.

بهذه الاختراقات الثلاث تغيرت صورة العالم بشكل جذري، فلم تعد السماء تلك السماء التي نحدق النظر إليها، كما لم تعد الأرض تلك الأرض التي نطأها بأقدامنا، كما لم يعد الجسم ذلك الشكل البسيط الذي نلظنه، بل أصبح أشبه بماكينه هائلة التعقيد (وهو ليس كذلك!!).

ولكن كيف حدث هذا ودقعة واحدة؟

كيف نمت روح المغامرة عند ماجلان فهده تفكيره أن يصل للمشرق بواسطة الإبحار غرباً؟ كيف تجرأ فيساليوس أن يضع جلد الإنسان تحت المبعض؟ ويطرح السؤال الحيوي عن مصير الدم الذي ينطلق من القلب، أين مصيره؟ وكيف يتسنى له الرجوع إلى القلب مرة أخرى؟ وليس هناك من اتصال بين الشرايين والأوردة؟

كيف استطاع كوبرنيكوس أن يخالف الكنيسة بكل ضعفها الرهيب، وتعليماتها الوثوقية الدوغمانية، ليقول إن الأرض ليست بعد اليوم مركز الكون، بل هي تابع بسيط يدور حول الشمس من أصل تسع كواكب؟ ومنظر العين يقول إن الشمس هي التي تدور؟ بل وكيف يمكن التخلص من ضغط مسلمات بطليموس التي أصبحت أغلالاً في أعناق الناس فهي إلى الأذقان فهم مقمحون!!

ذلك أن بطليموس كان يرى أن الأرض لو مشت ودارت حول محورها ولم تكن ثابتة لطارت الأشياء من فوقها!! أو إذا قنفت بشيء إلى السماء لم يعد إلى مكانه الذي انطلق منه، حيث غادره من تحته بحركته!!

هل الوصول إلى أرض «التوابل» هو الذي حرك ماجلان ليقوم بهذه الرحلة التي استغرقت ثلاث سنوات، يقتل فيها ماجلان نفسه في جزيرة صغيرة في الفلبين، وليرجع من أصل ٢٦٥ بحاراً (١٨) فقط، ومن السفن الخمس سفينة واحدة هي «فيكتوريا» أصغر السفن حجماً، وأحقرها شأنًا، وأضعفها تسليحاً وتمويناً؟ (٢).

ما الذي دفع كوبرنيكوس إلى هذا المركب الوعر ليقول بفكرة تُعتبر لإناس ذلك اليوم شيئاً إداً، وأمرأ عظيماً منكرأ؟

ما الذي حمل فيزاليوس على شطب آراء أرسطو وجالينوس وأبقراط في الطب، بل يقول إنه مصاب بالدهشة لاستنتاجات جاليونس التي توحى أنه لم يشرح جنث الأنمين مطلقاً؟ (٣)، لماذا تحدث مثل هذه الانفجارات الاجتماعية، والزلازل العقلية، والتحولات النوعية في وقت قصير متقارب؟

وحتى يمكن تصور الفقرة النوعية للفكر الجديد، من خلال سيطرة الفكر اليوناني السابق الذي بلغ من الشمول والسيطرة على العقول برجة أن أسناد فيزاليوس نفسه اعتبر تفكيره وقحاً ومعتدياً على آراء القدامى، ومن أجل تطويق الفكر الجديد الذي يفقا العين

جيوردانو

برونو وتحت

سحر «التأمل

الإبراهيمي»

للكون قال :

إن الشمس لا

تمثل شيئاً

من هذا الكون

الضيق

الممتد

هنا أن الكوسمولوجيا الكونية اليوم ترى أن الشمس التي نعيش حولها هي كوكب في ركن مجرتنا «الطريق اللبني» وليست في مركز المجرة، ويوجد في مجرتنا نحو مائة مليار نجم مثل شمسنا التي تدور حولها، وأما مجرتنا الحبيبية فهي أيضاً تنقسم إلى عالم المجرات التي يبلغ عدد المجرات فيه نحو مائة مليار مجرة، وليس هذا فقط، بل الكون الذي نعيش فيه يبلغ من العمر نحو عشرين مليار سنة، وهو يتمدد منذ ذلك الوقت من دون توقف، مثل البالونة التي تنتفخ نحو مصير مجهول لم يستطع العلماء الكونيون الكشف عن سر توجيهه الأكيد حتى الآن (لا يجليها لوقيتها إلا هو)، فإين مجمع الكرادلة الذي أدان جيوردانو برونو وطالب بإحراقه، والذين خاطبهم برونو بقوله: «ربما كنتم يا من نطقتم الحكم بأعداسي أشد جزعاً وخشية مني أنا الذي تلقيتهم» ليطلع على هذه المعلومات الجديدة المثيرة (هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً).

إن جيوردانو برونو وتحت سحر «التأمل الإبراهيمي» للكون فقال إن الشمس لا تمثل شيئاً من هذا الكون الفسيح الممتد، من مجموعات شمسية لا يحصى العدد، ولا ينفذ إليها البصر، ولا يصل إليها خيال، تأمل معي هذه الفقرة من كلامه التي كلفته حياته وهو في الثانية والخمسين من العمر: (هناك في الطبيعة أضداد، وقوى متعارضة، ومتناقضات، ولكن يعمل الكون بأسره بمشيئة الله تتوافق كل المتضادات وتختفي، ووراء التنوع المحير الساحر في الطبيعة توجد هناك وحدة أزوع وأشدّ عجباً، تظهر في كل الأجزاء، وكأنها أعضاء، في كائن واحد، إنها وحدة تسحرني، فأنا بقوة هذه الوحدة حر ولو كنت مستبعداً، سعيد في عمرة الحزن، غني في حماة الفقر، حي حتى في الموت» (٥).

إن الذي أطلق العقل الأوروبي بعد فترة التخمر من الفكر العربي الإسلامي واليوناني لمدة قرتين، هو التخلص من المسلمات العقلية، والعادات الفكرية، التي تشل التفكير وتمنع الإبداع، وإيجاد الحلول للمشاكل، بالسرعة المثلى، والمردود الأقصى.

إن الذي حرض «كويرنيكوس» ومن بعده «تيكويراهي» و«كلبر» و«جاليلو» للوصول إلى تأمل جديد للكون هو التخلص من ضغط المسلمات السابقة على العقل، حتى يعمل العقل بشكل حر واستقلالي، وللوصول إلى تفسير أكثر شمولاً، وأعظم دقة، وأقرب للصحة، وأنع وأقية.

إن هذه العقدة «عقدة الأباتية، والإرهاب الفكري، والوصاية على العقول، واحتكار الفهم النهائي والمطلق لكل شيء»، وادعاء القنص والقبض على الحقيقة الحقيقية المطلقة، والاتهام بالزندقة والهرطقة لكل من يختلف في التأويل، والفهم المضاد، والتي يجب أن تعتبر على العكس رحمة لتسمية جو البحث العلمي، إذ لا نمو



بحقائق الواقع، والمحافظة على قدسية جالينوس فقد اعتبروا أن جالينوس لم يكن مخطئاً أبداً في التشريح، ولكن جسم الإنسان هو الذي اعتراه التغيير (٤)؟؟

وحتى يمكن معرفة ضغط الفكر الذي كان سائداً في تلك الأوساط، فيمكنني أن تعرف عصير جيوردانو برونو، الذي دُشن مطلع القرن السابع عشر بإحراقه حياً في ١٧ من فبراير من عام ١٦٠٠م، وكانت جريمته التي أحرقت من أجلها بعد إنزال طويل ومعاناة نفسية مرعبة في سجون ومحاكم التفتيش في إيطاليا لمدة ثماني سنوات (١٥٩٣م - ١٦٠٠م) شي، نضحك له هذه الأيام، فقد اعتبر أن ما جاء به كويرنيكوس محدوداً ناقصاً، واعتبر أن الشمس ليست مركز الكون كما تصور كويرنيكوس، صحيح إنه وافق كويرنيكوس أن الأرض تدور حول الشمس، وهي ما تعتبر لوحدها هزيمة تلك الأيام، ولكنه أضاف أن شمسنا ليست أكثر من كوكب من مجموعات لانتهائية من الكواكب التي تشكل عوالم أخرى غير عالمنا، ففكرة العوالم الأخرى التي ثبتت عندها ولم يتراجع كلفته الحرق حياً، ويبقى أن نضيف

نمت روح
المغامرة عند
ماجلان فهده
تفكيره أن
يصل للشرق
بواسطة
الإبحار غرباً
٥٥

من دون خلاف، ولا تآلق من دون تفاعل، ولا إنجاز مدمش من دون حوار عقلاني خصب» هي أم الأمراض، وانتبه الإمام ابن تيمية إلى أن العلماء يخطئ بعضهم بعضاً عند الخلاف، في حين أن المبتدعة يكفر بعضهم بعضاً.

من هنا تأتي أهمية ممارسة النقد الذاتي لأفكارنا من دون توقف، وبإصرار ومن دون ملل ولا رحمة، لأن قوانين الكون أعوص وأعقد مما نتصور، وكل ما نحصله من الكون هو في الواقع صوراً ذهنية لا أكثر، كما حصل مع جيل ما قبل كوبرنيكوس الذين استرخوا على ظهورهم في كرة أرضية ثابتة هي مركز الكون وكل الكون يدور حول هذا الكوكب القافه (نسبة للكون).

وعندما لجأ فيساليوس إلى «الواقع العملي الذي يركبه القرآن دوماً» أفلا ينظرون إلى الإيل... السماء... الجبال... الأرض... ليرى طبيعة الجسم كما هو في الواقع (وفي أنفسكم)، اكتشف أن كل الفكر اليوناني كان يتكلم من الكتب والورق، من دون الاتصال بالواقع، بما فيهم أسماء كبيرة من أمثال «جالينوس وأبقراط الذي يكلف الأطباء في العادة بترديد قسمه في أثناء التخرج»، هذه الأسماء الكبيرة لجمت الحركة العلمية حين خرجت من إطارها أنها كانت تاريخية محددة إلى حقائق كونية ثابتة لذا كان لابد من كسر هذه الأصنام ليتحرك العقل، وصدق الفيلسوف الإسلامي حين قال: «تلون في كل حال مناة... شاب بنو الدهر وهي فتاة».

واليك هذه القصة في هذا الصدق:

يروي أن شاحنة كبيرة مرتفعة مرت تحت جسر لا يلائم ارتفاعها، فانحسبت تحت الجسر، واجتمع العديد من الناس لمحاولة شدنها للخلف أو دفعها للأمام عبثاً، وهي تزداد استعصاءً، وكان طفل صغير يراقب المنظر فتقدم إلى رجل البوليس الذي يشرف على عملية الإنقاذ الصعبة قائلاً: هل تسمح لي يا سيد بالمشاركة؟ فحياه الشرطي مبتسماً من فضوله وجراته: نعم هل عندك

شيء. فقال الصبي: فرغوا الإطارات من الهواء فتنخفض السيارة الشاحنة عن مستوى الجسر فتمشي بأي اتجاه ترغبون!!

هذه القصة المعبرة تروي بشكل جوهري مشكلة العادات العقلية وضغطها على مسارات الفكر، فالحل الذي انقذ في ذهن الطفل الصغير، بسرعة وبشكل عفوي، سببه هو حرية الحركة العقلية نوعاً ما، وروح الفضول والسؤال، والدعشة، والفكر بدون قيود، وعدم التقيد بالعادات العقلية، التي سجن في إطارها الآخرون، واستقبال الأحداث من دون قرارات مسبقة، حيث إن كل حادثة هي واقع مستقل قائم بذاته، كل هذا وغيره يقود العقل إلى عمل عقلي إبداعي، كما أن القصة تعطينا العظة من تشجيع الرأي من أي مستوى صدر، ومن أي عمر جاء، لذا فأبني أحياناً أقرأ مقالتي هذه على ابنتي الصغيرة في المرحلة الابتدائية، لشعوري أن الأطفال أذكى مما نتصور، لأنهم يفكرون بانطلاق، وعفوية، وحدة ذهن، ونكاء، نشيط خلاّب، ودماغ لا يشكو من تصلب في الشرايين!؟

وهكذا، فعندما سمح الشرطي للطفل بإبداء رأيه أراحهم من ورطة كبيرة بفكرة مبدعة جديدة، فالقصة تروي أن المشاكل الكبيرة يمكن حلها بأفكار صغيرة، وهذا يقودنا إلى بحث العقل والنقل، التقليد والإبداع، الاجتهاد والمناجعة، بين احترام رأي الآباء والمجتمع وانتقادها، لقد وضع القرآن علاقة جميلة بين الاقتفاء والاتباع فلا اقتفاء من دون علم (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل ذلك كان عنه مسؤولاً) الإسراء: ٣٦.

وكانت حجة فرعون في نقاشه مع موسى أيضاً: هل خفي ما تقول على آباءنا الأولين (فما بال القرون الأولى)؟!، في حين أن الحجة الإبراهيمية كانت: هل ينفعونكم أو يضرون؟ وكان جوابهم: بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون!!

بدن الإنسان تحت مبيض المشرحين الجدد كشف عن بديع خلق الله

الراجع

١. كتاب قصة الحضارة - تأليف ويل ديورانت - طبع الإدارة الثقافية في جامعة النول العربية - الجزء ٢٧ - الفصل السابع والثلاثون ص ١١٤، بحث العلم في عصر كوبرنيك، تحت فصل السحر والتنجيم جاء ما يلي «إن الحقائق الجديدة باللاحظة أن هذا العهد الذي استغرقه اللاهوت والثقافة المدرسية قد أنجب رجلين لهما أرفع مقام في تاريخ العالم كوبرنيك وفيزاليوس، ومن العجيب أن الكتب التي لحنرت عصاره حياتهما قد ظهرت في سنة واحدة هي سنة العجائب ١٥٤٢م.
٢. راجع القصة المثيرة الوثائقية بعنوان ماجلان قاهر البحار - تأليف سيقان زفايج - ترجمة حبيب جاماتي نشر مختارات الإذاعة والتلفاز - الكتاب الماسي - الدار القومية للطباعة والنشر.
٣. قصة الحضارة - ويل ديورانت - مجلد ٢٧ - ص ١٥٢: «وقد أدهشت أخطاء، نعت عن جالينوس وكانت خليقة بان ينحسبها أبسط تشريح لجسم الإنسان كقوله مثلاً: إن الفك السفلي قسمان، وأن الفص سبع عظام متميزة، والكبد عدة فصوص، وما كان ممكناً لتعليل هذه الأخطاء واغتنقارها إلا على فرض أن
٤. قصة الحضارة - ويل ديورانت - الجزء ٢٧ - ص ١١٥٤: «قال ديورا إن جالينوس لم يخطئ، ولكن جسم الإنسان اعتراه التغيير منذ عهد جالينوس، وعلى ذلك فعظام الفخذين الواضة الاستقامة، والتي ليست مقوسة كما وصفها جالينوس إنما هي في واقع نتيجة لارتداء أوروبي عصر النهضة سراويل ضيقة».
٥. قصة الحضارة - ويل ديورانت - الجزء ٢٠ - ص ٢٩٦.

من أجل تكريس مفهوم «تعارف الحضارات»



يعتبر عنصر التلاقي والتفاهم بين الحضارات والثقافات أمراً طبيعياً في مسيرة الفكر الحضاري الإنساني، ويشكل التفاهم والتعايش أبرز المبادئ التي تحكمت في النقاء الحضارات وتلاقحها عبر التاريخ، وإذا حدث أن كانت هناك صدامات بين الحضارات، فإنما كان ذلك أمراً شاذاً يرجع إلى اعتبارات مصلحة أمتها ظروف شخصية أو قومية أو إثنية، أثرت بشكل سلبي على مبدأ التعارف الإنساني بين الشعوب والحضارات.

إن على أبناء الحضارات والثقافات أن يتعاملوا فيما بينهم على أساس الانتماء إلى أسرة إنسانية مشتركة، تتفاعل في إطارها مختلف الروابط الحضارية بين الأمم والشعوب، وهذا الأمر كفيل بنزع فتيل الأحقاد والكراهيات والعصبية التي طالما انتهكت الإنسانية برمتها بفعل الحروب المدمرة والصراعات المتهكئة التي أثرت بشكل كبير على مستوى التقارب بين الحضارات والشعوب حتى أصبحت متنافرة متباعدة.

فالتعارف كمبدأ إنساني حضاري سام له أكبر الدور في منع النزاعات والصراعات، فهو يُقرب الأفكار والمسافات وينسج أواصر التعاون والتفاهم ويهدف إلى بناء أسس حوار حضاري مثمر وبنّاء، إنه المبدأ الذي دعا القرآن الكريم إليه بشكل صريح في قوله تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير).

إن المبدأ القرآني في الدعوة إلى التعارف بين الشعوب والحضارات يهدف إلى تجاوز المصالح النفعية المحكومة بالأبعاد والميكانيزمات السياسية والاقتصادية، ويرمي أيضاً إلى استبعاد وإقصاء المعايير القومية الضيقة في التفاضل بالأعراق والأنساب واللغات، لكن بالمقابل لا بد من اعتبار الأسس الاجتماعية والأخلاقية القائمة على منظومة القيم والآداب لأنها الوحيدة الكفيلة باستمرار وتقوية أواصر ووشائج التقارب والتفاهم، ثم التعارف، فهي قواعد في التفكير والسلوك «يحكمها الضمير الإنساني السليم ويتفق على نظامها العام كل من كان سوياً رشيداً».

لقد راجت مصطلحات «حوار الحضارات» و«لقاء الحضارات» وبشكل كبير في العقود الأخيرة، لكنها جميعاً من إنضاج الفكر الغربي الذي يفرض كل مرة، وحين من الأفكار والشعارات ما يناسب وضعه الاستراتيجي والأيديولوجي في إطار الحضارة الغربية التي تجد نفسها دوماً في تنافس وعداوة مع حضارات أخرى شرقية بالخصوص وإسلامية على وجه أخص.

من هنا كان المصطلح القرآني القاضي بضرورة التعارف بين الشعوب والقبائل، وبالتالي بين الحضارات والثقافات والذي يهدف إلى غايات أنبل ومقاصد أوسع، ذلك أنه إن لم يكن هناك تعارف، فلن يكون هناك حوار ولا تفاهم، فالتعارف ينجم عنه دوماً حوار هادئ وتعاون دائم، أما الحوار الذي يباشر بشكل مفاجئ فلا يعني بالضرورة حصول تعارف بين الأطراف، فكم من لقاءات حوارية

أجريت إن على المستوى السياسي أو الديني لكنها جاءت بالفشل لأن جميع أطرافها الذين أخذوا مكانهم حول مائدة الحوار لم ينسجوا أواصر التعارف والتواصل من قبل، فلبث كل طرف جاهلاً للطرف الآخر.

إن للتعارف دوراً كبيراً في الحيلولة دون وقوع النزاع أو الصدام بين الحضارات، وهو يكفل نسبة كبيرة من نجاح لقاءات التفاهم والنقاش والتواصل، لأنه يرمي إلى تاصيل مفهوم الأسرة الإنسانية الواحدة ذات الأصل الإنساني الواحد، وهو مفهوم رحمت إليه الآية القرآنية عندما دعت الناس جميعاً إلى التامل في الأصل الإنساني الذي هو من ذكر وأنثى، وإلى التفكير في دعم أسس التعارف والتفاهم بين مختلف الشعوب والحضارات في إطار الجماعة الإنسانية الواحدة التي قد تختلف مشاريها الدينية والإثنية والحضارية لكنها تتعامل فيما بينها بمنطق الأسرة الواحدة ذات الأصل الواحد.

وإذا كانت الدعوة إلى حوار الحضارات التي تعتبر من الخصائص المميزة للعقود الأخيرة من هذا القرن، لم تؤت أكلها الكامل، ولم تنجُم عنها نتائج ملموسة وواقعية على كافة المستويات، فإنما ذلك راجع بالأساس إلى عدم اكتشاف خصائص ومميزات وقيم الحضارات الأخرى، وخاصة من جانب الحضارة الغربية التي ما فتئت تضمّر العداوة وحب السيطرة والتنافس تجاه الحضارة الأخرى، غير مكترثة بما تكتنزه تلك الحضارات من قيم ومثُل وعناصر القوة الاستمرارية، ولعل هذا ما جعل الغربي يُروج في الأونة الأخيرة لمقولة «صدام

الحضارات»، لأنه أكثر توجساً وتخوفاً من شبح التصادم الذي يدفع به إلى الإحساس ببعض المخاوف وهو يستشعر تقدم وصعود بعض الحضارات وخاصة منها الحضارة الإسلامية التي أخذت تفلق راحة الساسة الغربيين وتقض مضاجعهم بعدما أمست تشكل قوة حضارية كبيرة ما فتئت تتغلغل داخل الكيان الغربي جغرافياً ودينياً وثقافياً. لذا وجب التأكيد مرة أخرى على أن أهم سبب جعل الحضارة الغربية تعادي وتناوئ الإسلام وحضارته هو جهل أبناء تلك الحضارة بمقومات الإسلام الحضارية ومثله العليا وروحه السمحة ودعوته السلمية.

إن الغرب لمّا يتعرف بعد على حقيقة الحضارة والديانة الإسلامية فهو يجهل عنهما كل شيء ولا تطبع في مخيلته سوى ملولات سلبية موهلة في التحامل والقدح والكرهية، فالإسلام في نظر الغرب متخلف يدعو إلى العنف، غير منفتح، ولا يستطيع مواكبة التطورات والمستجدات الحديثة، وهو بالتالي غير جدير بإدراجه في المنظومة الحضارية الإنسانية العالمية، وهكذا قلما نجد في صفوف الغربيين عقلاء ومنصفين يعون جيداً حقيقة الحضارة الإسلامية ورسالة الإسلام العالمية المنفتحة على كل الثقافات والشعوب والداعية إلى السلم والسلام، والأمن والأمان، وتبقى أصوات هؤلاء المنصفين خافتة لا تتجاوز أفاق معينة ومحدودة لتترك المجال أمام أبواق الآلة الإعلامية الغربية الرهيبة تقذح في الإسلام وحضارته وترمي بأبشع الصفات والنعوت، وتقذفه بشتى الإسقاطات والمصطلحات الفدجية.

إن الغرب لم يُنح نفسه الفرصة الكاملة للتعرف على الإسلام ديناً وحضارة والتعارف مع المسلمين شعوباً وقيادات وثقافات وذلك لكي يعي حقيقة هذا الدين وبعده التام عن نية إدخال العالم في أي صراع أو صدام كما يحلو لكثير من المحللين السياسيين الغربيين الترويج له.

إننا نستغرب حرص الغرب والدوائر الكنسية على عقد لقاءات الحوار والنقاش بين المسلمين والنصارى دون سابق وعي من الطرف الآخر بمدى تمثله لحقيقة الدين الإسلامي وحضارته، وهذا ما يجعل عقلاهم - في لقاءات حوارية متعددة - يعترفون في كثير من الأحيان، عندما تدبّر لهم حقائق الأمور بأنهم يجهلون الشيء الكثير عن حضارة الإسلام وقيمه، مما يستلزمهم التعرف أكثر على مبادئ الإسلام الصحيحة وتعاليمه الروحية وحضارته الإنسانية القيمة.

إن الغربيين باتوا يجهلون عن الإسلام أبسط مبادئه وأدنى مرتكزاته الحضارية، من هنا جاءت ضرورة تعرف الطرف الآخر على منظومة الإسلام وحضارته في أزهى صورها وأنصعها وذلك قصد تمهيد السبيل للحوار والتلاقي والتفاهم، فالتعارف أساس وشرط كل مبادرة للحوار، إذ من مستلزمات وشرائط نجاح ملتقيات الحوار التعارف مسبقاً وإطلاع كل طرف على ما تحتزنه حضارة الآخر في كل أبعادها الدينية والثقافية والفكرية قصد استيعابها وتمثلها جيداً من أجل الاتفاق على مواطن ونقاط التلاقي، وبالتالي مناقشة وتداول مواطن ونقاط الاختلاف.

من جهة أخرى، يظهر لنا من خلال صورة الإسلام المشوهة والكاريكاتورية التي يعمل الغرب على تبييضها ونشرها عبر مختلف وسائل الإعلام سوء الفهم العميق لمعالم الدين الإسلامي وحضارته وقلة المعرفة بحقائقه ومبادئه، وإن كنا لا ننكر أن الغرب ينهج في ذلك أحياناً منهج تعمد سوى الفهم وتبسيط سوء النية.

إن دعوة الإسلام إلى التعارف والتواصل والانفتاح على الثقافات والحضارات الأخرى ومد الجسور معها يهدف إلى إزالة كل الأحقاد والعصبية ومحو كل أشكال العنصرية والكرهية ونزع بذور النزاعات والصراعات، مما يكفل فتح المجال الواسع للتفاهم والتعاون، خاصة أن القرن المقبل الذي سيكون لا محالة عصر ثورة المعلومات والتقدم المذهل في وسائل الاتصال سوف يجعل العالم قرية كونية صغيرة، من المفترض أن يتعارف سكانها ويفتحوا نوافذ التفاهم والتعاون.

وإذا كان الجميع يتساقب بوعي ومن دون وعي وراء مصطلحات الحوار والتفاهم في ثوبها الغربي، فإن مضامينها ومدلولاتها وأبعادها وكذا ما ترمي إليه وفق ما يهدف إليه منظروها الغربيون يكاد ينطلي على كثير من فئات الناس، فتجد أن حوار الحضارات لا يكاد يفهم إلا حسب المفهوم الغربي وعلي أساس شروط الاستراتيجيين الغربيين أيضاً، فهم الذين يدعون إلى إقامة نوع الحوار المنشور وهم الذين يشترطون شرائطه ويضعون أسسه وأهدافه، ولعل هذا ما جعل قضية «حوار الحضارات» وفق المنظور الغربي تتطور وتساهم في تكوين إحدى دعائم ومقومات نظام العولمة الذي وإن كان يبدو لنا يرمي إلى ترسيخ مرتكزات الهيمنة الغربية على الشعوب الأخرى، فإن بريقه الخادع يوهمنا بوجود نوع من التعاون والانفتاح

والتقارب والحوار بين الشعوب والحضارات خاصة إذا علمنا أن المفهوم الساذج للعولمة والذي يُروج له بشكل شائع يعني تقريب الشقة بين أبناء الدنيا وإزالة الحواجز والحدود أمام العلاقات والروابط السياسية والاقتصادية والثقافية على أساس من التعاون والحوار.

إننا بالتالي نكاد نجزم بأن مصطلح «الحوار بين الحضارات» يكاد يفرغ من مضمونه ومحتواه الصحيح لأنه لا يقوم في أغلب الأحيان على أساس من التعارف المسبق الكفيل بانفتاح كل طرف على الآخر، كما لا يقوم أيضاً على أساس من «احترام الخصوصيات الدينية والثقافية» لكل الحضارات والشعوب وذلك باستبعاد أي محاولة هيمنة فكرية كانت أو اقتصادية من أي جهة تريد فرض قطبية أحادية الجانب تسعى من خلالها إلى استغلال واحتكار عولة كاسحة، إنه باحترام هذه الشروط، يمكن فتح نوافذ التعارف بهدف تقريب الشقة بين مختلف الحضارات وجعلها ينفذ بعضها على بعض في سعي حثيث نحو تلاقح متميز وتفاهم مفيد مثاقفة مجدية وفعالة، كل ذلك مع الاعتراف بوجود مساحات الاختلاف بين جميع الحضارات والأديان وتمتع كل واحدة بخصوصياتها ومميزاتها مما لا يسمح بأدنى محاولات التذويب أو الانصهار، وهنا نود التنبيه إلى أن مفهوم «تعارف الحضارات» كما نرمي إليه لا يسمح بأدنى محاولات الاختراق الدينية ولا يهدف بتاتاً إلى التقاء الديانات السماوية تبعاً لالتقاء الحضارات كما تدعو إلى ذلك بعض التيارات الفكرية والدينية التي تسعى إلى صهر وإذابة مقومات الديانات السماوية الثلاث في بوتقة واحدة وضمن قالب واحد يحلو لزمرة منهم إرجاعه إلى ميراث إبراهيمي واحد.

ختاماً: نرى أنه لا قيمة للحديث عن حوار الحضارات والأديان إذا لم يسع اتباع كل حضارة أو دين إلى التعرف أكثر على الحضارات الأخرى، وفهم مكوناتها واستيعاب قيمها ومثلها قصد تصحيح المفاهيم الخاطئة والمغلوطات التي تكون قد تكونت بفعل ظروف وعوامل تاريخية وأيديولوجية معينة، ومن هنا نرى أن من أكبر أسباب عدم نجاح كثير من لقاءات الحوار التي تعقد بين القبية والأخرى بين الجانب الإسلامي والجانب النصراني كون هذا الأخير لم يستطع حتى الآن تمثّل قيمة الإسلام الحضارية وسمو مبادئه وتعاليمه الروحية التي تدعو إلى قيم السلم والأمن والسلام والتسامح مع الذات ومع الآخر. ■

هانتجتون وقضية التزاوج الحضاري



اعتاد المروفيسور صوميل هانتجتون أن يصوغ أفكاره حول تصادم الحضارات: يدهاء شديد ففي إحدى صياغاته عن قضية التزاوج الحضاري: يستلفت أنظار الغرب تجاه مشاريع النهضة الحضارية لأمم وشعوب أخرى من أرض الله... فهو يحذر المؤسسات المعنية - بصفة خاصة - من الرباط الإسلامي الكونفوشيوسي، ملتحماً إلى أنه بمثابة التحدي الأكبر لمصالح وقيم وقوة الغرب... فيقول: «إن الارتباط العسكري بين التحالف الكونفوشيوسي والإسلامي هو شكل جديد من سباق التسلح بين الدول الغربية وبين الدول الكونفوشيوسية والإسلامية، للوصول إلى الهيمنة والتفوق على الآخر... ولذلك من مصلحة الغرب أن يتحد من خلال حضارته، خاصة عن طريق التعاون بين أوروبا وشمال أمريكا حتى يستطيع التغلغل العسكري إلى أوروبا الشرقية وأمريكا اللاتينية لتقارب ثقافتهما من الغرب... ولكي يشنّى للغرب الحد من التوسع العسكري للتحالف الكونفوشيوسي الإسلامي، فعليه أن يساعد الحضارات المتحالفة مع القيم والمصالح الغربية...»^(١)

قلت: لعله قد استقر لدينا بما لا يدع مجالاً للشك: أن الدين هو مداد رقم الهويات الحضارية للامم على اختلافها، ومن ثم نغتنم إلى امتناع تحقق أي من أشكال التزاوج أو التداخل الحضاري بين الإسلام والكونفوشيوسية، رداً إلى تباين معتقداتهما الدينية، وتوابعها الثقافية والتاريخية.

ولا ندري كيف تجاهل السيد هانتجتون حقيقة طويلة من الصراع الحضاري لم تزل ناره مستعرة عند حدود الإسلام الشرقية مع

الصين الكونفوشيوسية في إقليم تركستان الشرقية - سنكيانج - المسلم، الذي تمد حساسيته وردود أفعاله إلى عمق آسيا الوسطى والعالم الإسلامي كله.

وبالمقابل ليس بوسعنا إنكار بعض الصور البارزة للترابط بين حضارتين مختلفتين... وذلك الترابط إنما يأخذ - في الحقيقة - بعدين أساسيين في ضوء اعتبارات متعددة، نرى تبيانها من الأهمية بمكان كبير:

البعد الأول

ترابط منفعة، وبنشأ - كنتيجة طبيعية - عن شعور مشترك تجاه خطر ما، بغض النظر عن حقيقة هذا الخطر، ومبررات الشعور به... وستضرب لذلك مثالين:

١ - الرباط الصهيويهنديوسي: ذلك الذي ارتبط بغايات مشتركة، ووسائل متشابهة... «وكلما تابع المرء أقوال زعماء الأحزاب الهندية المختلفة يراها كلها مقتنعة بلزوم تدعيم الصداقة مع إسرائيل، ويرى أن هذا الشعور قد اكتسب لباس العقيدة»^(٢)، وإنني لأجد جواباً مقدماً على لسان أحد زعماء الهند بشأن قضية ربما عنّ لأحدنا السؤال بصددها: وهو ما ينصل بحقيقة العلاقات الهندية - العربية... يقول مستر كامات أمام البرلمان الهندي في إحدى اجتماعاته التاريخية... «إن سياسة الهند نحو العرب ليست متباعدة من حيننا للعرب، بل من اعتبارات سياسية لخداع العرب»^(٣)

وما بين اليهود والهندود علاقة أبجدية من «الود»؛ وقواسم أخلاقية مشتركة، أفقدت أي علاقة بين العرب والهندود مصداقيتها، فالهندوس لا يغيب عن خواطرهم ارتباط كشمير وقضايا المسلمين في الهند بتاريخ

وحضارة العرب والمسلمين، كما أن القادة الهنود يزعمون على الدوام بأن: «الهند لا تدين للملوك العربية بشيء»، وسوف نستمر على الاحتفال بذكري استقلال إسرائيل» ويضيف آخر: «هذا وليكن معلوماً فإن الأحزاب الهندية قد تختلف كثيراً بشأن الكثير من القضايا السياسية والاقتصادية، ولكنها تتفق كلها وتتوحد حينما يعرض عليها أمر يتعلق بالديانة الهندوسية، وكل هذه الأحزاب تؤمن إيماناً راسخاً بالقومية الهندوسية وإن عداها التاريخي للعالم الإسلامي عامة وللمسلمي القارة الهندية خاصة يجعل الهناكة يشعرون بغبطة وراحة بالتعاون مع عدو آخر للمسلمين ونعني به إسرائيل»^(٤)

كما أنه لا ينبغي أن يغيب عن ذاكرتنا قضية الانزعاج السرميدي من جانب اليهود تجاه المشاريع الاستراتيجية الباكستانية لا سيما المشروع النووي رغم التشنّت الجغرافي بينهما، فهل للهندود علاقة بهذا القلق اليهودي إزاء باكستان، والذي أخذ في بعض انطباعات صور التهديد بضرية يهودية أو هندية للمشروع النووي الباكستاني؟ الدراسات والوثائق والمواقف السياسية... تنطق بنعم، إذ إن طبيعة تلك العلاقة وغيرها تحكمها أساساً: محددات استراتيجية مصيرية كما هو باد للعيان.

٢ - الرباط الغربي - اليهودي المسيحي: لقد كان للخصومات التاريخية بين اليهود والنصارى، والتي تضرب بجذورها في أعماق التاريخ، منذ أن اعتقد النصارى بأن لليهود في قتل المسيح وصلبه: ضلع كبير... (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وما قتلوه بقينا) (النساء: ١٥٧)

ولقد كان لتلك الخصومة الثأرية ارتباط وثيق - على امتداد التاريخ الأوروبي قبل الحديث - ببعض اليهود واضطهادهم، وقتلهم بوحى من بابوات أوروبا وأمرانها... مما أكسب اليهود خبرة هائلة في مجال فلسفة التحالف مع الأقوياء.

ولكن الدور الحديث من تاريخ العلاقات بين الطرفين - دور التحديث والعلمانية - شهد تقارباً والتحاماً... الأمر الذي أوحى بتلاشي وزوال ما شاب تلك العلاقة من رواسب تاريخية... ولقد كان وعد بلفور ١٩١٧م بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، بمثابة الصدى الحقيقي لتلك التطور الإيجابي في العلاقات بين اليهود والغرب والذي أثمر بمرور الوقت عن سقوط الخلافة الإسلامية على أيدي ثلة من يهود الدولة... ثم بعد ذلك قيام الدولة اليهودية على أشلاء أرض فلسطين المسلمة.

وعلى الرغم من تقييمنا لتلك العلاقة على أنها نفعية، لكن هذا لا يمنع من أن ندفع بها إلى ما هو أعمق من ذلك، فبمقتضى العهد القديم كعنصر أساسي في تكوين الثقافة النصرانية، يمكننا أن نتكهن باحتضال حدوث تزواج حضاري بين اليهود والنصارى، ولذلك التكهّن مؤشرات واضحة، بل قوية أحياناً، فضلاً عن ظاهرة الصهيونية المسيحية الأرثوذكسية «شهود يهوه» وغيرها من صور ومواقف المحاباة السياسية والاستراتيجية الغربية الراهنة لليهود... نسوق ما جرى بين أروقة المؤتمر السابع للحوار بين ما يسمى بالأديان السماوية، والذي انعقد بمدينة ميلانو الإيطالية، أواسط شهر أيلول ١٩٩٢م... حيث لقي الوفد اليهودي حفاوة بالغة في التصنع... قد أثارت حساسية الوفود المشاركة من مسلمين وغيرهم... ولا سيما بعد استقبال بابا الفاتيكان «الراب إسرائيل ماثير» كبير حاخاما اليهود، إثر قطيعة طويلة تمتد إلى ألفي عام تقريباً، مما ترجم على أنه مصالحة تاريخية...!! ويعدها بشهور اعترف الفاتيكان بالدولة اليهودية بعد أن أعلن عن تبرئة اليهود من دم المسيح عيسى عليه السلام!

ومنذ ذلك الحين وحتى الأسبوع الثالث من شهر مارس ١٩٩٨م، والفاتيكان بصدد إعداد مذكرة تاريخية توضيحية تفسر موقف

الكاثوليك مما يسمى بمحرقة اليهود في أفران النازي - الهولوكست، حيث أعلن الفاتيكان رسمياً عن اعتذار الكنيسة الكاثوليكية عن عدم القيام بما يكفي لحماية اليهود من الاضطهاد النازي، واعتبرت أن المسيحيين يتحملون واجباً أخلاقياً لضمان ألا يتكرر أبداً، وأضافت تلك المذكرة: أن الكنيسة الكاثوليكية تطلب الغفران للأخطاء التي ارتكبتها أعضاؤها، ووصف رئيس اللجنة الخيرية المكلفة بالعلاقات الدينية مع اليهود والتي أعدت المذكرة، هذا البيان بأنه «توبة وأكثر من اعتذار!!»، ترى ما مغزى تلك المصالحة التاريخية التي تنازل - بمقتضاها - البابا وأشياعه في الأرض عن دم المسيح عليه السلام!! ألا فلينبته العاقلون!!

البعد الثاني

وهو ما يتصل بما نسميه ظاهرة التزاوج الحضاري، والتي ترد إلى تمتع حضارة ما بقوة روحية ومادية فائقة... قوة ذات خواص استقطابية وجاذبية ذاتية... بحيث لا تملك حضارات أخرى تجاهها: إلا التمازج بها، والتزاوج معها، والذوبان فيها... فهي حالة من التغيرات الجوهرية على مسارات الفكر والعقيدة، والقيم والتصورات... وما يرتد عنها من أصداء في مجالات الاجتماع والسياسة والاقتصاد والعسكرية... إلخ، وتلك الظواهر المحورية لا تحدث غالباً إلا مع بواكير دعوات الأنبياء - صلوات الله عليهم أجمعين - وحواريهم...، فضلاً عن ذلك فقد كان ثمة تحول روماني مبكر - ولكنه نسبي - إلى المسيحية في عهد قسطنطين الملك - ٢٧٤: ٣٣٧م. لكن لم تنجُل تلك الظاهرة بصورة أكثر دقة وشمولاً واتزاناً: إلا في عصور الفتوحات الإسلامية، والتي رصدت أكثر من حال تزاوج بين الحضارة الإسلامية ومجموعات حضارية مختلفة: مثل الفرس والمغول والتتر والأتراك وغيرها... لتشكّل في مجموعها العام: نسجاً حضارياً واحداً هو الإسلامي.

نرجع إلى فئنة الرباط الكونفوشيوسي الإسلامي التي وضع قسماتها هانتجتون لتأخذ وضعاً استراتيجياً مضاداً للغرب، ومن ثم تتجه إلى ذلك الرباط سهام العداة الغربي المسيحي المغرور، بعد أن أفلح المنظر في تدبيح صياغة مثيرة وإنفاعلية حول

الإسلام، واضطناع موقف غربي متحيز تجاهه... يعمد هانتجتون إلى إقحام الصين - في وضعها الكونفوشيوسي - إلى جانب الإسلام لتضخيم نموذج التحدي المواجه للغرب.

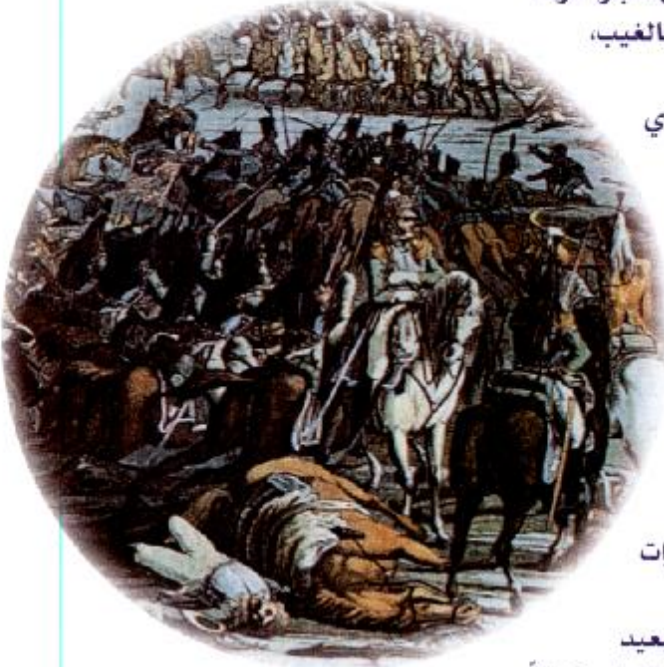
ولعلنا نترك أن مبررات الحساسيات الغربية من حضارة الصين الكونفوشيوسية: لا تتبع في الحقيقة من حساباتها كياناً حضارياً ذا ثوابت ومنطلقات عقديّة، كلا، فذلك أمر مستهان كما هو مائل مع اليابان بالنسبة للغرب، بل تعزى تلك الحساسيات إلى أمرين آخرين:

أولاً أن الصين تمثل معقلاً حصيناً للفلسفة الشيوعية المهدية المرنّة، مما يعد في حقيقته مصدر إزعاج وقلق من نوع ما لدى دوائر الفكر الرأسمالي الغربي.

ثانياً: تنامي حركة النشاط الاقتصادي الصيني لتمتد بخطوات راسخة وجريئة نحو أسواق العالم... والأهم من ذلك أنها حركة إنسانية عضوية على التبعية والاحتواء... وهذا يفسر إلى حد كبير بواقع قرار أمريكا في عام ١٩٩٦م بإبعاد الصين من تحت مظلة رعايتها!

وعموماً: فإن مجرد التعاون بين الصين وبعض الدول العربية والإسلامية... لا يعني بالضرورة وجود رباط وتكتل حضاري كما يزعم هانتجتون، وإن كنا لا نتجاهل أبداً أن الشعور العام من جانب الصين والمسلمين وغيرهم بالتعالي والغطرسة الغربية... من الدوافع الأساسية لعملية التعاون هذه - إن تمت - لا سيما إذا وضعنا فلسفة التعسف والهضم والانتقاص الغربي تجاهها في الاعتبار.

ولكن ربما كان مبرر حساسية هانتجتون تجاه ذلك الرباط المزعوم متصل بصفقات تجارة السلاح بين الصين وكوريا من جهة وبعض العرب والمسلمين من جهة أخرى، وتلك الحساسيات بالطبع ليست لصالح الغرب بقدر ما هي لصالح الكيان الصهيوني الغاصب ذلك الكيان الذي ينخلع قلب هانتجتون، وأترابه من منظري الحركة اليهودية الغربية رهباً عليه كلما كان ثمة تصاعد في مؤشرات أي تنسيق بولي عربي إسلامي - بعيداً عن الغرب - في هذا المجال!! ■



لم يعد الاهتمام بالمستقبل مجرد ترف ثقافي أو حتى تكهن ورجم بالغيب، وإنما أصبح ضرورة ثقافية تحتمها إيقاعات العصر الذي



نحيا فيه، ولعل مرجع هذا هو أن دراسة المستقبل أصبحت محاولات علمية جادة تبذل من قِبل الباحثين لرسم أبعاد صورة حية إلى حد ما لمعالم الغد المنظور واللامنظور الواقع الإنساني على ظهر هذا الكوكب الأرضي، وذلك وفقاً لنسق معرفي يستلهم كل القيم المشعة التي كوَّنت رصيد البشرية الحضاري عبر العصور، ودورات التاريخ المتتالية وذلك حتى يتسنى للبشرية تلافي كل سلبيات الماضي البعيد والحاضر الراهن ومن ثم سيكون المستقبل مشرقاً.

وفي ضوء هذا المنطلق تأتي أهمية دراسة المستقبل برؤية إيمانية سوف تساعدنا على تحقيق الارتقاء الحضاري الشامل لأمتنا الإسلامية في كل مناحي الحياة، ولن يتحقق لنا ذلك إلا بعد التخلص من كل السلبيات التي تراكمت على مدار التاريخ، ومن ثم أسهمت بصورة أو بأخرى في تأخير مسيرتنا عن اللحاق بركب الحضارة الذي يغز في السير الحثيث نحو الأمام دائماً ولا سيما في الجانب التطبيقي مع العلم «التكنولوجيا»، ولذا رأينا الفكر التاريخي يتناغم مع هذه النزعة المستقبلية التي أصبحت ملمحاً بارزاً لجميع مناحي المعرفة البشرية، سواء في جانبها النظري أم التطبيقي، أو إذا شئنا الدقة العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الطبيعية البحتة.

رؤية توينبي لمستقبل الحضارة الإسلامية

ومن هنا، يعتبر المؤرخ البريطاني (ارنولد توينبي ١٨٨٩م - ١٩٧٥م) في طبيعة فلاسفة التاريخ الذين أولوا دراسة المستقبل الحضاري للبشرية بعامة، ومستقبل حضارتنا الإسلامية بخاصة أهمية قصوى، ولعل أهم ما يضيفي نوعاً من الدينامية المفتجرة على انعطافات الفكرية للرجل هو أن أطروحاته في هذا السياق قد جاءت بمثابة دراسة وتحليل لكل التجارب الحضارية المتباينة التي عرفها التاريخ منذ انبثاق فجره وحتى لحظتنا الراهنة.

ولعل هذا الاهتمام راجع إلى أن الحضارة الإسلامية تكاد تكون - بل هي بالفعل - الحضارة الوحيدة التي تمتلك عناصر البقاء في عالم اليوم والغد، وذلك لأن الرسول - ﷺ - هو الرائد الأول لها، وقد جاء إخبار الله عن ذلك في القرآن الكريم: (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً) الأحزاب: ٤٠، كما أنه ﷺ قد بُعث للناس كافة ولم يُبعث للعرب خاصة، كما أوضح هذا القرآن الكريم: (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً) سبأ: ٢٨، (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء: ١٠٧، علاوة على ذلك فشريعته السمحاء - ﷺ - قد جمعت رسالات الأنبياء والمرسلين أجمعين - عليهم صلوات الله وسلامه - (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) الشورى: ١٣، وبالتالي فقد تأنى الله عز وجل بحفظ الشريعة والرسالة - ومن ثم الحضارة الإسلامية - بحفظ القرآن الكريم، مصداقاً لقوله تعالى وهو أصدق القائلين: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) الحجر: ٩، ومن هنا كانت معجزة القرآن العقلية باقية تتحدى الإنس والجن إلى يوم القيامة، وفي الواقع إن كل ذلك يدل دلالة واضحة على أن هذه الرسالة وحضارتها جاءت لتبقى، ومن ثم فقد صُنعت تعاليمها ومعطياتها بصيغة إيمانية (صيغة الله) ومن أحسن من الله صيغة ونحن له عابدون) البقرة: ١٢٨، ولهذا تحمل هذه الحضارة بين طياتها أسباب هذا البقاء وخصائص هذا الدوام ولعل أهم تلك الأسباب والخصائص هو كونها حضارة للحياة الكريمة (١).

ولذا رأينا أن كل دعوى التغريب في العالم الإسلامي - بكل اتجاهاتها - قد حاولت ولا تزال - تبديل وتغيير ثوابت الكيان الحضاري الإسلامي حتى لا يكون هو المركز الأساسي للمستقبل الإسلامي المنشود، وقد أدركت بأنه لا يمكن تقويض الأسس العقدية للشخصية المسلمة إلا بإحداث الشروخ والتصدعات في البناء الحضاري الإسلامي تمهيداً لهدم البناء من قواعده، ولذلك تنكر الاتجاه التغريبي للشريعة والحضارة الإسلاميتين وذلك من أجل التبنّي الراديكالي لقيم

النظام الغربي ومحاولة زرعها في البيئة الإسلامية بالاشتراك مع كافة الاتجاهات الاستشراقية والتبشيرية (التنصيرية) على حد سواء، وهذا يهدف إلى تجريد الأمة من خصوصيتها العقدية وأبعادها الثقافية وبهذا المنهج أيضاً يطمح الاستعمار الثقافي - بواسطة وكلائه في العالم الإسلامي - إلى إخضاع الإنسان المسلم للسير في ركاب المنظومة الغربية ومن ثم فهو يكرس عجز العالم الإسلامي عن الانطلاق في المستقبل بمعزل عن التبعية الحضارية للنموذج الغربي (٢).

وفي هذا ما لعله يحتم طرح تساؤل حيوي مفاده، ترى ما هي ملامح وأفاق مستقبل هذه الحضارة، كما يراه توينبي وتؤكد إرهافات المتغيرات الكونية التي تجتاح عالم اليوم وعالم الغد؟ وللإجابة عن هذا التساؤل الحيوي نقول: ليس ثمة مجال للشك في أن الحضارة الإسلامية هي حضارة المستقبل، وذلك لأنها حضارة الإنسان، ولذا فالإنسان يحتاج إليها في يومه وغده، كما يحتاج إلى فطرته السوية وإلى استقراره وسعادته، فليست حاجته إلى الحضارة الإسلامية هي مجرد رغبة تنقضي أو تبقى وإنما هي طبيعة وضرورة ملحة واستقرار وحتمية لا بد أن يصل إليها إن عاجلاً أو آجلاً لسبب بسيط وهو أن هذه الحضارة هي من عند خالقها ومنظم الحياة ومدبر الأمر كله (٣).

وفي هذا السياق، يقول توينبي وهو بصدد رسمه لملاح مستقبل الحضارة الإسلامية: «لو أن محمداً - ﷺ - كان قد ظل داعياً دينياً ولم يصبح رجل الإسلام من الناحية الروحية لكان حال الإسلام أسوأ مما هو عليه الآن، وعنده أيضاً أن بداية انحلال الحضارة الإسلامية تبدأ منذ الهجرة أو بتحديد أدق منذ غزوة بدر الكبرى - أول حرب إسلامية ضد الكفار - وفقاً لقصيته التي طبعها بطابع العدم دون استثناء حيث يرى أن الحرب هي تغطية لاضطرابات داخلية وإنها تُعبر عن بداية انحلال الحضارة» (٤).

ويرى الأستاذ الدكتور أحمد محمود صحبي بأن هذا تقييم للإسلام من وجهة نظر مسيحية لا من وجهة نظر تاريخية، أي أن توينبي نظر إلى حضارة الإسلام بوصفه مسيحياً لا يرى إلا ضرورة الفصل بين الدين والدولة «أعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله» لا بوصفه مؤرخاً يُقيّم الواقع بعد دراسة استقرائية له، يقول جرونوم: «إنه إذا كان توينبي يعتبر أن خلط الدين بالسياسة يحط من قدر الدين، فإن المسلمين آنذاك على الأقل كانوا يرون العكس إنه يرفع من قيمة السياسة وأنه لا يحق لتوينبي أن ينظر إلى محمد - ﷺ - من خلال المسيح - ﷺ - وإنما لابد من النظر إلى الحركة الإسلامية من وجهة نظر المسلمين، حيث إن

الحضارة الأوروبية تحمل في طياتها التناقض بين الفكر والعمل أي بين أفكار المساواة والإخاء والحرية وبين التفرقة العنصرية التي تمارسها الآن بالفعل



البذرة الإسلامية ما كان يمكن لها أن تنمو لو ظل الحال على ما هو عليه خلال مرحلة الدعوة قبل الهجرة إذ لم يُقدَّر لها النمو والازدهار إلا في مجتمع المدينة كما لم يُقدَّر لها الانتشار إلا بما سلكته من غزوات وفتوحات، ومن ناحية أخرى كيف تتصف الحضارة بالصفة الدينية وتلقب لقباً دينياً إذا كان توينبي يريد أن يتعد السياسة عن تأثير الدين (٥)

ومن جانبنا نرى أن توينبي قد جانبه الصواب، وهذا لأنه لم يحاول الارتقاء - عبر تنظيره هذا - إلى مستوى الفهم الديناميكي لروح الإسلام الخالد وحضارته الباسقة، ومن ثم فهو لم يدرك أن الهجرة المباركة وما تلاها من غزوات حربية - ويقف على قمته غزوة بدر الكبرى - إنما كانت على الحقيقة بمثابة التحولات التاريخية الحاسمة التي أدت إلى انبثاق حضارة الإسلام من رحم الزمن.

واستكمالاً لمعرفة أبعاد رؤية توينبي لمستقبل حضارتنا على ظهر هذا الكوكب الأرضي، فإن ثمة تساؤل يطرح نفسه - أيضاً - وهو: ترى ما هو مصير الحضارة الإسلامية؟ فهل ستفرض هذه الحضارة، كما انقضت حضارات أخرى؟ وهل ستتحجر كبعض الحضارات المتحجرة الماثلة أمامنا، أم أن تيار الحضارة الغربية المعاصرة سيجرفها ويتمثلها؟

والإجابة عن كل هذه التساؤلات عند توينبي هي أنه لا شيء من ذلك كله سيحدث، وإنما ستبقى الحضارة الإسلامية حيّة. قد يعترض الفرد الأوروبي في صلف على ذلك، ويقول: «هل تنتظر حضارة من فلاح مصري أو حمال اسطنبولي؟»، ولكن هذه العبارة قالها الإغريقي من قبل وبالذات بعد فتوح الإسكندر الأكبر للعالم السورباني، وتبين أنه قول خاطئ، إن الحضارة الإسلامية قد تُنافس الحضارة الهندوكية أو بوذية الماهيانا من أجل السيطرة في المستقبل بوسائل تتعدى تصوراتنا، ولكن ماذا يكمن في الحضارة

وللإجابة عن هذا التساؤل يرد توينبي قائلاً: «إن الحضارة الأوروبية تحمل في طبيعتها التناقض بين الفكر والعمل، بين أفكار المساواة والإخاء والحرية التي ورثتها عن الثورة الفرنسية، وبين التفرقة العنصرية التي تمارسها الآن بالفعل، ومن ثم فهي تشكل خطراً عليها بزيادة وعي الشعوب الملونة، وهذا بينما طابع الحضارة الإسلامية الاتساق بين الفكر والعمل يصدد المساواة إذ تمكّن في أزمى عصورها أن يصل إلى مراكز السلطة فيها الرقيق والعبيد «كافور الإخشيدى والماليك»، الأمر الثاني هو تحريم الخمر، وقد لا يدرك الكثيرون قيمة هذا التحريم بالنسبة للحضارة، ولكن من يشاهد عن قرب سكان المناطق الاستوائية يُدرك أن توقف نشاطهم راجع إلى شرب الخمر إلى حد كبير، ولقد فشل الإداريون الأوروبيون في علاج هذه المشكلة التي لا تحلها القوانين المفروضة لأن الامتناع عن الخمر لا يتم إلا بوازع ديني» (٧)

وعلى الرغم من ذلك، يبدو أن طالع حضارة الإسلام في المستقبل القريب لدى توينبي إنما هو متوقف، على أي حال، على نتيجة اختبار القوة بين العالمين الغربي والروسي اللذين يطوقان العالم الإسلامي فيما بينهما ولقد تعاطمت أهمية العالم الإسلامي في نظر هذين المتحاربين منذ اختراع محرك الاحتراق الداخلي، فللعالم الإسلامي - كإطار جغرافي لحضارة الإسلام - أهميته القصوى في المستقبل كمصدر للسلع الأساسية - مصادر الطاقة - وكمعبر للمواصلات الرئيسية، فضلاً عن أن العالم الإسلامي يضم ثلاثة مواطن من مواطن الحضارات الأربعة الرئيسية في العالم القديم «أي الحضارات المصرية، السومرية، السندية، الصينية» (٨)

مستقبل الحضارة الإسلامية عند توينبي إنما هو أفراز حيوي لمعطيات تاريخ الإسلام الذي يتسم في أغلب مساحاته الزمنية بالتكامل والشمول والترابط

ومن هنا نرى أن مستقبل الحضارة الإسلامية عند توينبي إنما هو إفراز حيوي لمعطيات تاريخ الإسلام الذي يتسم في أغلب مساحاته الزمنية بالتكامل والشمول والترابط، فضلاً عن ذلك، فإن تاريخ الإسلام ليس دوائر منفصلة - ولكنه نسيج عضوي حي - فالحدث السياسي لا يُفهم إلا بإدراك تفاعله مع الأوضاع الثقافية والاقتصادية والاجتماعية، إنها خيوط واحدة تُكوّن «نسيج التاريخ» كل خيط له قيمته وأثره المتمثل في مدى التحامه مع سواه، ولذا فناريخ الإسلام هو تاريخ حضارة متكاملة الدائرة - وليس تاريخ شعب أو قومية معينة - فالقوميات كلها حلقات يطبعها طابع موحد، وهو تاريخ ذو مضمون إنساني قوامه الحرية والعدل والتوحيد والمساواة، وتاريخ الإسلام هو فكر كلي شامل، وهذا الشمول يضم مختلف أوجه النشاط الإنساني، الاقتصاد والدين والعلم والفن والفلسفة والاجتماع (٩).

وفي ضوء هذا المنطلق، ينبغي علينا أن نؤكد على أن أمتنا الإسلامية قادرة دائماً وأبداً على البعث والتجديد طالما اعتمدت على ذاتها الحضارية، واستنفرت إمكانياتها الخلافة، شريطة أن يكون ذلك طبقاً للقانون الإلهي للتغيير «إن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما يأنفسهم» الرعد: ١١، ومن هذا المنطلق يكون الإسلام - والإسلام وحده - هو البديل الحضاري الأمثل للتأزم الذي تعاني منه الحضارة المعاصرة في واقعها الراهن سواء على المستوى الداخلي أم الخارجي.

وبناء على ذلك، تتحدد أمام ناظرينا القسّمات البارزة للصورة المشرقة لمستقبل الحضارة الإسلامية فيما يستقبلها من أيام تلوح في أفق الغيب، ولعل مرجع هذا هو أنه لا الحضارات السومرية والبابلية والمصرية ولا الحضارات الإغريقية واللاتينية والبيزنطية والهيلينية ولا حتى الحضارات الفارسية والصينية والهندية على

ما قدمته جميعاً من عطاء زاخر - كما أثبت ذلك شاهد التاريخ - بقادرة على أن تسامت هذا الدور الرائد للحضارة الإسلامية في ارتقاء الإنسان كما أنه لا الفلسفات اليونانية والهندية ولا المذاهب الوضعية الغربية منذ عهد النهضة والتنوير حتى طويويات الاشتراكيين والفرنسيين والإنجليز - ووجوديات هايدجر وكبر كجارو وسارتر وكامو - ومثالية هيغل ومادية ماركس وأنجلز بقادرة أيضاً على تحويل القيم والأفكار إلى واقع منظور وتجربة معاشة وخبرات حية تتشكل في مساحات الزمان والمكان (١٠).

ولعل هذا هو الذي أضفى طابعاً من الحيوية على الرؤية التاريخية الواعدة - بقدر ما هي واعية - التي ذهب إليها توينبي حيث أنه قد أكد عبر سياقاتها ومحتواها على أن الحضارة الإسلامية ستكون ولا ريب هي حضارة المستقبل، وذلك لأنها هي الوحيدة المؤهلة من ضمن الحضارات الست الباقية - وفقاً لمعطيات نظريته التحدي والاستجابة - لوراثة الحضارة الغربية المعاصرة التي تترنح أيلة للسقوط، ثم الزوال الحتمي شأنها في ذلك شأن كل حضارات الكون التي ضلت وانحرفت عن طريق الله المستقيم عبر تنكرها لسنة الله الكونية، إنها سنة الله الماضية في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً، ولن تجد لسنة الله تحويلاً.

وأخيراً وليس آخراً، فإن هذه المعالجة قد حاولت قدر الإمكان دراسة وتحليل أفاق وملاحم مستقبل حضارتنا الإسلامية التي تُعبر عن هويتنا وذاتنا كأمة متميزة على خارطة الوجود الكوني للحضارات، في ضوء نظرية التحدي والاستجابة التي اتسمت بالموضوعية إلى حد ما، وذلك بعكس غيرها من النظريات التي جسدت ظاهرة التحيز الحضاري عند دراستها للمعطيات الحضارية للإسلام. ■

الحضارة الإسلامية هي الوحيدة التي تمتلك عناصر البقاء في عالم اليوم والفد

الهوامش:

- ١ - د. توفيق يوسف الواعي - الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية - دار الوفاء - المنصورة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ص ٦٢٦.
- ٢ - د. سليمان الخطيب - دور المناهج الغربية في سيادة فكرة التغريب والاستلاب الحضاري والثقافي على العقل المسلم - ورقة مقدمة إلى ندوة قضايا المنهجية في الفكر الإسلامي - قسنطينة - الجزائر ١٢/٩ سبتمبر ١٩٨٩ م - جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة - المعهد العالمي للفكر الإسلامي - القاهرة - من نون تاريخ - ص ٢٩.
- ٣ - د. توفيق يوسف الواعي - المرجع السابق - ص ٣٣٧.
- ٤ - أ. أمة تشيكر - مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرنولد توينبي - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م - ص ٩٢.
- ٥ - د. أحمد محمود - من فلسفة التاريخ - دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م - ص ٢٩٦ - ٢٩٧.
- ٦ - د. أحمد محمود صبحي - المرجع السابق - ص ٢٨٩.
- ٧ - د. أحمد محمود صبحي - المرجع السابق - ص ٢٩٠.
- ٨ - أ. أرنولد توينبي - مختصر دراسة للتاريخ - الجزء الثالث - ترجمة فؤاد محمد شبل - مراجعة محمد شفيق غريال وآخر - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٣٨٤ هـ - ١٣٦٤ م - ص ٣٦٤.
- ٩ - أ. أنور الجندي - الإسلام وحركة التاريخ رؤيا جديدة في فلسفة تاريخ الإسلام - الموسوعة الإسلامية العربية - رقم (٥) - دار الكتاب اللبناني - بيروت - دار الكتاب المصري - القاهرة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م - ص ٤٨٥.
- ١٠ - د. عماد الدين خليل - حول إعادة تشكيل العقل المسلم - كتاب الأمة رقم (٤) - رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية - الدوحة - رمضان ١٤٠٣ هـ - ص ٨٨.

الحاسوب بين الأمية والحضارة



يقولون: الأمي - في عصرنا - هو الذي لا يعرف كيف يستخدم الحاسوب.



عبارة كثيراً ما نقرأها في الصحف، في المجلات، في إعلانات بيع الحواسيب، حتى أصبحت عبارة شائعة على لسان الكثير من الناس وفيهم المثقفون وصانعو الأجيال، ولكن لنقف مع أنفسنا وقفة صادقة فيها قليل من التمعن والتحري ونسأل: من صاغ هذه العبارة؟ ولماذا؟ وهل هي صحيحة مطلقاً أم أنها صحيحة إلى حد ما؟ وإذا كانت صحيحة فهل نحن في عالمنا العربي أميون أم لا بمفهوم هذه العبارة!!!

الحقيقة التي لا مراء فيها أننا في عصر المعلوماتية، ولا تكاد تدخل مؤسسة أو وزارة أو شركة صغيرة كانت أم كبيرة في أنحاء العالم المتقدم إلا وترى الحواسيب والشبكات الحاسوبية تملؤه وإذا توقف الحاسوب عن العمل شلَّ العمل وانقطعت أوصاله فأصبح كل أمر عندهم يعتمد على الحاسوب في مجال الصناعة، في السياحة، في الجامعات والأبحاث العلمية حتى أصبحت بعدة أقرص مدمجة (CD.Rom) تستغني عن مجلدات من الكتب والمراجع في شتى مجالات العلوم ناهيك عن خدمة الشبكة العالمية أو ما يسمى «الإنترنت» التي تفتح لك العالم لتجوب فيه وتخلق في آفاقه وتحضر ما شئت في شتى مجالات العلوم الطبيعية والهندسية والاجتماعية والسياسية والجغرافية وتستمتع بخدمات سياحية وغير ذلك من مستلزمات الحياة التي ما كنت لتصل إليها إلا بعد مشقة وجهد كبير، أما الأفراد في ذلك العالم فهم يعتمدون في بيوتهم عليه حتى أصبحت ترى طفلاً في الرابعة من عمره يتعامل مع

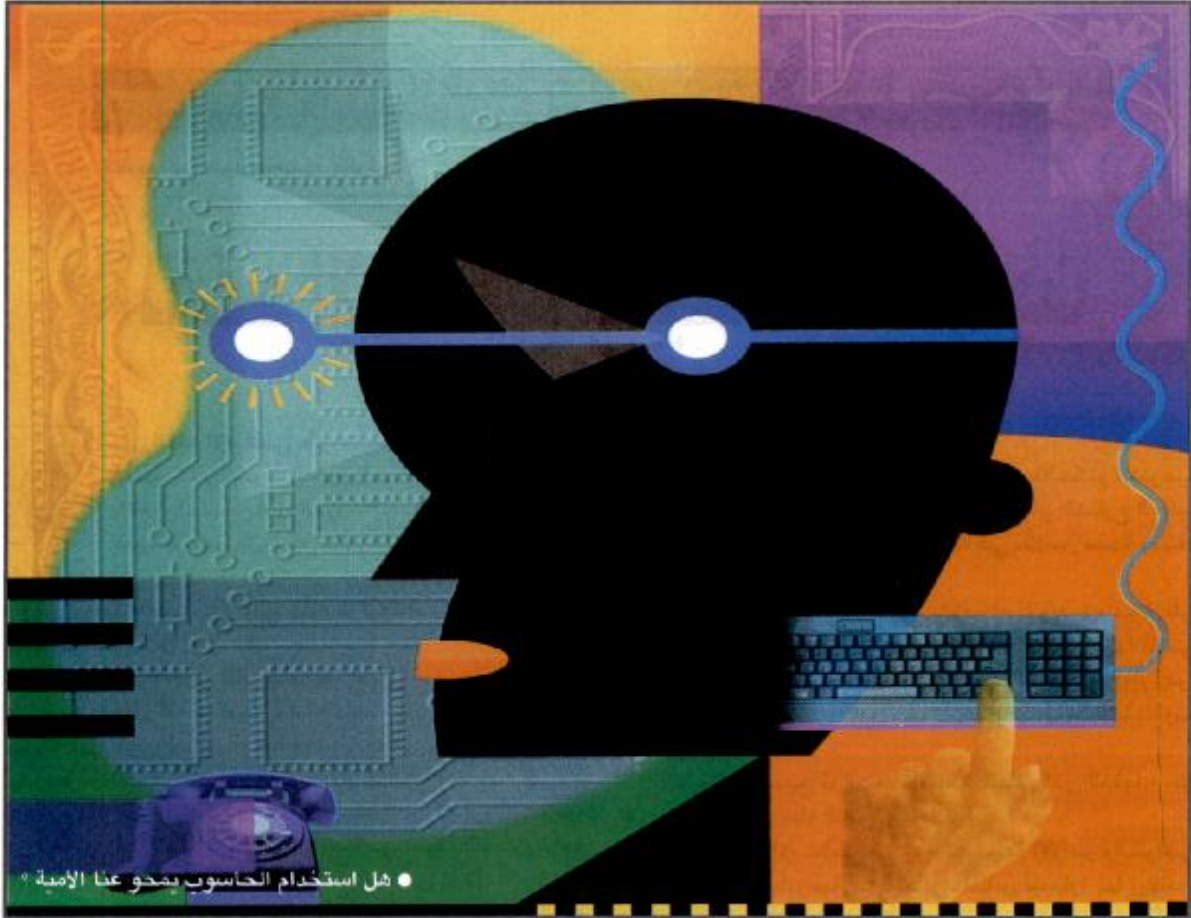
اجتماعية، ماذا يستفيد مقابل هذه التضحيات الهائلة!!!

لو قمنا ببحث ميداني كي نجيب بواقعية عن هذه الأسئلة لوجدنا أن ٨٠٪ من حالات استخدامه في البيوت «إذا تقاطنا» تكون في ألعاب معظمها لا فائدة ترجى منها من الناحية التربوية أو العلمية حتى «الإنترنت» التي هي وسيلة رائعة للبحث العلمي وهدية العصر لنا كي نجوب العالم من جميع جوانبه ونعرف أحواله الاجتماعية والسياسية والعلمية والجغرافية أصبحت على أيدي أبنائنا ومرافقنا أداة للمحادثة (MIRC) التي أقل ما يُقال فيها أنه لا فائدة منها (جرّب أن تدخل مرة إلى برنامج المحادثة على الإنترنت في دولة عربية لتقرأ ما يندي له الجبين ويخدش له الحياء ولا تصدّق أنك في بلد له تقاليد وأعراف محافظة»، وأصبح البريد الإلكتروني بين فتياتنا وفتياتنا

الحاسوب ويستفيد من البرامج العلمية والرياضية التي يحويها والتي تناسب عمره ومستواه التعليمي.

وفي عالمنا العربي - وفي بعض أقطاره بالتحديد - أصبح الحاسوب جهازاً شائع الاستخدام حتى في البيوت يحرص الأب والأم كلاهما على اقتنائه كما يحرصان على اقتناء الرائي إيماناً منهم أنه لغة العصر وبذلك يطمنون أنهم لن يكونوا أميين هذا العصر وكلهم أمل أن يصبح أطفالهم كالطفل الياباني - مثلاً - يصمم برامج ويطور أجهزة وهو في سن الحداثة!!!... آمال وآمال ولكن ما الواقع الذي يجب الاعتراف به؟

لنسأل أنفسنا بصدق: ماذا نستفيد من الحاسوب في المنزل؟ ما هي جلُّ استخداماته؟ ساعات طوال قد يجلس فيها ابننا أمام شاشة الحاسوب يزيغ بصره وقد يترك واجباته الدراسية ويضئ حقوقاً ريانية



● هل استخدام الحاسوب يمحو عنا الأمية ؟

والمحرك»، وجعل القراءة المفيدة في شتى المجالات هوياتهم، وممارسة الرياضة التي تنمي أجسادهم وعقولهم شغل فراغهم، وعندها فقط يدركون أن اقتناء الحاسوب ليس هدفاً في حد ذاته، بل الهدف الرئيس استخدامه في الدراسة والبحث العلمي واستخدام برامجه في توسيع أفقنا وتحريك ذهننا وعندها فقط نودع الأمية إلى الأبد، وندخل القرن الحادي والعشرين بجدارة لأننا نملك وسائل العلم المادية ملكاً حقيقياً لا مزيفاً ونحن نملك في الوقت نفسه مقومات الحضارة وقد سبق أن سعد العالم بحضارتنا في وقت كان فيه غيرنا يعيش في ظلمات الجهل ويثنون تحت سلطان الخرافة وعلمائهم يُحرقون ويُقتلون لأنهم يصلون إلى حقائق لا تروق لمن يسوسهم ويفتحون الأذهان على حقائق يجب أن تبقى مدفونة. هلا استجبنا إلى نداء العقل وداعي القلب؟! ■

تنهض بنا في سلم الحضارة وعمارة الكون لا تزيد في تخلفنا وبعدها عن ركب الحضارة والعلم الذي نملك وسائله المادية التي يملكها العالم المتقدم ولكننا متجربون من الوعي الحضاري الذي يجعلنا نستخدم هذه الوسائل والأسباب المادية في رقينا سلم المجد واستعادة سيادتنا بين الأمم ولا سيما ونحن نملك مبادئ وماضياً يؤهلنا أن نحتل مكان الصدارة في هذا العالم الذي سادت فيه شريعة الغاب ولا مكان إلا للقوي والقوة هي قوة العلم والمادة مجتمعين.

إن مهمتنا ومسؤوليتنا - التي سوف تحاسبنا الأجيال عليها عاجلاً أم آجلاً - خلق عقلية علمية لدى فلذات أكبادنا قبل وضع الحاسوب بين أيديهم، هذه العقلية تُنشأ بتعويدهم على احترام الوقت وتبصيرهم بقيمته في بناء الحضارات والقوة في هذه النقطة هي الأساس

الأسلوب العصري للمراسلة وتبادل الأفكار «لبيتها كانت أفكاراً بناءة» هذا إذا لم يتطور الاستخدام إلى أقلام تعود على المجتمع بالدمار والهلاك.

فهل استخدام الحاسوب بالشكل الذي ذكرته يمحو عنا الأمية ويرقي بنا في مضاف الدول المتقدمة؟ وهل مجرد استخدام الحاسوب يخلصنا من أمية هذا العصر؟!!

الحقيقة التي يجب أن نعيها ونفتح لها أذهاننا وقلوبنا، ونفرسها في نفوس أبنائنا: أن استخدام التكنولوجيا الحديثة بشكل عام يتطلب منا وعياً حضارياً وإحساساً بالمسؤولية يجعلنا - قبل أن نتحمس لهذه التكنولوجيا - نعي وعياً مسؤولاً: مجالات استخدامها، إيجابياتها وسلبياتها، وكيف نعتق الإيجابيات ونقلل السلبيات وما السبل الموصلة إلى ذلك حتى تكون هذه التقنية الحديثة قوة لنا لا ضعفاً، بشراً لا شؤماً.

الفقه الإسلامي وعبث المجترئين



إن الفقه الإسلامي على ما هو معلوم لكل ذي بصر وبصيرة من أشرف العلوم العملية التي يجب العلم والاهتمام بها، يقول العزيز الحميد في قرآنه المجيد (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم...) (١).

ويقول سيدنا محمد ﷺ - في سنته الراشدة «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين...» (٢).

والنصوص فيما سوى ذلك مشهودة مشهورة، معروفة مألوفة تنبو عن الحد وتجاوز العد، كلها توضح بجلاء قدر الفقه الإسلامي، وقدرته على تقديم الحلول للمعضلات لأنه القانون التشريعي العملي للشرعية الإسلامية، ولا تسود الشرعية بين الناس إلا به، لهذا كان ولا يزال وسيظل جزءاً رئيساً من الدين، ولهذا كانت الدعوة الإسلامية مرتبطة ارتباطاً كاملاً بعلم الفقه الإسلامي، حيث لا يمكن تبليغ الدعوة الإسلامية على وجهها الصحيح إلا من خلال علم الفقه الإسلامي، وتثور بين الفينة والفينة دعوات مريبة غريبة داخلية وخارجية، من بعض المنسوبين للإسلام أو الخارجين أو الناقمين عليه، تدعو لإلغاء الفقه الإسلامي وإحلال فقه جديد محله، وتعزو هذه الدعوات تخلف المسلمين الثقافي والفكري والعملي إلى الفقه التراثي الموروث أو القديم كما يحلو لهم تسميته.

وكتب في هذا مقالات وأقيمت ندوات لا تعدو إلا أن تكون رجوع صدى للأبواق المجترئة المهترئة التي لا تفتأ عن هز الثقة بالحضارة الإسلامية والتشكيك في ثوابتها وجذورها وأصولها.

والؤلم والمحزن صدور تلك الدعوات المريبة من غير المتذوقين لأسرار وجمال التشريع الإسلامي، بل من غير المشتغلين به، وقد تعاسى هؤلاء عن الأسباب الحقيقية لتخلف الناس من تعطيل الأحكام الشرعية، وسلخ الأمة عن هويتها الإسلامية، ومحاولة التعلق بأذيال الحضارة المادية الترفهية لتكون الأمة تابعة لا متبوعة مشهود عليها لا شاهدة بزعم الحداثة أو المعاصرة، وهذه أمور بدهية يقف على سماتها من له أدنى حظ من المرجعية المعرفية.

إذا علم هذا، فإن نقاطاً أساسية فيما يتصل بموضوعنا ينبغي الإشارة إليها:

الأولى: العلاقة بين الشرعية والفقه والتشريع:

١ - تعريف الشرعية لدى الفقهاء: هي مجموعة الأحكام التي سنّها الله - تعالى - للناس جميعاً على لسان رسوله محمد ﷺ - في الكتاب

والسنة (٣).

ب - تعريف الفقه لدى الفقهاء: هو العلم بالأحكام الشرعية المستنبطة من الأدلة التفصيلية، ويعني بها خطاب الشارع الحكيم المتعلق بأفعال العباد من فعل أو ترك، وما في ذلك من صحة وفساد ونفاذ ولزوم ووقف... إلخ.

وعلى ضوء هذا، فإن الفقيه من له ملكة خاصة وقدرة متميزة على استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية، وهو بهذا المعنى شمل المجتهد في الأحكام الشرعية (٤) يقول الله تعالى: (ولو رده إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم...) (٥).

ج - تعريف التشريع: يُراد به - بالإطلاق العام - لدى الفقهاء: سن القوانين التي تنظم حياة الناس ومعاملاتهم.

أما التشريع الإسلامي فهو: «مجموعة الأوامر والنواهي والإرشادات التي يشرعها الله - تعالى - للناس ليعملوا بها ويهتدوا بهديتها».

د - علاقة الفقه بالشرعية: الفقه الإسلامي أخص من الشرعية الإسلامية، لأنه أحد أقسامها الكلية، لأن الشرعية تشمل: العقيدة، الأخلاق، الأحكام العملية (الفقه)، فهو بمثابة النوع من الجنس، إلا أن الشرعية الإسلامية كثيراً ما تطلق ولا يُراد منها إلا الفقه، وهذا من باب إطلاق العام وإزادة الخاص، أي أنه إطلاق مجازي متعارف عليه.

هـ - علاقة الفقه بالتشريع: سلف القول أن التشريع مجموعة الأوامر والنواهي والإرشادات التي يشرعها الله - تعالى - للناس... والمشرع في الإسلام هو الله تعالى وحده فيما أنزله على رسوله محمد - ﷺ - أما الفقيه: فهو الذي يقوم بأعمال الفقه استنباطاً وتعلماً وتعليماً وتقنياً. حتى يتم تطبيق الأحكام تطبيقاً سليماً يرتكز على الفهم الصحيح لها، وهذا لا يتأتى إلا عن علم ومعرفة بها، وهذا يتوقف بداهة على الفقهاء.

الثانية: مصادر الأحكام الشرعية إجمالاً: أجمعت الأمة سلفاً وخلفاً على أن الحاكم الشارع الحكيم هو الله - تعالى - وهو مصدر الأحكام الشرعية، وأن المصادر التي يعتمد عليها الفقهاء ويلتمسونها في الأحكام الشرعية، إنما هي أدلة توصلنا إلى الحكم الصحيح الذي أراده الله - تعالى - أو خاطب به المكلفين، وهي التي تعرف بالأدلة التفصيلية، وهو تنوع بين أدلة أصلية وبين أدلة تبعية، لأنها ضربان:

أحدهما: ما يرجع إلى النص، وهي الأصلية «القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة».

ثانيهما: ما يرجع إلى العقل، وهي التبعية «الإجماع، والقياس والاستحسان والاستصلاح، وسد الذرائع، والاستصحاب، والعرف، وشرع من قبلنا» (٦).

واستنباط الأحكام الشرعية من هذه الأدلة لا يكون عن هوى أو كيفما اتفق، بل لابد من مسالك معينة يسلكها المجتهد، وقواعد يسترشد بها، وضوابط يلتزم بمقتضاها، وبهذا يكون اجتهاده صحيحاً، ووصوله إلى الأحكام الصحيحة ممكناً ميسوراً.

الثالثة: أسباب اختلاف الفقهاء إجمالاً:

أ - اختلاف بين المسلمين على أن المشرع الأصلي والأوحد هو الله - تعالى - فهو الذي يقرر الأحكام من وجوب وندب وحرمة وكراهة وإباحة، وله في كل أمر وفعل أو تصرف حكم شرعي، وأن مصدر الأحكام الشرعية وثبوت التكليف الشرعي بها في حق المكلفين الوحي المنزل على سيدنا محمد - ﷺ - . واتفقوا على أن الخلاف في بعض الأحكام الجزئية التفصيلية يرجع إلى أسباب منها:

أ - الاختلاف في فهم دلالة النص الشرعي كالخلاف حول المراد من الكلمة والتردد بين حمل اللفظ على الحقيقة أو المجاز، عندما يحتمل الاثنان معاً من حيث الأصل والثاني بقرينة قوية.

ب - الاختلاف في العلم بالحديث: سناً من حيث الحكم بالصحة أو عدمها، ومن حيث الدلالة اللفظية وفق ما سلف.

ج - الاختلاف في الأخذ ببعض الأدلة الأخرى كالقياس وصفة الإجماع، وحجية الأدلة الأخرى.

د - اختلاف الحكم باختلاف الزمان أو المكان: وهذا مرجعه إلى الظروف والملايسات طبقاً للعرف والمصلحة والحاجة ولزوال علة الحكم، والأمثلة والشواهد فيما سلف ماثورة في المصنفات الفقهيّة.

وعلى ضوء ما تقرر وسلف فما وراء المجترئين على الأحكام الشرعية المستقرة المستنبطة من الأدلة التفصيلية من فقهاء الأمة عبر الأعصار والأمصار؟ وما مرادهم من تجديد الفقه؟ هل المراد تغيير الحكم الشرعي للأصول والفروع العامة فيقلب الواجب إلى حرام والحرام إلى مباح؟ من الذي يملك هذا؟ ومن يملك؟ ولمن يفعل؟ هل إهالة التراب على التراث الفكري الإسلامي جملة وتفصيلاً بدعوى مصلحة البلد ومقتضيات العصر هو الدافع لهذا العبث بأكبر أصل من أصول المسلمين؟ وبالتالي يبيع أدياء العلم لأنفسهم تحليل الحرام وتحريم الحلال؟ هل يريدون فطم الأجيال المسلمة عن سلفها لتكون تابعة للركام من القوانين الوضعية البشرية، وتفصيل الأحكام تفصيلاً يتفق والأهواء ويتسق والمطامع والمطامع على حساب قدسية الشريعة وأصالتها؟

هل تطوع النصوص قسراً لمشاريع الحداثة، والعصرنة، وتستحدث أبواب فقهية جديدة مثل: نواقض المكياج بدلاً من نواقض الوضوء؟ وموجبات التخازل بدلاً من موجبات الجهاد؟ وفقه المرأة الرياضية بدلاً من فقه المرأة المسلمة؟ وحقوق الأشبال والطلانغ بدلاً من حقوق الأولاد؟ ويستحدث التشريع الجنائي في عقوبات من يعدد الزواج ومن يمنع الدمام من السهر من الصديق؟ وماذا لو استعملت «سوسو» و«فيفي» شامبو بالبيض؟ وتعدل أحكام الموارث ليضاف ثلاثة أرباع للأخت مع وجود أخيها؟ ويضاف لمصارف الزكاة مصرف إعانة أندية الروتاري وللميونز والروتراك... والأنتراك... أجل هذا هو الثواب

المرتقب للفقهاء الجدد ويأما في الجراب يا حاوي! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم! يا خلق الله يا معشر المتشدين بالموضوعية والمنهجية البحثية طبقوا على أنفسكم الحد الأدنى مما تتشددون به، وأعطوا القوس باريها وأسندوا العلم لأهل الاختصاص به، ولا تلجوا في بحر لاتعرفون مداخله ومخارجه، واتقوا الله في تراث المسلمين وفي شعوب المسلمين، الا تعلمون أن الفقيه لابد أن يكون ملماً باللغة والحديث والتفسير وما يقتضي ذلك من أسباب نزول وأسباب ورود وسند الحديث ومنتنه ودرجته وما يقتضيه ذلك من علم بأحوال الرجال، وكذلك علمه بلغات العرب ودلالات كلامها ونحوها وصرفها وغير ذلك مما يعرف خطره العارفين، ويجعله المتعاملون المجترئون، لماذا يا خلق الله أصبح فقه المسلمين كلاً مباحاً وغدت الجراءة على الفتيا بون سند من علم أو ذرة من حكمة هي المطية للذلول لكل مآرب من مآرب الدنيا؟

إن كنتم حقاً تريدون الخير للمسلمين والتقدم والرقى فأتسوا بأسلافكم الذين سادوا الدنيا قروناً طوالاً، وكانت سيادتهم الدنيا خيراً للناس جميعاً مؤمنهم وكافرهم على السواء، فقد رأى أهل الذمة في سيادتهم من الخير والبر والإحسان ما لم يروه في سيادة بني جلدتهم.

الأخرى بكم أن تسعوا سعياً صادقاً حثيثاً للمحافظة على الفقه الإسلامي بتأصيل دراسته في الكليات والأقسام المتخصصة، وتعميم دراسته على شتى المراحل الدراسية بالجامعة كافة، وإنشاء معاهد ثانوية ازهرية فقهية ولو معهداً واحداً في كل منطقة للدراسة المتبحرة في الفقه الإسلامي وعلومه، وعمل لجنة مشتركة بين الأزهر ووزارة العدل للنظر العلمي في القوانين الوضعية الماضية والحاضرة والمستقبلية من جهة اتفاقها مع الأصول والقواعد التشريعية الإسلامية أم لا؟، وعمل قنوات اتصال مع الجامع الفقهي ذات الصلة لبحث المستجدات وفق أسس علمية معتمدة معتبرة.

ثم اليس من الغريب والعجيب ألا يكون بمصر الرائدة بأزهرها مجمع للفقه الإسلامي، ويكتفي بعدة لجان في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالأوقاف، ومجمع البحوث الإسلامية، ولم نسمع عن مؤتمرات فقهية جادة كالتي كانت منذ أمد بعيد، وقد قدمت فيها بحوث جادة هادفة.

فرق يا سادة بين تجديد الفقه وتطوير الفقه كالفرق بين الهدم والبناء، فهل من مستبصر؟! ■

الهوامش:

- ١ - الآية ١٢٢ من سورة التوبة.
- ٢ - رواه البخاري في كتاب العلم حديث رقم ٦٩.
- ٣ - المدخل لدراسة الفقه د. محمد الحسيني ص ٨، والمدخل الوسيط لدراسة الشريعة الإسلامية د. نصر فريد ص ١٣ بتصرف.
- ٤ - التعريفات للرجلاني مادة (فقه).
- ٥ - الآية ٨٣ من سورة النساء.
- ٦ - انظر فوائح الرحموت بشرح مسلم الثبوت ٥٤/١ وما بعدها، وإرشاد الفحول للشوكاني ص ٥، الأمدي ١٢٧/١ وما بعدها، والمستصفي ١٧١:١٤٩/١، والإحكام لابن حزم ١٠٨/١، وما بعدها، وأصول السرخسي ٣٤١/١، والمواقفات ٢١/٣ وما بعدها، والتجيز في أصول الفقه د. عبدالكريم زيدان، وأصول التشريع الإسلامي للشيخ علي حسب الله.

رجال ومواقف



الزمان: أحد شهور سنة مئة وثلاث
وثلاثين من الهجرة المباركة.
المكان: دمشق الضيحاء، وفي قصر
من قصور بني أمية بعد زوال دولتهم، وتحول
ملكهم إلى بني العباس.
يجلس في صدر المجلس والي دمشق
الجديد عبد الله بن علي . عم الخليفة
السفاح . في يده خيزرانة، والمسودة . لابسو
السواد من الجنود . عن يمينه وشماله،
السيوف بأيدي بعضهم مصلثة، وعمد

الحديد بأيدي آخرين.
هاماتهم ممتدة، وجوههم معروقة،
وأجسامهم ممشوقة، مشدودة شد الوتر، تدور
أعينهم: ترقب الحركة والسكون، وتستنطق
الملحظ والإشارة، متوثبين لأمر يتلقونه،
ليكون التنفيذ أسرع من ارتداد الطرف، أو
رجع الصدى.
ساد الوجوم، وخيم الهدوء، فلا حديث، ولا
كلام، الكل ينتظر نطق الوالي، وماذا عسى أن
تكون أوامره!

المقاتلة فقيه معلم، ومحدث مفسر، وقف
نفسه لدعوة الله تعالى، ونشر تعاليم
دينه، وتبصير الناس بحقائق هذا الدين
ومفاهيمه؟!

كان تُطَق الوالي أسرع من استرسال
الإمام في أفكاره وخواطره، فقطع عليه
ما هو فيه عندما ناداه:

يا أوزاعي، ما ترى فيما صنعنا من
إزالة أيدي أولئك الظلمة عن البلاد
والعباد؟ أجهاداً ورباطاً هو؟

الأوزاعي: أيها الأمير سمعت يحيى بن
سعيد الأنصاري يقول: سمعت محمد بن
إبراهيم التيمي يقول: سمعت علقمة بن
أبي وقاص يقول: سمعت عمر بن
الخطاب يقول: سمعت رسول الله - ﷺ -
يقول :

«إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ
ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله

الأوزاعي في مجلس الوالي:
حضر الأوزاعي بعد ثلاثة أيام، وأدخل
على الوالي.

الأوزاعي: السلام عليكم ورحمة الله
وبركاته.

لم يرد أحد السلام، الكل صامت
وأجم، والوالي ينكت الأرض بخيزرانه!

وقف الأوزاعي بعد إلقاء السلام
ساهماً، يجيل الطرف في المجلس فيرى
السيوف مصلثة، وعمد الحديد مهيأة،
والوجوه عابسة متجهمة، والكل نحوه
شاخص.

ذهبت به الأفكار مذاهب شتى، ومرت
الخواطر خواطف كالبروق المرعدة: ما
الذي يريده الوالي الجديد مني؟ وعم
عسى أن ينجلي هذا المشهد؟!

ولم أعد الجند الأسلحة والعتاد،

لم يطل الصمت كثيراً، فما هو ابن علي
يقطع هدوء المجلس وصمته، ويقول:
أرسلوا في طلب الشيخ عبد الرحمن بن
علي الأوزاعي، فإنه سيد جليل وفقه
عليم، وإمام يقتدى به، وقد بلغني أنه
عندما ذهب لأداء فريضة الحج دخل مكة
وسفيان الثوري أخذ بزمام جملة، ومالك
بن أنس يسوق به، والثوري يقول:
أفسحوا للشيوخ، حتى اجلساه عند
الكعبة، وجلسا بين يديه، يأخذان عنه.

وإني أريد أن أعرف موقفه من دولتنا
الجديدة، وما الذي يعتل في نفسه بعد
زوال بني أمية وانحسار دولتهم، وقد
عرف عنه أنه من العلماء الأمرين
بالعرف، الناهين عن المنكر، الصرحاء
في قول الحق.

ومثل هذا يمثل نبض العامة، ويسهم
إسهاماً وافراً في تشكيل رؤاهم، وتوجيه
آرائهم.

ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه.

صمت شديد، والأمير ينكت الأرض بخيزرانتة أشد من ذي قبل، وجعل من حوله يقبضون أيديهم على قبضات سيوفهم. ولكن الوالي يتابع الكلام:

يا أوزاعي، ما تقول في نداء بني أمية؟
الأوزاعي: قال رسول الله - ﷺ - «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة».

الوالي: يا أوزاعي، ما تقول في أموالهم؟

الأوزاعي: إن كانت في أيديهم حراماً فهي حرام عليك أيضاً، وإن كانت لهم حلالاً فلا تحل لك إلا بطريق شرعي.

اشتد تجهم الوالي، وازداد نكته بخيزرانتة، وأطرق إطراقة طويلة، والجند يرقبون تحرك شفقيه، ليبتدروا تنفيذ ما يأمر به، ووطن الأوزاعي أن روحه سترهق لا محالة، وأنه لن يغادر المجلس حياً!

الوالي: ألا نوليك القضاء؟

الأوزاعي: أيها الأمير: إن أسلافك لم يكونوا يشقون عليّ في ذلك، وإني أحب أن يتم ما ابتدأوني به من الإحسان.

الوالي: بلغني أنك صائم منذ ثلاثة أيام، فهلا أفطرت عندنا؟

الأوزاعي: حبذا لو أعفاني الأمير، ومثله أهل للعفو والكرم.

الوالي: كائنك تحب الانصراف؟

الأوزاعي: إن ورائي حرمات، وهم محتاجون للقيام عليهن وسترهن، وقلوبهن مشغولة بسببي!

يقول الأوزاعي: وانتظرت رأسي أن يسقط بين يدي. ولكن الله حفظ وسلم.

الوالي: اذهب راشداً، وحبذا لو تعهدتنا بالنصيحة.

يسلم الأوزاعي مستأذناً بالانصراف، مبتدراً الباب، يشعر وكأنه ولد من جديد. ما إن غادر بهو القصر، يتلمس

الطريق إلى الخارج حتى سمع رسول الأمير يناديه، فنهل حتى كاد يُصعق، وحسب أن الأمير قد بدا له في أمره، فأخذه من الهمّ ما حسب معه أنه ميت لا محالة، ولكن الرسول ابتدره قائلاً: هذه المئة دينار من الأمير. وهو يقول لك: استنفق هذه.

قال الأوزاعي: فأخذتها وتصدقت بها، وما أخذتها إلا خوفاً من أني لو رفضتها أن تكون القاصمة.

درس وعبرة:

* هلاك القرون وتداول الأيام بين الناس: سنة كونية، لا تتخلف ما تعاقب الليل والنهار. فما طلع نجم سعد على قوم إلا يغيبه عن آخرين.

* وقد مضت سنة الله في خلقه الا يستمر ظلم مهما طال أمده، وامتد ليله، ومهما زهت دنيا أصحابه، وكثرت نعمائهم، وأحاطوا أنفسهم بأدوات القوة وأسباب البقاء.

إن من يركن إلى ذلك فقد خدعته نفسه وغرته الأمانى، وجهل سنن الله في كونه، ولم يعتبر بمصير من سبقه ممن أمهلهم الله، فلما تبادوا في المعاصي والذنوب ولجؤا في الظلم والطغيان لم يهملهم. بل أخذهم بذنوبهم وما كانوا معجزين (الم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكّناهم في الأرض ما لم نمكّن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدراراً وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكتناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين) ٦ - الانعام

ولا يماري عاقل في أن انغماس أولى الشأن بالترف والتعيم والغفلة عن إقامة العدل، ومتابعة الأمور، للتغلب على أسباب الضعف وعوامل الزوال من أقوى الأسباب التي تعجل بوقوع البلاء ونزول المكروه.

وإن من عبر التاريخ التي يجدر تأملها والإفادة منها: ما رواه ابن كثير في كتابه البداية والنهاية ٥٠/١٠ عن آخر خلفاء الدولة الأموية مروان بن محمد قال: جلس مروان - آخر خلفاء بني أمية - يوماً وقد أحيط به، وعلى رأسه خادم له قائم

فقال مروان لبعض من يخاطبه: ألا ترى ما نحن فيه؟ لهفي على أيد ما ذُكرت، ونعم ما شكرت، ودولة ما نُصرت.

قال الخادم: يا أمير المؤمنين، من ترك القليل حتى يكثر، والصغير حتى يكبر، والخفي حتى يظهر، وآخر فعل اليوم إلى الغد، حل به أكثر من هذا.

قال مروان: هذا القول أشد عليّ من فقد الخلافة.

ولئن كان هذا القول أشدّ على مروان من فقد الخلافة فإنه - وأمثاله من الأمور - عندما تتفشى وتستشري، ولا تجد من يحاصرها ويقاوم المفسدين والمهملين الذين يتسببون في حصولها تكون من أقوى الأسباب التي تعجل بزوال النعمة وحلول البلاء.

* ومن الدروس التي يجب أن يتقنها لها الدعاة ولا تغيب لهم عن بال: أن التزام الصديق وموقف الحق أبرز أسباب النجاة والفلاح في الدنيا والآخرة، وكم نجا رجال من مواقف ما ظن أحد خروجهم منها يسلام، لكن الله تعالى حفظهم بصدق نياتهم، وإخلاصهم، وابتغائهم وجه ربهم بما يفعلون أو يذرون.

* ولا عجب «فإن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء».

* فالمسلم الصادق عندما يصدع بالحق على هدى من كتاب الله وسنة رسوله، ولا يبتغي من وراء ذلك سوى مرضاة الله تعالى فإن الله يتولى حفظه وحمايته، ويصرف عنه كل من يريده بسوء.

* فأخلاص النية في تبليغ الحق صمام الأمان الذي يشكل حاجزاً متيقناً بين صاحبه وبين من يتوخاه بسوء، أو يريده بشر.

وهو - كذلك - المعيار الذي يمتاز بموجبه الدعاة الصادقون عن المدعين الكاذبين.

سدد الله الخطى ووفق الجميع، والحمد لله رب العالمين. ■

هموم الأمة الإسلامية



● د. محمود حمدي زقزوق

مما لا شك فيه، أن المؤلفات الفكرية لأصحاب القيادات الدينية، تحمل العديد من الأوجاع والهموم الخاصة التي تعاني منها الأمة الإسلامية، ولعل كتاب د. محمود حمدي زقزوق «هموم الأمة الإسلامية» من المؤلفات التي تحمل العديد من القضايا المهمة ولعل أهم القضايا التي عالجها الكتاب كالتالي:



١ - مفاتيح الحضارة في ضوء الأمر الإلهي اقرأ

وفي هذا الفصل يرى د. زقزوق أن أول ما نزل على الرسول الكريم من آيات كان يخض الإنسان على إعمار الأرض مادياً، ومعنوياً، أي صنع الحضارة فيها، ومن هنا كانت الآيات الخمس الأولى التي نزلت على النبي محمد ﷺ: (اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم) ومن هنا تظهر دعوة الإسلام إلى الإعمار والبناء، والعمل من أجل الخير، والحق، وهذا ما يعني أن الإسلام إنما جاء من أجل الإنسان وسعادته في دنياه وأخراه (ص ١٤).

ويرى د. زقزوق أن أول كلمة كانت من الوحي الإلهي على محمد ﷺ، وهي «اقرأ» تتجه إلى مخاطبة هذا العقل كما وردت في هذه الآيات الأولى من الوحي الإشارة إلى القلم، والعلم، وهذا تأكيد على أهمية القراءة التي هي مفتاح العلم، وبالتالي مفتاح الحضارة، وتأكيد على أهمية تدوين العلم بالقلم، وحفظه من الضياع، لتستفيد منه الأجيال، وذلك من المهام الرئيسية للعقل الإنساني (ص ١٧)، ومن الواضح أن الإسلام بذلك يؤكد على أهمية العلم، ودوره في بناء حياة الإنسان على الأرض ومن هنا يطالبنا د. زقزوق بضرورة تعلم منجزات العلم للتحرر من سيطرة الغرب على شؤون حياتنا، وهذا ما يتفق مع دعوة القرآن الإنسان إلى التعلم والقراءة، وتحصيل المعارف الإنسانية.

ومن ناحية أخرى، يؤكد د. زقزوق على تركيز الإسلام على أهمية الإنسان، ومخاطبة القرآن الكريم له فيقول: «وجدنا القرآن الكريم - وهو الكتاب المقدس للمسلمين - يشتمل على موضوع رئيس هو الإنسان، فكل ما في القرآن إما حديث إلى الإنسان، أو حديث عن الإنسان، أو أمر يتصل بشكل أو بآخر بالإنسان، فالإنسان هو قضية القضايا في الدين، وهو محور الكون، وهو سيد في الكون، والدين الإسلامي هو الذي أعطى له هذه المكانة المتفردة، لأنه خليفة الله في الأرض، وأسند إليه مهمة تعبير الكون، وصنع الحضارة فيه» (ص ٨).

ويؤكد د. زقزوق على أن الإسلام ينظر إلى الإنسان نظرة واقعية يلبي من ناحية حاجاته المادية، وفي الوقت نفسه لا يهمل حاجاته الروحية، ومن خلال هذا المزج الفريد المتوازن بين أن يهذين الجانبين تستقيم حياة الإنسان، وبالتالي يكون شخصية قوية، وهذا ما ورد في الآيات التالية:

(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا) القصص: ٧٧.

(وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) الأعراف: ٣١. (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط) الإسراء: ٢٩.

وإذا كان القرآن قد دعا الإنسان إلى عمارة الأرض، فإن تخلف

المسلمين عن عمارة الأرض يعني أنهم تخلفوا عن مسؤوليتهم وتركوها لغيرهم. (ص ١٩).

ومن ثم، فإن تخلف المسلمين الآن يرجع إليهم، وليس إلى الإسلام، فالإسلام سيظل شامخاً بتعاليمه، وإذا اشربت أعناق المسلمين، وقلوبهم نحوه - بصدق - جذبهم إلى أعلى، وإذا أرادوا أن يخضعوه لنهمهم السقيم تخلص عنهم وتركهم يسقطون في هذا التخلف» (ص ٢٩)، ومن ثم فلن يتحقق التقدم للمسلمين إلا باستعادة الوعي بالإسلام بوصفه دين العقل، والعلم، والحضارة.

٢ - الإسلام وتحديات القرن الحادي والعشرين:

وفي هذا الفصل يعالج د. زقزوق أهم التحديات التي يواجهها الإسلام في الفترة الراهنة ويقسمها إلى تحديات داخلية، وأخرى خارجية:

١ - تحديات داخلية: وتشمل على :

١ - ظاهرة الإرهاب: وتعد هذه الظاهرة على رأس التحديات الداخلية التي تواجه العالم الإسلامي، لأنها تهدف إلى زعزعة الاستقرار في المجتمع المسلم، وتهدد أمن الوطن وهذا ما يتضح في حادث الأقصر الذي أضر بسمة مصر، وصورة الإسلام في الخارج (ص ٢٧).

٢ - الفهم الخاطئ للإسلام: الإسلام دين الاعتدال والوسطية يكره التطرف والغلو ويدعو إلى التيسير على الناس والرحمة بهم، ورغم هذا فإن د. زقزوق يرى أن هناك اتجاهات تفسر الإسلام على هواها وتريد أن تشده ناحية اليمين مرة، وناحية اليسار مرة أخرى، وذلك بتفسيرات خاطئة تجعل منه إما ديناً جامداً متقوقعاً لا يقوى على مسابرة الزمن، ولا يراعي متغيرات الحياة، وإما أن تجعله ديناً دموياً عدوانياً، ولا مكان لهذه الاتجاهات في الإسلام (ص ٢٨)، ومن ثم يرى د. زقزوق أنه لا بد من تقديم فهم مستنير للإسلام وتعاليمه، ويكشف عن الوجه الحضاري لهذا الدين الذي تتماشى تعاليمه مع كل زمان، ومكان، وبيان قدرته على التطور، ومواجهة متغيرات الحياة، وتاريخ الإسلام شاهد على ذلك. (ص ٤٠)

ب - تحديات خارجية: وتشتمل على مسائل عدة :

١ - الخوف من الإسلام في الغرب: حيث إنه في الفترة الأخيرة راح الغرب يبحث عن عدو بديل للشيوعية، ولم يجد إلا الإسلام ليكون هو العدو البديل، إذ يبدو أن الغرب لا يستطيع أن يعيش دون أن يكون له عدو، ومن ثم بدأ الحديث في الغرب عن الأصولية الإسلامية، والإرهاب الإسلامي، والخطر الذي يهدد الحضارة الغربية من هذا الشر المدمر الذي هو الإسلام في زعمهم. (ص ٤١)

٢ - صراع الحضارات: ويرتبط بقضية الخوف من الإسلام في الغرب الترويج لنظرية صراع الحضارات، وأن هذا الصراع أمر حتمي، وبطبيعة الحال يوضع في الاعتبار في هذا التفكير صراع

احتضان الغرب

لسلمان رشدي حلقة

من حلقات المخطط

الإعلامي ضد الإسلام

الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، ويرى د. زقزوق أنه إذا كان البعض في الغرب يتبنى حتمية صراع الحضارات، فإن الإسلام كدين لا يرى ذلك أمراً حتمياً لا مفر منه، لأنه الصراع القائم بين البشر لا يقتصر على الصراع بين الحضارات، فهناك صراعات تبرز بين البشر داخل الحضارة الواحدة وكذلك فإن الإسلام يؤمن بالتعددية، كما يبدو من الآية الكريمة (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) الحجرات: ١٣.

٣ - العولمة: حيث ظهر منذ سنوات ما يسمى بالنظام الجديد، وذلك بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، وأصبح الحديث عن العولمة أمراً مطروحاً، ويعد نظام العولمة من التحديات الكبرى التي تواجه العالم الإسلامي في القرن المقبل، فهل يمكن إخضاع المسلمين لهذا النظام. (ص ٤٤)، ويرى د. زقزوق أن حقائق الإسلام وطبيعته، لا يمكن أن تذوب في أي نظام آخر، فله ذاتيته، وكيانه الخاص، ولكن هذا التصور الإسلامي لا يتناقض مع أية كيانات أخرى لأن التعددية الدينية والحضارية قد كفلها الإسلام، منذ قامت للإسلام دولة (ص ٤٤).

٤ - التطورات العلمية: وبالإضافة إلى التحديات السابقة تحدي آخر، وهو التطورات العلمية المتلاحقة على الأرض، وفي الفضاء، والتي تسارعت خطاها على نحو مذهل، ووصلت إلى إتمام الاستنساخ الكامل لبعض فصائل الكائنات الحية فأين موقف الإسلام والمسلمين من هذه المرحلة؟ وهل استعد المسلمون للمشاركة الجادة في الجهود العلمية؟ (ص ٤٥).

ويؤكد د. زقزوق على أن الإسلام يساعد العلم، ويدعم مسيرته، ولا يمكن أن يكون هناك تعارض بين الإسلام، وحقائق العلم بأي شكل من الأشكال، ومجال العلم في الإسلام غير محدود، فهو يشمل السماء والأرض، وما بينهما، فليس هناك قيود، ولا سدود في الإسلام تقف في طريق التقدم العلمي مادام ذلك في مصلحة الإنسان، وهذه المصلحة تحوطها القيم الأخلاقية بسياج يحميها من سوء الاستغلال (ص ٤٦).

وعن موقف الإسلام من الاستنساخ يرى د. زقزوق أن الاستنساخ إذا كان فيه مصلحة للإنسان في مجال النبات والحيوان فلا يستطيع عاقل أن يرفضها، أما الاستنساخ في مجال الإنسان فليس هناك اتفاق على أنه يحقق مصلحة واضحة للإنسان، بل العكس هو الصحيح لأنه يترتب عليه مشكلات عديدة على المستويات الدينية والأخلاقية والاجتماعية، والقانونية وغيرها. (ص ٤٧)

٤ - الدين في مواجهة الإرهاب:

وفي هذا الفصل يؤكد د. زقزوق أن الإسلام دين تعمير لا تخريب، وأنه يراعي حقوق الإنسان، وأن الإسلام يؤكد على قيم الأخوة والتعاون (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على

الحملات الضارية ضد

الإسلام والمسلمين

اليوم ليست وليدة

ظروف جديدة طارئة

الإثم والعدوان) المائدة: ٢، فهذه القيم هي التي تؤدي إلى التعمير والبناء، ولهذا فإن حضارة الإسلام هي حضارة العلم والعمل، والمسلمون مطالبون بالتعلم، والعمل حتى يعمروا الأرض. (ص ٥٥)، ومن ثم فإن طبيعة الإسلام تلبى الإرهاب، وقتل النفس دون وجه حق، أو الفساد في الأرض، والتخريب فيها.

ومن جانب آخر يؤكد د. زقزوق على أهمية الاستنارة الدينية، أو التفكير العلمي، ويعني د. زقزوق الاستنارة الدينية أنها «تعني أن نعمل العقل في فهمنا للدين، وأن نقرأ الدين في ضوء

مقررات العقل السليم... وإذا كان الدين الإسلامي لا يتعارض مع العقل، فإن الاستنارة الدينية أمر مطلوب وضروري، لأنها تعني استبعاد التفسيرات الخرافية واللاعقلية في فهم الدين، وظواهر الكون، ورفض ما يتعارض مع مقررات العقل السليم (ص ٦١)، ومن هنا يتضح مدى أهمية التوعية الدينية المؤسسة على مقررات العقل، والتوعية المبنيّة على المناهج العلمية الصحيحة، حتى يتبين أنه ليس هناك أساس للخصومة المصطنعة بين العلم والدين، فهذه الخصومة ليست في صالح الدين، ولا في صالح العلم، ولا في صالح المجتمع، وعلينا أن نربي أبنائنا، وبناتنا على هذه الأسس التي تهيئهم للإسهام الجاد في بناء المجتمع وتقدمه، وأزدهاره، وفي الوقت نفسه تعصمهم من الانحراف، أو الجمود والانغلاق (ص ٦٥)، ومن ثم نلاحظ مدى تأكيد د. زقزوق على أهمية الفهم السليم للإسلام الذي يتوافق مع مسلمة العقل، الفهم الذي يكشف معن الإسلام الحقيقي، ولا يؤدي إلى تصرفات إرهابية تسيء إلى الإسلام والمسلمين في جميع أرجاء العالم.

٤ - الإسلام والاستشراق:

مما لا شك فيه أن الدراسات العربية حول الاستشراق عديدة، إلا أن دراسة د. زقزوق حول علاقة الإسلام بالاستشراق، تكشف لنا العديد من الجوانب الجديدة، فهو يرى أن «الواقع الذي لا يمكن إنكاره، هو أن الاستشراق له تأثيراته القوية في الفكر الإسلامي الحديث إيجاباً أو سلباً، أردنا أم لم نرد، ولهذا فإننا لا نستطيع أن نتجاهله، أو نكتفي بمجرد رفضه، وكأنتنا بذلك قد قمنا بحل المشكلة، إننا لو فعلنا ذلك لكننا كالتعمامة التي تدفن رأسها في الرمال» (ص ١٤٥).

ويرى د. زقزوق أن الدوافع الأولى للاستشراق كانت «تتمثل في ذلك الصراع الذي دار بين العالمين الإسلامي والمسيحي في الأندلس، وصقلية، كما أدت الحروب الصليبية بصفة خاصة إلى اشتغال الأوروبيين بتعاليم الإسلام وعاداته، وقد نشط اللاهوتيون المسيحيون في ذلك الوقت ضد الإسلام، وزعموا فيه ما زعموا أن الإسلام قوة خبيثة شريرة، وأن محمداً ﷺ - ليس إلا صنماً واهل قبيلة وشيطاناً» (ص ١٤٦)، ويرى د. زقزوق أن هذا الاتجاه الخرافي عن الإسلام ورسوله ما يزال للأسف - حياً في العصر الحاضر في كتابات

هذا ضروري على مؤسسات الدعوة أن تقوم بتنشيط الدافع الذاتي لدى المسلمين

بعض المستشرقين... ولكن على الرغم من سيطرة هذه النظرة عن الإسلام في بعض الكتابات الاستشراقية إلا أن هناك اتجاهاً آخر أنصف الإسلام وقدم صورة مشرقة عن الإسلام، ونبه ﷺ، ونظر إلى الإسلام بوصفه مهد العلوم الطبيعية، والطب، والفلسفة» (ص ١٤٨).

ويكشف د. زقزوق عن علاقة الاستشراق بالاستعمار فيقول: «كان للمد الاستعماري في العالم الإسلامي دوره في استخدام فئة من المستشرقين للمساعدة على تحقيق الأهداف الاستعمارية في بلاد المسلمين عن طريق دراستهم

الموجهة إلى خدمة الاستعمار» (ص ١٥٢).

ومن ناحية أخرى يكشف د. زقزوق عن علاقة اليهود بالمؤسسات الاستشراقية فيقول إن «اليهود دخلوا ميدان الاستشراق بوصفهم الأوروبيين لا بوصفهم يهود، وبذلك فقد كسبوا مرتين، كسبوا أولاً فرض أنفسهم على الحركة الاستشراقية، وكسبوا ثانياً تحقيق أهدافهم في النيل من الإسلام، وهي أهداف تلتقي مع أهداف غالبية المستشرقين المسيحيين، فقد ظل اليهود طوال تاريخهم يتحينون كل فرصة متاحة ليكيدوا للإسلام والمسلمين، وقد وجدوا في مجال الاستشراق باباً يفتنون منه سحومهم ضد الإسلام» (ص ١٥٤).

وإذا كان د. زقزوق قد اهتم بكشف النقاب عن علاقة الاستشراق باليهود، والاستعمار، فإن هذا لم يمنع عن بيان الجوانب الإيجابية للاستشراق، فيرى أن أهم هذه الجوانب هي «إخلاص بعض المستشرقين - في العمل الثقافي، وتحقيق العديد من المخطوطات التراثية النادرة، وتأليف دائرة المعارف الإسلامية، وتأليف العديد من المعاجم المهمة عن الحضارة العربية» (ص ١٥٥).

وبالإضافة إلى الجوانب الإيجابية، فإن هناك العديد من الجوانب السلبية ولعل أهمها «النظر إلى الإسلام أحياناً بمنظار القرنين الوسطى المليئة بالضعف على الإسلام، وعدم الموضوعية في اتهام الإسلام بأنه غير قادر على الإبداع والاجتهاد، وذلك لصالح العقل الغربي، ومحاولة المستشرقين التأكيد على أهمية الفرق المنشقة عن الإسلام كالبابية والبهائية، والقاديانية ومحاولة تعميق الخلاف بين السنة والشيعة، وكذلك من مساوئ الاستشراق تحالف بعض المستشرقين مع الاستعمار وذلك لخدمة أغراض استعمارية» (ص ١٥٥).

وفي النهاية يدعو د. زقزوق إلى بناء استراتيجية عربية إسلامية تعمل على مواجهة الاستشراق والرد على سلبياته من خلال وجهة نظر أكاديمية عن الإسلام وتعاليمه.

٥ - دور مؤسسات الدعوة حيال الغزو الفكري

وفي هذا الفصل يرى د. زقزوق أن مؤسسات الدعوة مفهوم واسع يشمل وزارات الأوقاف، والمساجد التي تتبعها وما تقوم به من توعية دينية.

وجود تلميذة مسلمة تفطلي رأسها في مدارس الغرب أمر يشغل الرأي العام الغربي كله !!

الإسلام ينظر إلى الإنسان نظرة واقعية يلبي من ناحية حاجاته المادية ولا يهمل حاجاته الروحية

ومن ثم يرى د. زقزوق أن المسلمين يواجهون في الغرب مشكلات دينية، واجتماعية، وحضارية، وسلوكية، وأصبح الوجود الإسلامي في الغرب يتعرض اليوم لأبشع الحملات الإعلامية، وموجات الكراهية، والتخويف من جانب الجماعات المتطرفة من النازيين الجدد في ألمانيا، واليمينيين المتطرفين في فرنسا، وغيرهما من الجماعات المتطرفة في بلاد غربية أخرى، وهي حملات ليست موجهة ضد المسلمين كأشخاص فحسب، بل ضد الإسلام بوصفه ديناً غير مرغوب فيه، وما احتضان الغرب لسلمان رشدي، والدفاع عنه، إلا حلقة من حلقات هذا المخطط الإعلامي ضد الإسلام» (ص ١٩٩)، ويفسر د. زقزوق هذا العداء من الغرب تجاه الإسلام إلى سوء فهم الغرب للإسلام، وسوء الفهم هذا نتاج تشويه متعمد للإسلام منذ قرون طويلة، فالحملات الضارية ضد الإسلام اليوم ليست وأبداً ظروف جديدة طارئة، وإنما هي نتيجة ترسبات قديمة ترسخت في العقلية الغربية منذ فتح الأندلس» (ص ٢٠٠).

ويرى د. زقزوق أنه من العجب أن يجد المرء الأديان الأخرى، وبخاصة الأديان البشرية تعامل من جانب الغرب معاملة منصفة، والإسلام وحده من بين كل أديان العالم هو الذي يهاجم، ويُساء إليه، وهو وحده الذي يرمي بكل النقائص، وترتعد فرائض الغربيين حينما يسمعون عما يسمى بالصحة الإسلامية في بعض بلاد المسلمين، وينظر الغرب اليوم إلى الإسلام على أنه هو ذاته العدو البديل بعد انهيار الاتحاد السوفييتي... ولعل هذا ما يتضح في وقوف الغرب موقف المتفرج لأكثر من عامين من مأساة اليوسنة والهرسك، وقد ظلت أوروبا تتأفق طوال هذه المدة، وتكتفي بإصدار بيانات الشجب والاستنكار إلى أن يحقق الصرب أهدافهم» (ص ٢٠١).

ويؤكد د. زقزوق على أن مستقبل الإسلام في الغرب يتوقف على المسلمين القاطنين في العالم الإسلامي، والمسلمين المقيمين في الغرب، وذلك من خلال الاتحاد في العمل على مواجهة هذا العداء من خلال:

- ١ - إنشاء دائرة معارف إسلامية باللغة العربية واللغات الأجنبية تعرض الإسلام عرضاً علمياً.
- ٢ - ترجمة معاني القرآن الكريم.
- ٣ - إصدار موسوعة فقهية مختصرة باللغات الأجنبية تشتمل على كل ما يهم المسلم معرفته في حياته التمهيدية.
- ٤ - ضرورة فهم العقلية الغربية.
- ٥ - ضرورة اتحاد المجموعات الإسلامية في الدول الغربية، وتوثيق الروابط فيما بينها.
- ٦ - ضرورة إيجاد الصيغة المناسبة للحفاظ على الذاتية الإسلامية للمسلمين في الغرب.

وخلاصة القول: إن كتاب «هموم الأمة الإسلامية» يتعرض للعديد من القضايا الشائكة التي تواجه العالم الإسلامي، وكيفية مواجهتها. ■

وتشمل أيضاً معاهد التعليم التي تعنى بالتكوين الإسلامي، ومجالس الشؤون الدينية، وكل مؤسسة أو منصة إعلامية تهتم بالتوعية الدينية.

ويعرف مفهوم الغزو الفكري «بأن هذا المفهوم يقصد به كل التيارات الفكرية الهدامة الواردة من الغرب الراسمالي أو الشرق الماركسي» (ص ١٧٧). ويرى د. زقزوق أن دور مؤسسات الدعوة في مواجهة الغزو الفكري يتحقق من خلال عدة بنود رئيسة:

أ - تحصين الجبهة الداخلية: من الضروري على مؤسسات الدعوة أن تقوم بتنشيط الدافع الذاتي لدى المسلمين، وإبراز القيم الإسلامية المنسية مثل: قيم العمل، والوقت، والحق، والخير، والجمال وترسيخ هذه القيم في النفوس، فلن يجدينا في شيء أن نكتفي بسرد تاريخنا المشرق، والتغني بما كان لنا من أمجاد سابقة» (ص ١٩١)، ومن ناحية أخرى، فإن د. زقزوق يرى أنه من الضروري تدريس الثقافة الإسلامية في الجامعات الإسلامية حتى لا يترك الطالب في هذه المرحلة الحاسمة من مراحل حياته نهياً لشتى التيارات الفكرية دون أن يكون لديه حصانة كافية من دينه وتراثه وقيمه، ودون أن يكون لديه الانتماء الراسخ لعقيدته وتاريخه» (ص ١٨٢).

ب - المواجهة المباشرة: يرى د. زقزوق أنه من الضروري مواجهة الغزو الفكري بمواجهة مباشرة عن طريق دراسة هذه التيارات، وتفنيداً وحماية المسلمين من أخطارها» (ص ١٧٤).

ج - خطوات عملية: وهنا يطالب د. زقزوق بضرورة اتخاذ عدة خطوات عملية لمواجهة الغزو الفكري مثل إنشاء مركز علمي للدراسات الاستشرافية، ومركز علمي لدراسة التيارات المعاصرة، وموسوعة إسلامية عالمية، وجهاز عالمي للدعوة الإسلامية في الخارج» (ص ١٨٩) هذه المؤسسات يكون دورها عرض الإسلام بشكل موضوعي، ومحاربة التيارات الهدامة.

٦ - مستقبل الإسلام في الغرب

وفي هذا الفصل يرى د. زقزوق أن الإسلام في الغرب يتعرض لتحديات عديدة، وذلك لظهور الخوف من الإسلام بطريقة شديدة في أوروبا لدرجة أن أحد علماء الطبيعة الألمان الذي كان من المعارضين لإنشاء مركز إسلامي في العاصمة الألمانية - بون - عبّر عن مقدار سوء الظن بالمسلمين قائلاً: إنه أحب لديه أن يبني «مفاعل ذري» أمام باب منزله من أن يبني مركز إسلامي معللاً بأن المفاعل الذري يمكن أن يحسب حسابه، أما المسلمون فلا يستطيع المرء أن يتنبأ بالأخطار التي ترد منهم» (ص ١٩٨)، وقد أصبح وجود تلميذة مسلمة تغطي رأسها في مدارس الغرب أمر يشغل الرأي العام الغربي كله بوصفه ذلك أمراً يتعارض مع التقاليد والحضارة الغربية، ولأنه في الوقت نفسه يذكر الناس هناك بالإسلام، وهذا في حد ذاته أمراً غير مرغوب فيه» (ص ١٩٨).

لا بد من بناء استراتيجية عربية إسلامية تعمل على مواجهة الاستشراق والرد على سلبياته

تائب إلى الله



جلس مهموماً بجوارها، وهي غارقة بكل أحاسيسها داخل رأسها، تفكر في إيجاد مخرج من الورطة التي وضع نفسه ووضعها معه في جحيمها، فكانا عاندين حالاً من بيت العروس، التي يهيم بها حياً، وترتعد هي منها ومن أهلها رعباً، حتى أنها فور خروجهما من عندهم، قالت له بنبرات صوت قاطعة متوجعة:

- لا أوافق على هذه العروس!

سألها متعجباً:

- لماذا يا أمي؟!

قالت وهي تلوي شفيتها بامتعاض:

- منيتها غير مأمون!

كان لقلوبها تأثير الصدمة على قلبه، فظل ملجوم الحلق، وهو يسير بجوارها، دون أن ينطق بشيء، حتى وصل إلى البيت.

ظل يتأملها، وهي جالسة أمامه في صمت، ثم قال بانفعال:

- مالي أنا ومنيتها؟!

اطلحت برأسها نحوه، وهي تنظر إليه، وعيناها تتسع وتشتعلان، وكانت تود أن تثور غاضبة في وجهه، الذي ترى فيه صورة وجه المرحوم أبيه، الذي تجله كثيراً لهديته، واستقامته التي ظل محافظاً عليها حتى وافته منيته، أخيراً هزت رأسها أمامه، وهي تقول في هدوء:

- إن الرسول ﷺ حذرنا من التزوج بهذه الطريقة.

وذكرت له أنه ﷺ قال:

«إياكم وخضراء الدمن، قيل: يا رسول الله وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء».

كانت تتوقع منه أن يوافقها على رأيها، لكنها رأت بوادر إحساس بالانقباض والرفض ترتسم على ملامح وجهه، ثم فوجئت به يقول، وهو يضغط على الكلمات بين شفثيه:

- إنني أراها مفتاحاً للسعادة!

صاحت في وجهه:

- وإني أراها مفتاحاً للتعاسة!

لا يدري كيف انفلتت منه عيار أعصابه، وهو ينهرها بشدة قائلاً:

- أرجوك يا أمي... لا تتحدثي عنها هكذا!

أصابها الوجوم، وغشت عينيها سحابات الغيوم، وهي تتامله بنظرات مصدومة وأحاسيس مطعونة، فكانت لهجته معها نارية حارقة، وبنبرات صوته خارقة صاعقة، ولامح وجهه مشتعلة بغضب كشوب من حميم في نار الجحيم، وفراعه تعصران، وهو يلوح بهما أمام وجهها في احتقان ملعون، حتى أن الدم كان موشكاً على الهروب من عروقها، وأوشكت أنفسها على الانقطاع من فرط إحساسها بفجيعتها فيه، فلم تصدق أنه وليدها وقلدة كبدتها، الذي ذاقته مرارات الدنيا في حملته ووضعته ورضاعته ورعايته، حتى صار رجلاً.

زاد إحساسها بالفجيعة عندما سمعته يقول:

- لا أستطيع العيش من دونها!

وعندما رآته يتهيأ للخروج سألته:

- إلى أين؟

أصابها الذهول، وهو يقول:

- إنني ذاهب إليها!

استقر انصفاق الباب في رأسها بشدة بعد خروجه، فأحسست بانهايار كل مباحج

الحياة من حولها دفعة واحدة، وظلت متجمدة في جلستها، وقد أصيب قلبها برجفة مؤلمة مع ارتجاف عينيها بالدموع، وبدأ ينقصد شرر غضبها وسخطها عليه في قلبها، فلم تجد في البنات شيئاً يستحق الاهتمام، ولم يعجبها بريق ولعان أصابع وجهها، وصيغة شعرها باللون الأصفر، الشبيه بلون القش، لم يعجبها أيضاً شكل ملابسها الحاسرة النائرة، ونظرات عينيها الشاطحة في بهارج الافتتان، الخالية من سكينة الإيمان وهداة الإحساس بالأمان.

وزاد عدم ارتياحها لها عندما سألتها:

- اتحفظين شيئاً من كتاب الله؟

تجمدت في جلستها وهي تفكر للحظات، ثم ابتسمت وهي تحاول أن تخرج من حالة إحساسها بالحرج وقالت بلا ميلالة:

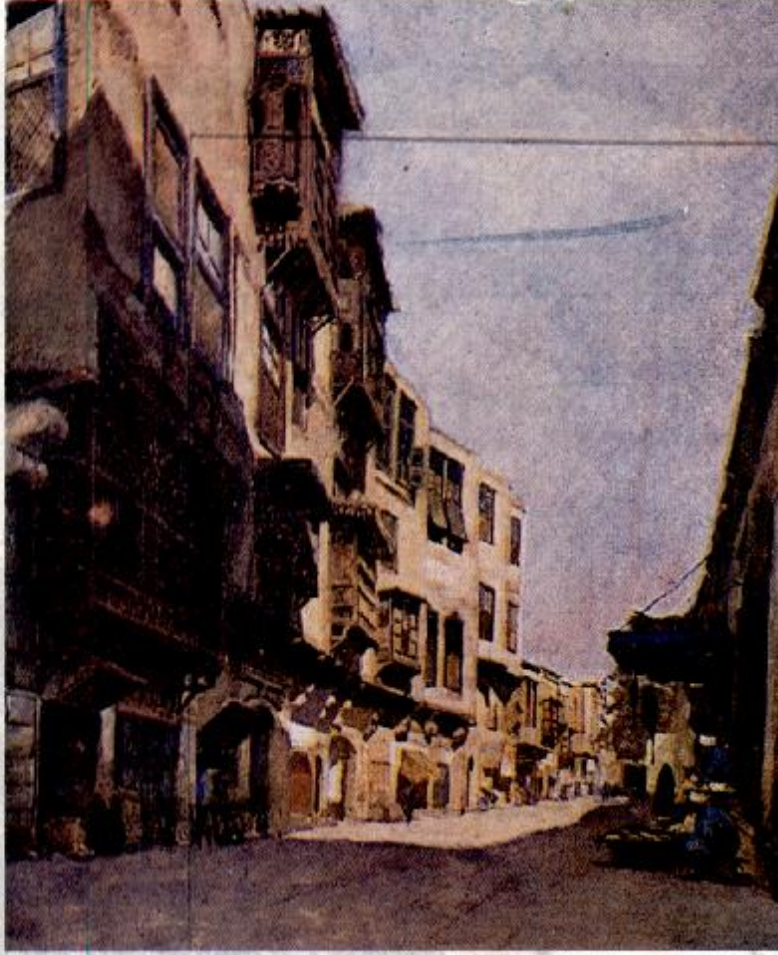
- لا...!

كانت تود أن تترك البيت، وتخرج بان دفاع غاضب مع ابنها، دون تعليق على قولها، لكنها استطاعت أن تكظم غيظها، حفاظاً على آداب السلوك في مثل هذه المناسبة، وظلت تتصت لكلامها، وكلام أبيها وأمها، الذي لم يخرج عن الحديث حول توافه الأمور ومظاهر الأشياء، وما تستحقه بنتهما من ذهب ومال، لأنها ذات جمال.

ما فاندتها إذا لم تكن ذات دين؟

قالتها في نفسها، وكانت تود أن تقولها لابنتها، لكنه خرج وتركها وحدها بين نار قلقها وانكسار قلبها.

احتواه حلق الشارع المفتوح بعد خروجه من البيت، وكان قد بدأ ينطلق راكضاً إلى بيت العروس، لكنه أحس بخطواته تتباطأ فجأة، وهو يقترب من المسجد المجاور لبيتهم،



وكان الوقت عصراً، وصوت المؤذن ينطلق في سحبات الفضاء بالأذان للصلاة، فوجد نفسه يتوقف عن السير، وصورة أمه ترتسم في رأسه، وهي تحاول أن تكتم إحساسها بالارتعاد من الطريقة التي كان ينهرها بها، حتى تصور أنها موشكة على الإصابة بالشلل، فأصابته رعشة مرعدة في قلبه، أحس بسريانها في أعماقه حتى النخاع، فرفع رأسه للسماء، التي كانت ملبدة بالغيوم، واستجمع كامل أحساسيه، وإشعاع نبض قلبه وروحه، وحاول أن يبتهل إلى الله قائلاً:

- يا رب اجعل أمي تسامحني!

لكنه لم يستطع تحريك لسانه بالدعاء، وأحس بأن لسانه قد أصيب بالشلل، فأصابه إحساس مخيف بالفزع، ودارت الدنيا برأسه دورات خاطفة راجفة، وهو يستند بجبهته على عمود النور المجاور له في قلب الشارع الغارق في عتمة الغيوم، وكان ملمس العمود جامداً بارداً تحت ضربات عواصف الشتاء بصفيها المروي في خلاء الفضاء.

ظل واقفاً هكذا، مغمض العينين، وفي حالة أشبه بفقدان الوعي، وهو يرى كائنات غريبة ذات أشكال رهيبية، تدور حوله، وهي تقرع رأسه بقبضات حديدية، شبيهة بضربات المطارق، حتى أحس بصوت شيخ المسجد، الذي كان يعرفه ويعرف أباه وأمه، وهو يقترب نحوه، ويسأله:

- مالك يا بني؟

رفع رأسه نحوه في بطن ثقيل، وهو ينظر إليه بعينين تسحان بالدموع، استعاد الشيخ بالله من الشيطان، ونطق باسم الله عليه، وهو يسمح براحة يده على رأسه في رفق وسأله:

- ماذا بك؟

انتفض في وقفته، وهو يحاول أن يتكلم، لكنه وجد صعوبة في النطق، وتلعثم لسانه بكلماته الأولى، وظل يتلعثم وهو موشك على البكاء، من جديد، والعروق يروشح غزيراً على جبهته، ولكن الله أنزل عليه رحمته وسكينته أخيراً، ومنحه القدرة على النطق، فبدأ يروي للرجل قصته، وانتفض نبض قلبه، مع انتفاض أوصاله بكاملها في هلع، وهو يصف له الطريقة التي نهرها بها في قسوة، وأصابتها بصدمة شنيعة وفجيرة مريفة.

زم الشيخ شفثيه في استنياه، وهو يكتم أنفاسه ويتأمل بنظرات مشففة، ثم قال له: - سخط أمك عليك كاد يعجزك عن النطق

إلى الأبد!

ثم ابتسم، وهو يقول له في لهجة سريعة وبلا تفكير:

- عد إليها حالاً... واطلب رضاها.

وواصل كلامه قائلاً:

- رضاؤها عليك أريح لك من الدنيا وما فيها.

وقال له، وهو يرى وجهه قد بدأ يشع ببسمة ساطعة:

- هيا... وحاول أن تلحق بنا في الصلاة.

لن تصدق أمه عودته سريعاً، ولم تصدق ما رآته في ملامح وجهه، التي تبدلت من العتمة إلى الإشراق.

عندما سأله عما حدث، حكى لها سريعاً، وهو مغمور بالسرور، ثم قال:

- أراد الله بي خيراً.

وتنفس في ارتياح، وهو يقول:

- الحمد لله.

وقال وهو يبادلها التبرسم والشعور بالابتهاج:

- لن أعود لبيت هذه العروس مرة أخرى.

كان صوتها مرتعشاً في حلقها مع اهتزاز نبض قلبها وارتعاش عينيها بدمعات السرور، وهي تقول له:

- زارك الله من هدايته يا بني.

فأمسك بيديها وقبلهما، ثم سألهما:

- أراضية عني يا أمي؟

قالت:

- راضية من كل قلبي يا حبيبي.

وزاد إحساسه بالسرور لسرورها، وهي تمطره بدعائها، النابع من أغوار قلبها، وكان يشعر بصوتها الساطع بالدعاء، كشعاع من نور خفي يمتد من اقاصي الأرض إلى الهاق السماء. ■

مفكر إسلامي ورائد من رواد النهضة الإسلامية الحديثة

مالك بن نبي

الاحتكاك بجميع شرائح المجتمع:

سافر مالك بن نبي سنة ١٩٢٥م إلى «مرسيليا» و«ليون»، فه «باريس» بحثاً عن عمل مع أحد أصدقائه لكي يخفف عن نفسه وربما عن عائلته سغب العيش، ولكن دون جدوى، فعاد إلى الجزائر حيث عمل في تبسة كمساعد كاتب في المحكمة إلى أن عين كاتباً رسمياً في منطقتي «أفلو» و«هران» وقد أتاح له عمله هذا الاحتكاك بمختلف شرائح وطبقات المجتمع مما ساعده على تفسير ظواهر مختلفة فيما بعد، ولقد تعرّف إلى الشيخ عبدالحاميد بن باديس سنة ١٩٢٨م، وذلك بعد عودته إلى قسنطينة، وعرف مالك قيمة الرجل التربوية والإصلاحية بعد سبع سنوات من وفاته (١٩٤٧م)، ومن ثم سافر مرة ثانية إلى فرنسا سنة ١٩٣٠م، إلا أنه لم تتح له الفرصة باعتباره جزائرياً، والجزائري يقيم سياسياً وليس علمياً، ولم يفقد الأمل فدخّل مدرسة اللاسلكي، وتخرّج فيها مهندساً كهربائياً سنة ١٩٣١م، وتزوَّج حينذاك فرنسية أسلمت وتسمت باسم «خيجة»، ولم تنجب له فتزوج ثانية بعد وصوله إلى مصر سنة ١٩٥٦م.

مراحل التكوين الفكري لمالك بن نبي:

يمكن تحديد المسار الفكري لمالك بن نبي عبر المراحل الثلاثة التالية:

المرحلة الأولى :

وتبدأ من بداية الوعي واكتشاف عالم المعرفة إلى أن تحدّدت وجهته.

الثقافة شغلت حيزاً
واسعاً من الانتاج
الفكري عند
مالك بن نبيالفوص في الفكرة
المضادة ومحاولة
تحليلها والرد عليها
هو منهج ابن نبي

يعد مالك بن نبي (١٩٠٥م - ١٩٧٣م) أحد المفكرين الإسلاميين الذين قدّموا رؤاهم لنهضة بلادهم على هدي من القرآن الكريم للخروج من سآزق التخلف والتنمية، فاهتم بالوقت باعتباره ممراً يدخل المجتمع من خلاله أو يخرج من حركة التاريخ، وبالفاعلية على أنها فهم جوهر الإنسان والتاريخ وعلاقتها الواحد بالآخر، وبالحضارة على أنها جملة العوامل المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع أن يوفر لكل فرد من أعضائه الضمانات الاجتماعية اللازمة لتقدمه، وكان مالك بن نبي - يرحمه الله - مفكراً تفهّم عصره فبقيت أعماله نابضة بالأصالة ومتوهجة بروح العصر، ولد الأستاذ مالك بن نبي بعاصمة الشرق الجزائري «قسنطينة» من أب موظف بسيط وأم خياطة، انتقلت به عائلته إلى «تبسة» حيث ارتاد المدرسة القرآنية لمدة أربع سنوات بالتوازي مع المدرسة الفرنسية، ولكن مع بداية الحرب الكبرى سنة ١٩١٤م انتقل ثانية إلى قسنطينة ولكن جدته لم تستطع تحمل دلاله فعادت به أمه إلى تبسة حيث دخل الإعدادية، لتحضير المرحلة الثانوية، وكان متفوقاً على أقرانه، فأعطي منحة لمواصلة الدراسة بقسنطينة، وهناك زواج بين تأثير الأستاذ مارتين والشيخ عبدالحاميد بن باديس فكانت له ثقافة كبيرة متميزة باللغتين العربية والفرنسية، برغم صغر سنه، وتجدر الإشارة إلى أنه بين عامي ١٩٢١م - ١٩٢٢م بدأت تبرز قوة شخصيته ودرجات وعيه المبكر وكذا خيالاته وأحلامه من خلال محاوراته ومساهماته الليلية مع مختلف المدرسين القادمين من مختلف أرجاء الوطن.

الإمكانات والثروات الطبيعية، لقد طرح مالك بن نبي الأعراض هذه كلها في مختلف كتبه وعالجها معالجات متعددة، لكنها تصبّ كلها في إطار واحد: إنها مشكلة حضارة نحن خارجها، ومشكلة ثقافة لم يتكامل إطارها في منقلب حياتنا اليومية، ونحن لذلك شتى الفوازع والقلوب والوسائل، تتعارض الإمكانات في مختلف الأصعدة ثم تسقط هذه في هوة الفراغ والضياح وعدم الفاعلية.

مالك بن نبي والديمقراطية:

يعتمد مالك بن نبي في أعماله المتعلقة بالمقارنات مع الإسلام المنهج الرياضي القائم على الاستدلال بالخلف، أي تحليل الطرف الأخر أو الفكرة المقابلة والغوص في معانيه ومحاولة اكتشاف مواطن الخلل أو العجز، مما يسهل عليه إعطاء البديل «الإسلامي» كضرورة معرفية أثبتت نجاحتها، وهذا ما فعله في كتابه «الظاهرة القرآنية» في مسألتي الوحي والنبوة مثلاً، والديمقراطية عنده تتعدى إطارها اللغوي إلى ما بعدها النفسي «السيكولوجي» والاجتماعي، فهي لم تعد بمعنى «حكم الشعب لذاته» أو «سلطة الشعب» اعتماداً على ما أورده توسيديد: «إذا كانت شؤون الدولة تدار عندنا لصالح الجماهير وليس لأقلية بعينها، فإن نظامنا قد اتخذ من الديمقراطية اسماً له».

إنها لم تعد بهذا المعنى الذي فرضته ورسخته الثورة الفرنسية بسايرها المختلفة وقوانينها الأساسية Statuts ونظامها الداخلي، ولو أن الثورة الفرنسية كانت تبتغي بذلك القضاء على النظام القديم، ويمكن القول إن فلسفة حكم الشعب لذاته من وجهة نظر التاريخ غير صحيحة لأننا نقرأ عن شعب سير شؤونه بنفسه، كما أورد الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه «الديمقراطية في الإسلام»، وإذا كانت السلطة تعني من جهة أخرى أن تحول الجماهير شؤونها إلى قائد فالتاريخ أيضاً يدلنا أن شعوباً كانت خاضعة لحكامها راضية عنها على الرغم من اضطهادها لها، ولهذا ينبغي علينا في الواقع أن نعيد الكرة في تحديد الديمقراطية دون ربطها مسبقاً بأي مفهوم آخر كالإسلام، فننظر إليها على أعمّ وجهها، أي في إطار عمومياتها قبل أن نربط الموضوع بأي مقياس آخر، هذا وقد نظر مالك بن نبي إلى الديمقراطية من ثلاثة وجوه وهي:

١ - الديمقراطية نحو «الأناس».

٢ - الديمقراطية كشعور نحو الآخرين.

٣ - الديمقراطية كمجموعة الشروط الاجتماعية والسياسية اللازمة لتكوين وتنمية هذا الشعور

منهج ابن نبي يقوم على بناء مشروع حضاري إسلامي متكامل

المرحلة الثانية :

مرحلة التكوين، وهي التي امتدت منذ تحديد وجهته إلى مرحلة العطاء الفكري.

المرحلة الثالثة :

وهي مرحلة النضج والعطاء، والتي امتدت منذ ظهر كتابه «الظاهرة القرآنية» عام ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م إلى وفاته - يرحمه الله.

مالك بن نبي ومفهوم الثقافة:

الحقيقة أن الثقافة تشغل حيزاً واسعاً من الإنتاج الفكري لمالك بن نبي الذي رأى إدراجه تحت إطار عام هو «مشكلات الحضارة» وذلك لما بين الثقافة والحضارة من علاقة لا تقبل الانفصام، فالثقافة - كما يرى - هي جوهر الحضارة، إذ إن الحضارة في حقيقتها قيم محققة في عالم الواقع ومن ثم فهو لا يلجأ إلى تقديم تعريف مدرسي عنها، وإنما يعرفها باعتبار صلتها الوظيفية بالحضارة، لذا جاء مفهومه عنها من زاويتين :

الزاوية الأولى التاريخية :

وهي بهذا الاعتبار مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعورياً العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه، فهي على هذا - المحيط الذي يشكل فيه الفرد.

الزاوية الثانية التربوية :

وتعني أن الثقافة تركيب عام لتركيب جزئية أربعة هي الأخلاق والجمال والمنطق العملي والصناعة.

مراحل الحضارة :

يرى مالك بن نبي أن الحضارة في مجتمع معين تخضع للقانون الدوري فتمر بمراحل ثلاث، تبدأ بمرحلة الروح التي تكون الفاعلية فيها في أعلى مستوياتها، ثم مرحلة العقل التي يقل فيها مستوى الفاعلية بقدر ما يبرز من تعارض بين الروح والغريزة، ثم مرحلة الغريزة التي تتلاشى فيها الفاعلية، وتسود السلبيية حين تستنفد الحضارة ما تبقى لديها من دفعة الروح، التي ابتدأ بها المجتمع الدخول لمرحلة الحضارة.

مشكلة الحضارة:

لقد خط مالك بن نبي طريقه في عالم الأفكار بدلاً من عالم الأشياء كيما يطرح لمسيرة النهضة الإسلامية طريقاً حديثاً يسير المشكلات، إنها تبدو هذا الجهل، وهناك الفقر، وفي مجال آخر النقص في

عدم الفاعلية الفردية تقود في النهاية إلى تخلف على مستوى المجتمع بأكمله

في الفرد.

التخلف وجغرافية التخلف :

يعرف مالك بن نبي التخلف بقوله: «نتيجة أو حاصل ضروب اللافاعلية الفردية، فهو فقدان للفاعلية على مستوى مجتمع معين»، وهذا يعني أن التخلف عنده هو عدم الفاعلية أو غيابها لدى الفرد في المجتمع، ويفرق مالك بن نبي بين النمو والتخلف كحالتين متناسقتين، على المستوى الجماعي، والفاعلية وعدم الفاعلية كحالتين متناسقتين أيضاً على المستوى الفردي، وهكذا فإن عدم الفاعلية الفردية تقود في النهاية إلى تخلف على مستوى المجتمع بأكمله، وهو ما يصدق أيضاً على الفاعلية الفردية التي تقود المجتمع إلى النمو.

وتجدر الإشارة إلى أن مالك بن نبي يرى أن للتخلف جغرافيته وتاريخه، أما جغرافيته فتشمل المساحة التي تنتظم على وجه التقريب نصف الكرة الجنوبي، أما من الناحية التاريخية فهناك شكلان للتخلف:

أ - الشكل الذي يعزى إلى عوامل مرضية كالتقهقر الذي ينتاب الآن أو انتاب في الماضي تطور المجتمعات التي كانت نامية سابقاً، كما هي الحال بالنسبة للمجتمع الإسلامي حتى آخر عهد دولة الموحدين.

ب - الشكل الذي يعزى إلى عوامل دائمة ومزمنة ومن الركود في المجتمعات البدائية، ويرجع مالك بن نبي التخلف إلى الإنسان المسلم الذي لم يتعلم طريقة استعماله وسائله الأولية أي التراب والوقت بصورة فعالة، أو أن الإنسان قد نسي ما تعلمه من هذا الاستعمال بسبب الانفصال الذي

مراحل الحضارة عند

مالك بن نبي تمر

بثلاث مراحل : الروم

والعقد والغريزة

حدث للحضارة الإسلامية بين الفكر والضمير بعد معركة حطين عام ٥٣٨ هـ التي قادها البطل الإسلامي الشهير صلاح الدين الأيوبي.

مؤلفاته وأثاره الفكرية:

أما بالنسبة لكتبه وأثاره الفكرية فيمكن القول بأنه لم يكف عن العطاء منذ سنة ١٩٤٦م حيث ألف أول كتاب وهو «الظاهرة القرآنية» هذا الكتاب كان سبب إسلام الكثير من الغربيين. تلاه برواية «البيك» وهي رواية فلسفية سنة ١٩٤٧م، ثم «شروط النهضة» ١٩٤٨م، و«وجهة العالم الإسلامي» ١٩٥٤م، وبمناسبة انعقاد مؤتمر باندونغ كتب «الفكرة الأفروآسيوية» ١٩٥٦م، ثم «حديث في البناء الجديد» ١٩٥٧م، و«مشكلة الثقافة» ١٩٥٩م، و«الصراع الفكري في البلاد المستعمرة» ١٩٦٠م، وهو أول كتاب كتبه الأستاذ مالك بالعربية مباشرة، و«مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي» ١٩٧١م، و«المسلم في عالم الاقتصاد» ١٩٧٢م، و«بين الرشاد والتهيه» (طبع بعد وفاته ١٩٧٨).

وختاماً: يمكن القول بأن العلامة مالك بن نبي بحق من أبرز أعلام النهضة الإسلامية الحديثة الذين نبغوا في مجال الفكر الحضاري وتطبيقاته الاجتماعية والإنسانية «الأنثروبولوجية» كما عبّروا بطريقة علمية رصينة عن الماضي الإسلامي الثقافي المشرق، وعن واقع الأمة الإسلامية الحضارية المعاصر بين الأمم الأخرى، إن أعماله قد قامت على بناء مشروع حضاري ضخم متكامل باتفاق كبير طوال حياته الفكرية من خلال استقراره لمعطيات الواقع الإسلامي أولاً ومن معطيات الواقع الغربي ثانياً ومن معطيات التاريخ الإنساني ثالثاً. ■

علينا أن نعيد

الكرة في تحديد

الديمقراطية

دون ربطها بأي

مفهوم آخر

المراجع :

مشروع مالك بن نبي» مجلة الفيصل عدد ١٩٦ أبريل ١٩٩٣م ص٣١.
٩ - د. عدنان خليل باشا «إشكالية التخلف والمعادلة التنموية» مجلة الفيصل عدد ١٩٦ أبريل ١٩٩٣م ص ٣٣.
١٠ - مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ١٩٧٢م القاهرة - ص٨٤.
١١ - مالك بن نبي، أفاق جزائرية، ص ٨٣.
١٢ - Thucydideo Histor De La guerredu Péro - Poiliese. Livre 11 Chapitr 37.

عدد ١٩٦، أبريل ١٩٩٢م ص ١٤.
٥ - فضيل بومالة «مفهوم الديمقراطية في فكر مالك بن نبي» مجلة الفيصل عدد ١٩٦ ص٢٤.
٦ - ابن نبي مالك: تأملات، دار الفكر ١٩٨٦م ص ٦٤.
٧ - هيام المالقي «التميز الفكري عند مالك بن نبي» مجلة الفيصل عدد ١٩٦م أبريل ١٩٩٣م ص ٢٨.
٨ - محمد يحيوي «ربط الأصالة بالفاعلية في

١ - «مالك بن نبي من هم الغربية إلى هموم الوطن» مجلة الفيصل عدد ١٩٦ أبريل ١٩٩٣م ص٦.
٢ - عمر كامل مسقاوي «مالك بن نبي والدعوة للانتقال من التكديس إلى البناء» مجلة العربي العدد ٢٨٥ أغسطس ١٩٨٥م ص٦٧.
٣ - «معالم التكوين الفكري لمالك بن نبي» مجلة الفيصل العدد ١٩٦ أبريل ١٩٩٣م ص ٨.
٤ - د. عبدالله بن حمد العويصي «مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي» مجلة الفيصل

2



العدد 406
جمادى الآخرة 1420 هـ -
سبتمبر / أكتوبر 1999 م

العديد الإسلامي

الأهرة المعلمة



لغة الطفل
كيف نفهمها ؟

وقفات من اقتصاد
البيت المسلم

التربية الاجتماعية وأثر البيئة في تربية الطفل

الاضطرابات الهضمية
عند الأطفال



الإسلام ..
والتربية الأسرية
وتأثيرها على
التنشئة الاجتماعية

عفواً سيدي الرجل



الإسلام . . . والتربية الأسرية وتأثيرها على التنشئة الاجتماعية

اهتمام الإسلام بتكوين الأسرة

يتضح لنا مما سبق أن هناك أهدافاً شرع الإسلام من أجلها تكوين الأسرة، والمتأمل لهذه الأهداف يلحظ من ورائها غاية تربية ترمي إلى إعداد النشء الصالح وتربيته تربية إسلامية صحيحة، والأهداف التي من أجلها اهتمت الشريعة بتكوين الأسرة كثيرة، ولكن من هذه الأهداف على سبيل المثال:

- أ - التعرف بين الأمم والشعوب والقبائل.
- ب - حماية المجتمعات من الرذيلة وانتشار الفاحشة.
- ج - الطمانينة والسكينة للشباب إذا تناكحوا وتزوجوا بالطريقة الشرعية.
- د - حفظ الأنساب والأرحام والأعراض.
- هـ - إيجاد النسل المؤمن الصالح وتكثير سواد المسلمين.

تأكيد الإسلام على أهمية الأسرة كمؤسسة تربية

أ - الأسرة هي اللبنة الأولى من لبنات المجتمع ذلك أن المجتمع يتكون من مجموع الأسر وكل أسرة تكون وحدة أولية ويانضمم هذه الوحدات بعضها إلى بعض يتكون المجتمع، ومن هنا فإن

بناتهم للأسرة على تحري الزوجة الصالحة ذات الأصل الطيب لأن أخلاق المرأة تتأثر بالبيئة التي نشأت فيها وتربت في أحضانها كما أن أبناءها يرثون عنها الكثير من أخلاقها وطباعها إذ إن كل إناء ينضج بما فيه، لذلك ندب إلى اختيار المرأة من بيئة متدينة حتى تنقل إلى أبنائها وبناتها الطباع الكريمة والقيم الفاضلة، وفي المقابل أيضاً جاءت الشريعة بحث ولي المرأة على حسن اختيار الزوج الكفء الذي يتمتع بالخلق الكريم ويلتزم بشرائع الإسلام، ولديه قدرة على قيادة الأسرة، والقيام بحقوق الزوجة والأولاد، روى أبو هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه، إلا تفعلوه تكن فتنه في الأرض وفساد كبير».

كما حرصت الشريعة على إثبات النسب للموالود وجعلته من أهم الحقوق لأن في انتساب الطفل إلى أب وأسرة يحفظه من الضياع ويحميه من التشرد الذي سيؤدي بلا شك إلى شر كثير عليه وعلى المجتمع عامة.

ولهذا أيضاً أهتم الإسلام بأمر اليتيم حتى لا يكون النقص والخلل الذي حصل في أسرته سبباً في شقائه أو انحرافه تلك هي أهم مظاهر اعتناء الإسلام بالأسرة.

تعريف التربية



التربية في اللغة مصدر للفعل «ربى» الرباعي، وجاء مصدره على وزن تفعلة لأنه معتل على وزن فعل كما نقول في الفعل زكى تزكىة ولنعرفه معنى هذه الكلمة لا بد من الرجوع إلى أصولها في كتب اللغة العربية ومعاجمها.

قال في لسان العرب «ربا الشيء يربو ربواً ورباءاً زاد ونما وأربيته نميته، وربا المال زاد بالربا والربوة كل ما ارتفع من الأرض».

اهتم الإسلام بهذا الأمر فحث الزوج على اختيار الزوجة الصالحة التي ستكون أحد أركان الأسرة، بل أهم أركانها بالنسبة للمولود، وخاصة في مراحل حياته الأولى ولا غرابة:

الأم مدرسة إذا أعددتها

أعددت جيلاً طيب الأعراق

ولا شك أن حسن اختيار الزوجة من أقوى الأسباب في استقرار الأسرة وتماسك بنيانها يقول صلى الله عليه وسلم: «تنكح المرأة

لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك».

والمعنى الذي يهدف إليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - من هذا الحديث ونحوه مما ورد في معناه هو أن يحرص المسلمون في

بناء المجتمع الصالح مشروط أولاً بالاهتمام بالأسرة وبنائها على أسس سليمة لتقوم بدورها على أكمل وجه.

ب - والأسرة «هي الخلية التي أصول النزوع الاجتماعي في الإنسان في أول استقباله للعالم فبها يعرف ما عليه من واجبات وما له من حقوق وفيها تتكون مشاعر الألفة والمحبة وتبذر بذور الأثر وغيره من خلال الفضائل فتتم أو تخبو بما يصادفها من أجواء في الحياة العامة والخاصة».

ج - والأسرة لها أثرها البالغ الأهمية في تربية شخصية الناشئ الاجتماعية فإذا شب في أسرة يسودها الحب والتفاهم نقل ذلك إلى الخارج وتعامل به أفراد المجتمع حتى يكون هذا هو الشعور المتبادل بين أفراد المجتمع الإسلامي ككل.

د - وتأثر الطفل بالمجتمع المحيط به يبرز أهمية الأسرة التربوية فالترقية تبدأ أول ما تبدأ «عن طريق المحاكاة والتلقين ذلك إن الطفل ينشأ فيرى أبويه يقرآن القرآن ويقيم الصلاة ويصومون رمضان وغير ذلك من الشعائر الدينية المختلفة فتتطبع في ذهنه هذه الصور ويترسم خطاها بالتقليد».

مظاهر اهتمام الإسلام بالأسرة

١ - رسخت الشريعة الإسلامية في قلبي الأبوين شعور العطف على الأولاد، وفطر الله قلوبهما على محبتهم وهذه المشاعر والعواطف الأبوية موجودة في قلب الأبوين متصلة فيهما لبناء الأسرة التي تقوم على حماية الأبناء والرحمة بهم والاهتمام بأمرهم ولولا هذه المشاعر لما استمرت الحياة البشرية ولما كان صبر الأبوين على رعاية أولادهما، فالأسرة هي البيئة الطبيعية التي تتعهد بالتربية إلى القيام برعاية الطفل، وصيانتها ولا سيما في السنوات الأولى

من طفولته، والآيات القرآنية التي تصور ما أشرنا إليه من المشاعر الأبوية الجميلة كثيرة جداً.

يقول الله - تعالى - (النال والبنون زينة الحياة الدنيا). ويقول سبحانه: (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً).

١ - فمن فضل هذا الإسلام على البشرية أن جاءها بمنهاج شامل قويم في تربية النفوس وتنشئة الأجيال وتكوين الأمم وبناء الحضارات وإرساء قواعد المجد والمدنية وما ذاك إلا لتحويل إنسانيته التائهة من ظلمات الشرك والجهالة والضلال والفضوى إلى نور التوحيد والعلم والهدى والاستقرار وصدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله: (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) المائدة: ١٦.

٢ - ويكفي شريعة الإسلام فخراً وفضلاً أن شهد الخصوم بنمائها واستمرارها واعترف الأعداء بحيويتها وخلودها واليكم يا من تستهويكم شهادات الغربيين طائفة من أقوالهم وطاقة من أريج مدحهم وطيب ثنائهم لتعرفوا عاذاً يقول المنصفون من غير المسلمين عن رسالة الإسلام الخالدة وتعاليمه السامية:

نقل الأستاذ «غوستاف لويون» عن الأستاذ «ليبري» قوله: «لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوروبا عدة قرون».

وقال «لين بول» في كتابه العرب في إسبانيا: «فكانت أوروبا الأمية تزخر بالجهل والحرمان بينما كانت الأندلس تحمل إمامة العلم وراية الثقافة في العالم».

وقال «إلياس أبو شبكة» في كتابه

روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة: «إن زوال الحضارة العربية كان شؤماً على إسبانيا وأوروبا، فالأندلس لم تعرف السعادة إلا في ظل العرب وحالما ذهب العرب حل النمار محل الثراء والجمال والخصب».

وقال «سيد بلوت» في كتابه «تاريخ العرب»: «كان المسلمون في القرون الوسطى متفردين في العلم والفلسفة والفنون وقد نشروها أينما حلت أقدامهم وتسربت عنهم إلى أوروبا فكانوا سبباً لنهضتها وارتقائها».

والكثير من المثقفين يعلمون شهادة الفيلسوف الإنجليزي المشهورة: «برنارد شو» اسمعوا ما يقوله بالحرف الواحد:

«لقد كان دين محمد موضع تقدير سام لما ينطوي عليه من حيوية مدهشة، وأنه الدين الوحيد الذي له ملكة الهضم لأطوار الحياة المختلفة وأرى واجباً أن يدعى محمد منقذ الإنسانية وأن رجلاً كشاكلته إذا تولى زعامة العالم الحديث لنجح في حل مشكلاته...».

فهذه الأقوال وأقوال غيرها تعطي لكل ذي فهم وبصيرة البرهان ثلوه البرهان على ما انطوى عليه نظام الإسلام من قوة دفع حضارية ومبادئ تطويرية شاملة وتعاليم حيوية خالدة والفضل كل الفضل بما اعترف به المتصفون وشهد به الأعداء.

شهد الأنام بفضلته حتى العدا

والفضل ما شهدت به الأعداء

٣ - وإذا كانت الشريعة الإسلامية تتصف بالريانية وتنسم بالشمول وتختص بالتجدد والاستمرار، فهل مبادئها الشاملة ومعطياتها المتجددة فكرة مجردة في الأذهان ونظريات مدونة في الكتب أم هي متحققة في أمة تلمسها الأيدي وترأها العيون.

والجواب على ذلك ما يشير به أحد

علماء الإسلام حيث يقول: «وانتصر محمد بن عبدالله ﷺ يوم صنع أصحابه - عليهم رضوان الله - صوراً حية من إيمانه تاكل الطعام وتمشي في الأسواق يوم صاغ من كل منهم قرآناً حياً يدب على الأرض يوم جعل من كل فرد نموذجاً مجسماً للإسلام يراه الناس فيرون الإسلام»، أن النصوص وحدها لا تصنع شيئاً وأن المصحف وحدة لا يعمل حتى يكون رجلاً وإن المبادئ وحدها لا تعيش إلا أن تكون سلوكاً.

ومن ثم جعل محمد ﷺ هدفه الأول أن يصنع رجالاً لا أن يلقي مواظ، وأن يصوغ ضمائر لا أن يذبح خطباً وأن يبني أمة لا أن يقيم فلسفة أما الفكرة ذاتها فقد تكفل بها القرآن الكريم، وكان عمل محمد ﷺ أن يحول الفكرة المجردة إلى رجال تلمسهم الأيدي وتراهم العيون.

ولقد انتصر محمد بن عبدالله ﷺ يوم صاغ من فكرة الإسلام شخصاً وحول إيمانهم بالإسلام عملاً وطبع من المصحف عشرات من النسخ ثم مئات والوفى ولكنه لم يطبعها بالمداد على صحائف الورق إنما طبعها بالنور على صحائف القلوب وأطلقها تعامل الناس وتأخذ منهم وتعطي وتقول بالفعل والعمل ما هو الإسلام الذي جاء به محمد بن عبدالله ﷺ من عند الله.

ومن أراد أن يعرف شيئاً عن تربية الرعيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ ، ومن جاء بعدهم بإحسان فليستقرأ التاريخ ليسمع الكثير عن جليل مآثرهم وكريم فضائلهم.

فهل عرفت الدنيا أنبل منهم وأكرم أو أرفق أو أرحم أو أجل أو أعظم أو أرقى أو أعلم يكفيهم شرفاً وفخراً وخلوداً أن يقول القرآن العظيم في حقهم: (محمد

رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود) الفتح: ٢٩.

ويقول: (كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون - وبالأشجار هم يستغفرون - وفي أموالهم حق للسائل والمحروم) الأعراب: ١٧، ١٨، ١٩.

ويقول: (والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) الحشر: ٩.

ويقول: (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً) الأعراب: ٢٣.

هذا غيض من فيض مما نزل في كريم مآثرهم وجميل محامدهم وقد تحقق بهم فعلاً إقامة المجتمع الفاضل الذي كان حلم المفكرين وأمنية الفلاسفة منذ القدم كيف لا والقاضي يجلس بينهم سنتين ولا يتخاصم إليه اثنان ولماذا يتخاصمون وبين أيديهم القرآن؟ ولماذا يختلفون وهم يحبون لإخوانهم ما يحبون لأنفسهم؟ ولماذا يتباغضون والإسلام يأمرهم بالمحبة والإخاء ويحضهم على التعاطف والإيثار؟

واليك ما قاله الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود ﷺ في تعداد محامدهم وفضائلهم ووجوب التأسي بأفعالهم الحميدة وأخلاقهم الكريمة... «من كان متأسياً فليتأس بأصحاب رسول الله ﷺ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً وأقومها هدى وأحسنها حالاً اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه

فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم فإنهم على الهدى المستقيم».

٤ - وظلت الأجيال المسلمة عبر القرون تستقي من معين فضائلهم وتستضيء بنور مكارمهم وتتهج في التربية نهجهم وتسير في بناء المجد سيرهم... حتى العصر الذي انحسر فيه عن المجتمع الإسلامي حكم الإسلام وزالت في الأرض معالم الخلافة الإسلامية واستطاع أعداء الإسلام أن يصلوا إلى هدفهم الخبيث وغرضهم الدفين في تحويل العالم الإسلامي إلى أمم متناحرة ودول متخاصمة متنازعة تتقاذفهم الأهواء، وتجذبهم المطامع وتفرقهم المبادئ وينساقون وراء الشهوات واللذات ويتخبطن في أوحال التحلل والإباحية ويسبرون بلا هدف ولا غاية ويعيش من غير ما سعى إلى مجد ولا وحدة ولا كيان... تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى وتظنهم قوة ولكنهم غثاء كغثاء السيل واستحوذ عليهم الفنون اعتقاداً منهم أن لا سبيل إلى إصلاح هذه الأمة وأن لا أمل إلى استعادة مجدها واسترجاع عزتها وكيانها، بل وجد من هؤلاء الدعاة من يتنادي بالعزلة الكاملة والتزام أحلاس البيوت لظنهم أن هذا العصر هو آخر الزمان وأن الأوان أن يخرج السلم بنفسه ويضع غنيمات يتبع بها شغف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتنة حتى يدركه الموت.

وهذا التصور اليائس للإصلاح ناتج عن أسباب ثلاثة:

- ١ - ناتج عن الجهل بطبيعة هذا الدين.
- ٢ - وناتج عن حب الدنيا وكراهية الموت.
- ٣ - وناتج عن الجهل بالغاية أتى من أجلها خلق المسلم ويوم يفهم المسلمون إن الإسلام دين قوة وأن شعاره في ذلك: (وأعدوا لهم

ما استطعتم من قوة... الأنفال: ٦٠.

ويوم يفهمون أن الإسلام دين العلم: العلم الشرعي، والعلم الكوني على السواء. وأن شعاره في ذلك (وقل ربي زدني علماً) طه: ١١٤.

ويوم يفهمون أن الإسلام اعتبر الإنسان خليفة الله في الأرض ليملك زمامها ويستخرج بفانئها ويطلع على كل سر فيها وأن شعاره في ذلك: (هو الذي جعلكم خلائف في الأرض) الأنعام: ١٦٥.

ويوم يفهمون أن الإسلام كرم الإنسان وفضله على كثير مما خلق الله ليضطلع بمسؤولياته ويؤدي المهمة الموكلة بها إن شعاره في ذلك: (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير مما خلقنا تفضيلاً) الإسراء: ٧٠.

ويوم يفهمون أن الإسلام يعتبر الإنسان مسؤولاً عن عقله، ومسؤولاً عن حواسه إذا هو قام بدور الإهمال والتعطيل وأن شعاره في ذلك: (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً) الإسراء: ٣٦.

ويوم اعتبر الإسلام هذا الكون كله مسخراً للإنسان ليستعمله في خدمة العلم وخدمة الإنسانية وشعاره في ذلك (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه) الجاثية: ١٢. ويوم يفهمون أن الإسلام دين التأمل والتفكير في خلق السموات والأرض للوصول إلى الحقائق الثابتة وأن شعاره في ذلك: (قل انظروا ماذا في السموات والأرض...) يونس: ١٠١.

ويوم يفهمون أن الإسلام دين العمل والنشاط والحيوية وأن شعاره في ذلك: (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) الملك: ١٥.

ويوم يفهمون أن الإسلام يحرم اليأس وينهى عن القنوط وأن شعاره في ذلك: (إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) يوسف: ٨٧.

ويوم يفهمون أن الإسلام بين العزة والكرامة فيجب أن يتوجوا رؤوسهم بها ويرفعوا في العالم لواها وأن شعاره في ذلك: (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) المنافقون: ٨.

يوم يفهم المسلمون عن دينهم كل هذا ويعرف الناس وعلى رأسهم الدعوة إلى الله طبيعة هذا الدين وحقيقة هذا الإسلام فلا يتملكهم يأس ولا يذب في نفوسهم قنوط، بل ينطلقون في مضمار الدعوة والإصلاح والبناء ليعودوا كما كان سلفهم أساتذة للعالم وهداة للأمم ومنازل متلالئة في ظلمات الحياة فتستقي البشرية من علومهم وتتهل من معين معارفهم وحضارتهم على مر العصور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ويوم يتحرر المسلمون - وعلى رأسهم العلماء ورجال الدعوة إلى الله - من حب الدنيا والركون إليها والتمتع الزائد بلذائدها وطيباتها ويجعلون هداية الناس وإصلاح المجتمع والسعي إلى إقامة حكم الله في الأرض أكبر مهمهم ومبلغ علمهم وغاية الغايات ومنطلق العزائم والنيات.

ويوم يتحررون من الجبن والخوف وكراهية الموت ويوقنون من قرارة نفوسهم أن الأرزاق بيد الله وأن الذي يضر وينفع هو الله وأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم وإن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم وأن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوهم بشيء لم ينفعوهم إلا بشيء قد كتبه الله لهم وإن اجتمعوا على أن يضروه بشيء لم يضروهم إلا بشيء قد كتبه الله عليهم.

يوم يوقن المسلمون بهذا ويتحررون

من أسباب الضعف والوهن فعندئذ ينطلقون في ميادين الدعوة إلى الله وفي مجالات التربية والتوجيه والإصلاح غير هيايين ولا وجلين مبلغين رسالات ربهم لا يخشون أحداً إلا الله، بل واثقين كل الثقة أن الله سبحانه سينصرهم ويمكّن لهم في الأرض ويبدلهم من بعد خوف أماناً ومن بعد ذلة عزاً ومن بعد تفرق وحدة وما ذلك على الله بعزيز إن هم صححوا النيات وعقدوا الهمة والعزيمة وتحصروا من اليأس والخوف وحب الدنيا.

ويوم يعرف المسلمون أنهم خلقوا في الحياة لأجل هدف سام وغاية نبيلة قد قررها الله لهم في محكم تنزيله حين قال: (وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون) ٥٦. الذاريات.

ولكن ما هذه العبودية التي يريدنا الله منا ويأمرنا بها ويحضننا عليها؟

إنها الخضوع والانقياد لمنهجها الثابت وصراطه المستقيم.

إنها حمل الأمانة التي عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها.

إنها التكليف المستمر في إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام. ■

المراجع:

- ١ - تربية الأولاد في ضوء الإسلام، تأليف الدكتور عبدالله ناصح علوان.
- ٢ - التربية والتعليم في الإسلام، تأليف الدكتور محمد أسعد طلاس.
- ٣ - الأولاد وتربيتهم في ضوء الإسلام، تأليف الدكتور محمد بن مقبل بن محمد المقل.



أثر البيئة في تربية الطفل

فتصبح الرغبة في تحقيق هذه الأهداف هي السائدة خلال السنة الثانية من عمره. وحين يكون الطفل في منزل غريب لا يستطيع فيه أن يرى أمه فإنه يصيح جزئياً إذا هي لم تعد. إن حاجته لحضورها هي التي تهيمن على وعيه، وبالتالي فإنه ما من جائزة مهما تكن جذابة ومغرية، يمكنها أن تجعله ينسى خوفه ومع بلوغ الطفل عامه الثالث، يتعلم طمأننة نفسه بأن غياب أمه هو مجرد غياب مؤقت لذا يتضائل منشأ

محدودة لدى الطفل لكن قد لا تكون هذه الأفعال بالضرورة منطلقة من فكرة عن هدف مرغوب به.

ومع اقتراب الطفل من النصف الثاني لسنته الأولى، تبدأ دوافعه بالظهور، والطفل الصغير في أسرة نموذجية يكون متأكد من توافر الطعام والملابس الدافئة غير واع لمشكلة قبول أنداده له، لذا لا يشغل باله بأمر الحصول على هذه الأهداف، لكنه مع ذلك، يكون غير واثق من مسالة وجود أبويه وعاطفتهم.

في المرحلة الأولى من الطفولة وخلال الأشهر الأربعة الأولى من حياة الطفل، يكون لديه القليل من التصورات الذهنية عن أهداف المستقبل. فلا تتكون لديه الدوافع. بل إن أسباب تصرفاته تكمن في قوى أخرى.

فبعض الأشياء أو المواقف تستدعي استجابات منه لأنها جذابة في مظهرها أو لأنها تسبب تحريضاً مثيراً ومسرراً. فكثير من الوقائع يمكن أن تحدث أفعالاً



محدود وذلك قبل تمام تكوينه، أي وهو جنين في أشهر الحمل الأولى. وتؤكد هذه النظرية نمو المظاهر الرئيسة للحياة خلال تفتحها التدريجي في إطارها المحدد. لكن علم النفس الحديث يخطئ هذه النظرية. فالطفل يولد، وتولد معه دوافعه الأساسية التي تساعد على المحافظة المباشرة على الحياة، وتولد معه أيضاً بعض استعداداته التي تكفل له فهم هذه الحياة. لكنها لا تحدد سلوكه تحديداً ضيقاً سابقاً لولادته.

إن المثيرات البيئية هي التي تحدد هذه الدوافع يسود في تكوين السلوك... ونعني بالبيئة المؤثرات الخارجية التي تسهم في تشكيل حياة الفرد خلال مراحل نموه المختلفة. فعلاقته بأهله، وأخوته، وذويه، ومدرسه وغير ذلك من العوامل والمؤثرات التي تبدو في المنزل والقرية أو المدينة، كلها أو بعضها تعدّ من المؤثرات الخارجية التي يستقبلها الطفل، ويتفاعل معها، وتسهم في تشكيل أنواع سلوكه المختلفة.

إن السنوات الخمس أو الست الأولى من حياة الطفل لها أهميتها القصوى في تشكيل شخصيته، إذ إن الانطباعات المبكرة في الطفل لها تأثيرات ثابتة على تكوينه الدقيق. وهكذا يكون المعالم الرئيسة لسلوكه. إن هذه السنوات يجب أن تصل بالطفل إلى تكوين العادات الرئيسة التي تساعد على تكيّفه للبيئة ومواجهته الإيجابية للحياة. ■

المراجع والمصادر:

- ١ - أطفالنا كيف نفهمهم - تأليف جيروم كانمان - ترجمة عبد الكريم ناصيف.
- ٢ - مشكلات الطفولة - تأليف ر. م. لادل - ترجمة الدكتور السيد محمود زكي
- ٣ - صحيفة الاعتدال - العدد/ ٢١٣ / ٢٥ - يونيو/ حزيران ١٩٩٣.

سلم تدرج الدوافع.

وتتطور حياة الطفل الاجتماعية من صلته المباشرة بأمه إلى تفاعله الواسع مع المجتمع القائم وتمر هذه الحياة في تطورها بجماعات تتزايد في نطاقها ومداهها تبعاً لنمو الطفل. وهي تبدأ بالجماعة التي تنشأ في إطار الارتباطات العضوية التي تصل الطفل بأمه وذلك في إشباعها لحاجاته الأساسية كالتغذية والدفع. وتتطور إلى علاقات نفسية تقوم على الانفعالات التي تعدّ بحق الدعامة الأولى لحياة الطفل العاطفية والاجتماعية، ثم تمتد هذه الصلة إلى علاقة الطفل بأبيه، وأخوته وتتكون بذلك الجماعة الأولية التي يتعلم فيها الطفل عادات الأسرة وتقاليد المجتمع، ثم يتطور به النمو الاجتماعي إلى الجماعة الوسطى التي تقوم على علاقة الطفل برفاقه وإخوانه، وينتهي هذا التطور إلى الجماعة الثانوية التي تعتمد على علاقة الطفل بالمدرسة وبالمجتمع الكبير الذي يتعرّج في ربوعه.

إن دور الأسرة مهم جداً في تنشئة الطفل... تنشئة صحيحة سليمة لضمان مستقبل آمن يخلو من منغصات الحياة. فالطفل بارقة الأمل في هذه الحياة وعليها منحه الحب والحنان والأمان والطمانينة مع تجنب الدلال الزائد.

فالدلال الزائد يدفع الطفل إلى تصرفات وأفعال شاذة لتحقيق رغبة في أمر ما. فالأطفال في عنقنا أمانة ومن الواجب الحفاظ على الأمانة. هم غرس ندية في حياتنا إن أحسننا رعايتها وزرعها. لا بد وأن تزدهر وتثمر ويصلح أمرها ولكن إن أهملناها ولم نعطها حقها، فمصيرها الذبول وتصبح عديمة النفع والفائدة.

لقد كان من المتعارف عليه قديماً أن الطفل يولد في هذه الدنيا بسلوك

الشك هذا لكن حينذاك يغدو دافع مرتبط بهذا الأمر هو الدافع السائد. فالطفل يغدو غير واثق من موقف أمه تجاهه ولا من إشارات موافقتها وعدم موافقتها وعقابها ورفضها. إنه يغدو حساساً تجاه أي معلومات عن مشاعرها تجاهه، فتسيطر الرغبة في معرفة علامة من علامات تقويمها الإيجابي له على رغبته الأولى في حضورها. ويبقى هذا الدافع مسيطراً حتى السنة الرابعة من عمره، حين يظهر منشأ جديد للشك لديه. فابن الرابعة يصبح مهتماً بقوته واستقلاله الذاتي بالنسبة لوالديه وأخوته.

ومع دنو الطفل من سن المدرسة يبدأ بتأسيس مفهومه عن ذاته انطلاقاً من كفاءته في المهارات ذات القيمة الحضارية. فالطفل ابن العام الواحد الذي يتعلم المشي والكلام والجري يقوم بالحقيقة بإنجاز جملة من الأعمال التي هي أمور طبيعية بالنسبة لكل الأطفال ولذا فهي سهلة المنال. بيد أن المهارات المتعلقة بالمدرسة هي مهارات أقل طبيعة من تلك، فملايين الأطفال في العالم لا يستطيعون تعلم القراءة أو الكتابة أو الحساب وهي أصعب منالأطفال يقيمون كفاءاتهم في هذه المهارات، جزئياً، بمقارنة أنفسهم بالآخرين ولسوء الحظ يفترض الطفل أنه إذا ما كان أقل موهبة من طفل آخر فإنه سيكون أقل قيمة منه أيضاً والطفل لا يكون متأكداً من أنه يستطيع أن يقرأ أو يكتب. وفي الوقت نفسه يريد أن يعرف في الحال ما إذا كان باستطاعته أن يكسب الخبرة في هذه المهارات أم لا يستطيع، وكذلك فإنه يكون غير متأكد من قدرته على إقامة الصداقات، لذا فإن كفاءته وقبول الأنداد له يغدوان مصدرين رئيسيين من مصادر الشك لديه خلال أعوام المدرسة الأولى، والدوافع الخاصة بتحقيق هذه الأهداف تصبح هي العالية المقام في



الأسرة على الأبواب اللازمة للإنفاق.

لذا، ينبغي وضع ميزانية محكمة للأسرة، تضبط النفقات وتحدد الإيرادات وأوجه الصرف، مع المراقبة الدقيقة لهذه الميزانية.

الوقفة الثالثة: الخطة والتخطيط: كثيراً ما يكون لدى الفرد العديد من الأعمال التي تحتاج إلى إنجاز في وقت محدد، أو يحتاج إلى القيام بعمل لم يسبق له القيام به فيما مضى.

في هذه الحالات وغيرها يكون التخطيط هو الحل، إذ يحدد الخطوات الواجب اتباعها للوصول إلى هدف معين ويحدد الوقت المطلوب لإنجاز هذه الخطوات وعن طريقه يمكن تصور العقبات التي قد تصادفنا، والهدف الذي نريد الوصول إليه.

فالتخطيط هو الخطوة الأولى في العملية الإدارية والخطة هي تصور لبعض الأعمال المستقبلية، وهي مرحلة تسبق أي عمل من الأعمال.

وفي الأسرة، ينبغي أن يشترك جميع أفرادها في إدارة شؤونها، فمرحلة التخطيط أهم المراحل التي ينبغي إشراك أفراد الأسرة فيها، لمناقشة المشكلات المتوقعة والرغبات المطلوبة والمفاضلة بين الأهداف المطروحة على ضوء الموارد المتاحة.

إن في ذلك إلى جانب الفوائد الاقتصادية العديدة، تقوية للروابط الأسرية، وتكوين شخصيات فردية ذات مسؤولية عالية وذات تخطيط وتفكير سديد.

الوقفة الرابعة :

دراسة السوق :

لكي يلعب القطاع الخاص دوراً أكثر فعالية، ولكي يسهم في مسيرة التنمية بشكل أكثر إيجابية، فإن سبيله في ذلك هو رفع مستوى الكفاية الإنتاجية عن

الوقفة الأولى

الاقتصاد المنزلي :

إن دراية الفرد باقتصاد الأسرة ومواردها البشرية والمالية والتخطيط السليم للإنفاق يؤثر بدوره على الاقتصاد الوطني، ثم إن تصنيع الملابس للأسرة يعمل بدوره على تقليل المنفق على الملابس، فيزيد دخل الأسرة.

الاقتصاد المنزلي ضروري لمواجهة أعباء الحياة نتيجة زيادة أسعار السلع المختلفة والخدمات، الأمر الذي يتطلب الانتفاع بالموارد المتاحة لها أقصى حد ممكن وبطريقة سليمة.

ومما لا شك فيه أن الأسرة التي تهتم بتخطيط أسلوب حياتها، سوف تحقق أهدافها.

لذا، ينبغي مراعاة إمكانات الأسرة واتباع نظام الإنفاق السليم، من حيث عدم زيادة مقدار المنفق على الدخل وتوزيع الدخل قدر الإمكان على أبواب الإنفاق.

الوقفة الثانية :

ميزانية الأسرة :

تلعب ربة المنزل دوراً مهماً في إسعاد أسرته، وذلك بإدارتها الحكيمة لشؤون المنزل وتديبر مصروفاته وصحة أفرادها.

فالمنزل هو المكان الذي يسعد فيه جميع أفراد الأسرة.

ومن العوامل المساعدة على توفير السعادة في الأسرة، الناحية المادية من حيث تقدير دخل الأسرة وتنظيم ميزانيتها، بحيث توفر جميع حاجات ومتطلبات الأسرة للمحافظة على صحة الأفراد، وتأمين الملابس والسكن المريح.

وحبذا لو اهتمت الأسرة بتخصيص مبالغ مالية للتوفير والإبخار لوقت الحاجة والطوارئ المفاجئة، إذ إن ربة المنزل الواعية هي التي توزع ميزانية

إن اقتصاد البيت

المسلم بمجالاته

المختلفة من تغذية

وملابس وإدارة منزل

ورعاية الطفولة يهتم بالأسرة

التي هي نواة المجتمع.

ومن أهداف اقتصاد البيت

المسلم تربية الأسرة مجتمعة

تربية إسلامية وغرس المبادئ

والقيم الإسلامية السمحة في

أذهان وعقول الناشئة.

ولا شك أن اقتصاد البيت

المسلم له علاقات كبيرة

بالاقتصاد الوطني الأم، إذ

يساعد على زيادة دخل الأسرة

وتنمية مواردها المالية.



وقفات

من اقتصاد

البيت المسلم

والقيم واتجاهات الاستهلاك ومفاهيم
ترشيد الاستهلاك وحسن التعامل مع
النقود.

الوقفة السابعة :

دعوة للاقتصاد :

إن على ربة المنزل الواعية أن تكون
أول من يحافظ على ميزانية الأسرة،
وتحاول الاقتصاد في المصروفات
والاعتدال في النفقات.

فقد جات مناهي شرعية وتحذيرات
إلهية من الإسراف والتبذير، فقال
سبحانه وتعالى: (ولا تسرفوا) وقال عز
وجل: (ولم يسرفوا)، وقال سبحانه (فلا
يسرف... وقال تعالى: (ولا تبذر).

ذلك لأن الله تعالى لا يحب المسرفين،
كما أن الميزنين إخوان الشياطين.

إن المستهلك الرشيد هو ذلك المستهلك
الذي يراعي مبدأ الرشد والعقلانية
والاعتدال في أكله ومشربه وملبسه
ومنزله وسيارته وأثاثه، واستخدامه
للكهرباء والمياه، حماية لنفسه ولأسرته.

إن المستهلك الرشيد هو الذي يراعي
قرارات الشراء والاستهلاك، بحيث تكون
في الوقت المناسب وللحاجة المطلوبة ومن
المكان المناسب وبالسعر المناسب
وبالجودة المطلوبة وبالقدر اللازم
والحجم المناسب والتنوعية المطلوبة.

والمستهلك الذي يراعي ذلك يمكن أن
يحقق الرشاد الاقتصادي والعقلانية
الحكيمة من وجهة نظر الاقتصاد
المعاصر.

بحيث لا يقع فريسة التلاعب
والاستغلال، ولا ينساق خلف الإسراف
والتبذير، ولا تتعرض سلعه وبضائعه
للكساد والتلف والفساد. ومن ثم، فلا بد
من توفير القدوات الاستهلاكية، ومراعاة
الاقتصاد في النفقات والاعتدال في
المصروفات، والترشيد في الاستخدام
والتقليل من مظاهر الإثلاف. ■

والاقتصادي إلى ظهور الأسواق المركزية
التي سهلت للمشتري اختيار وشراء ما
يطلبه من الأطعمة بالأنواع التي
يحتاجها وتناسب اقتصادياته.

الوقفة السادسة :

الطفل والنقود :

إن تجربة الطفل الأولى مع النقود
يمكن أن يكون لها أثر انفعالي عميق،
ومن الحكمة تدريب الطفل في سن مبكرة
من حياته، وفي مستويات الدخل المختلفة
على استعمال النقود، والسماح له
بالتصرف في نقوده.

فالطفل بطبيعته مفضول على الجمع
والتملك والأبخار حسب بيئته
الاجتماعية.

إذ المهم أن تكون المبالغ المعطاة للطفل
مناسبة لسنه، وأن تعطى له بانتظام، مع
مراقبة سلوكه في التعامل مع النقود.

كما أن من المهم أن يفهم الطفل أن
المال شيء ثمين، ينبغي التعامل معه
بشيء من الحرص.

فمن الأفضل أن يحصل الطفل على
مبلغ ثابت منذ اللحظة التي يحتاج فيها
إلى النقود لبعض المصروفات العارضة،
إذ إن ذلك يساعد على إدراك قيمة النقود
وكيفية التصرف بها.

ومن المناسب أن تتاح الفرص للطفل
للتسوق لشراء ملابسه وألعابه وغذائه،
ليدرك أن السلع المختلفة لها أسعار
مختلفة، وأن السلعة الواحدة قد تكون
لها أسعار متباينة.

علماً بأن كثيراً ما بدأ تعامل الأطفال
بالنقود منذ نعومة أظفارهم عند شراء
هدية لصديق، أو شراء سلعة نقدت من
البيت من المتجر القريب أو شراء الحلوى
من المدرسة.

إن وجود القدوة السليمة للأطفال
يساعد على سرعة التعلم وغرس العادات

طريق الاستفادة من عناصر الإنتاج
المثابة.

ولما كان السوق بمثابة المقياس الفعلي
لتحديد مدى كفاءة العملية الإنتاجية، فإن
دراسة السوق بغية التعرف على نوع
المنتج المناسب لفئات المستهلكين يُعد
مدخلاً علمياً لازماً لاتخاذ القرارات
السليمة المتعلقة بالإنتاج والاستثمار.

وحيث أن تفهم سلوك المستهلك الذي
يؤثر على نوع حاجاته ورغباته، يُعد نقطة
البداية في أي تخطيط اقتصادي.

فإن الحاجة ماسة لإجراء البحوث
والدراسات الهادفة للتعرف على
احتياجات ومطالب المستهلكين، من أجل
تقديم السلعة والخدمة المطلوبة في الوقت
والمكان المناسبين، وبالسعر والجودة
العالية.

الوقفة الخامسة :

عملية الشراء :

ليست عملية الشراء سهلة، كما يظن
بعض الناس، بل تحتاج إلى تفكير
ودراية.

إن قرارات مثل: كم من النقود لدى
الأسرة معدة للشراء؟ وما نوعية الأطعمة
التي تشتري؟ ومن أي الأماكن تشتري
الاحتياجات؟ وكيف تخرن هذه الأطعمة؟

إن هذه القرارات ستؤثر على أفراد
الأسرة، لذا لا بد من التفكير العميق
والخبرة والمقارنة بين الأثمان والأنواع،
ليكون قرار الشراء صائباً حكيماً.

ومن ثم، فأول ما ينبغي مراعاته أثناء
عملية الشراء هو عدم الشراء أكثر من
الحاجة، أي شراء كميات الغذاء اللازمة
فقط، لتجنب التلف لما يزيد عن الحاجة،
كما ينبغي الشراء من المحلات النظيفة
التي تتبع التعليمات الصحية في العرض
والتغليف والبيع.

فقد أدى التقدم التقني والاجتماعي



يصاب كثير من الأطفال بالكثير من الأمراض البسيطة وبخاصة في أثناء فترة الحضانة أو الروضة أو المرحلة الابتدائية.

ومعظم هذه الأمراض لا تحتاج إلى أكثر من الراحة والكثير من المداراة.

والأمر المهم هو أن تميز الأم متى يكون طفلها متوعكاً، ومتى يكون مريضاً فعلاً ويحتاج أن تعرضه على الطبيب؟ وتعتبر الاضطرابات الهضمية كالمغص والإقياء والإمساك والإسهال من الأعراض الشائعة التي تصيب الأطفال وتحتاج من الأم عناية خاصة.

الاضطرابات الهضمية عند الأطفال

وانك تمسكين الزجاجاة بطريقة صحيحة عند إرضاعه، وهي أن تجعلي الحليب يملا الحلمة كي لا تسمحى ببلع كميات من الهواء الذي يصاحب عملية الرضاعة، فتزيد كمية الغازات في معدة الطفل فيشعر بالمغص.

متى تراجعين الطبيب؟

- إذا فشلت الوسائل البسيطة السابقة، وكنت تعتقدين أن الطفل متالم، أو أنك منهكة وساخطة إلى الحد الذي قد يجعلك تخطئين في الحكم والتصرف.

- إذا ترافق المغص مع أعراض أخرى كالإقياء، والإسهال أو خروج الدم مع البراز، فراجعى الطبيب فوراً.

ماذا يمكن أن يفعل الطبيب؟

- سيطمنك بعد فحص الطفل بعدم وجود حالة مرضية خطيرة لديه.
- قد يصف للطفل مهدناً في الحالات الشديدة.
- قد يرتب في حالات نادرة إقامة قصيرة للطفل في المستشفى.



المغص

يصيب المغص الأطفال الرضع ويتصف بالمتكرر في البطن مع نوبات من البكاء، ويبدأ منذ اليوم العاشر من العمر ويستمر حتى الشهر الثالث وربما يستمر بعده أيضاً. وهو أكثر ما يحدث بين الخامسة والعاشرة مساءً.

العلاج:

- اجعلي الطفل يتجشأ بحمله على كتفك والريت على ظهره.
- هدئي الطفل لتمنعي البكاء الذي يسبب مزيداً من ابتلاع الهواء وبالتالي مزيداً من المغص.
- جربي تهدئته بحمله والمشى به أو هزه وأرجحته أو دفعه داخل عربته أو حتى أخذه بجولة في السيارة.
- إذا كنت ترضعينه بالزجاجاة تأكدي أن حجم ثقب الحلمة مناسب

الأمهات إذا لم يفرغ الطفل أمعائه كل يوم. ولكن بإمكان الأمهات القول إذا كان الطفل مصاباً بالإمساك فعلاً أن يُسألن عن البراز فإذا كان طرياً فهذا يعني أن الطفل غير مصاب بالإمساك حتى ولو تبرز كل عدة أيام.

وفي حال الأطفال الرضع فإنه من الطبيعي والشائع أيضاً ألا يتبرز الرضيع لمدة أسبوع، ونادراً ما يسبب هذا أي مشكلة، كما أن الأطفال الذين يرضعون من الثدي فمن المستبعد أن يصابوا بالإمساك لأن حليب الأم غذاء مثالي ومتوازن ويمتص الجسم معظمه ولذلك تكون الفضلات قليلة، لكن إذا تبرز الرضيع الذي يرضع من الثدي مرات عدة في اليوم فهذا يعني أنه أمر طبيعي فالمعول عليه في التقرير إذا كان الطفل مصاباً بالإمساك أو لا هو قوام البراز سواء أكان يابساً أم طرياً وليس ندرة مرات التبرز، فليس من المقبول أن يحتاج الطفل الحرق أو أن يسبب الإمساك له الألم في أثناء التبرز أو أن يكون البراز يابساً إلى الحد الذي يمزق الغشاء المخاطي للشرج مسبباً الألم وخروج الدم مع البراز.

كذلك الحال بالنسبة للإسهال فالمعول عليه أيضاً هو قوام البراز (لين أو سائل) وليس عدد مرات التبرز. ومما لا شك فيه أن ما ياكله الطفل يؤثر على تكرار التبرز وطبيعة وشكل البراز.

أسباب الإمساك عند الأطفال:

- ١ - عدم تناول الرضيع كمية كافية من الحليب.
- ٢ - إعطاء الطفل حليباً مركزاً.
- ٣ - إعطاء الحليب البقري بدلاً عن حليب الثدي أو تركيبة حليب الأطفال.
- ٤ - يترافق الإمساك أحياناً مع الأمراض التي تسبب ارتفاعاً في درجة الحرارة.
- ٥ - قد يصاب الأطفال بعد سن الفطام بالإمساك إذا لم يتناولوا أغذية تحتوي على الألياف كالفواكه والخضار.
- ٦ - كما يصاب الأطفال الأكبر سناً بذلك إذا لم يستجيبوا إلى إحساسهم بالحاجة للتبرز بسبب انشغالهم باللعب.
- ٧ - يترافق الإمساك أحياناً مع بعض الاضطرابات المرضية ولكنه لا يكون الشكاية الأساسية ومن هذه الأمراض نقص إفراز الغدة الدرقية، ارتفاع نسبة الكالسيوم المجهولة السبب وغيرها في الدم.

العلاج المنزلي:

- أعطي الرضيع كمية كافية من الحليب.
- لا تعطيه حليباً زائد التركيز بل اتبعي الإرشادات الموجودة على علبة تركيبة حليب الأطفال في حال الإرضاع بالزجاجة.
- لا تعطيه الحليب البقري قبل إتمام الطفل السنة من العمر.
- أعطيه كمية زائدة من السوائل كاللبن وعصير الفواكه.
- في حال الطفل الأكبر سناً تأكدي من أن غذاءه يحتوي على كمية من الألياف: أطعميه الفواكه والخضار والخبز الأسمر المحتوي على النخالة.



الإقياء

يبلغ أغلب الرضع هواءً في أثناء الرضاعة، ولذا يجب الريت على الظهر مما يساعدهم على التجشؤ وإخراج الهواء، ولكن أغلبهم يخرج قليلاً من الحليب أيضاً في أثناء التجشؤ وهذا لا يعتبر إقياء وليس في ذلك ضرر على الطفل.

ففي بعض الأحيان يتقيأ الرضيع كمية لا بأس بها من الحليب إما مباشرة بعد الإرضاع أو بين الرضعات ومن النادر أن يكون هذا الإقياء شديداً بحيث يؤثر على تغذية الطفل، لكنه يقلق الأم وفي أحيان أخرى يتقيأ الطفل كميات كبيرة من الغذاء وربما يترافق الإقياء مع أعراض وعلامات مرضية أخرى كارتفاع في درجة الحرارة أو الإسهال، لذا يجب مراجعة الطبيب في مثل هذه الحال.

العلاج المنزلي:

- إذا كان الطفل يتقيأ كمية لا بأس بها من الحليب، فيمكن تجريب أساليب مختلفة لمعالجة هذه الحال مثل:
- عدم ترك الطفل يبكي قبل إرضاعه.
- مراعاة الطرق الصحيحة للإرضاع بحيث لا يتقلع كثيراً من الهواء، وعلى الأم أن تجلسه بعد الإرضاع.
- كما يساعد إدخال بعض الأطعمة اللينة في غذائه في وقت مبكر - أي منذ نهاية الشهر الثالث من العمر، كمشقوق الذرة ومسحوق بذور الخروب - على معالجة هذه الحالة والتخفيف من حدتها.

أسباب يجب أن تقلق الأم وتدفعها لمراجعة الطبيب:

- ١ - إذا بدا الطفل مريضاً.
- ٢ - إذا احتوى القيء على دم أو مادة صفراء.
- ٣ - إذا استمر الإقياء وخشيت أن يسبب ذلك جفافاً أو سوء تغذية.
- ٤ - إذا تقيأ الطفل كميات كبيرة من الغذاء أو ترافق الإقياء مع أعراض وعلامات مرضية أخرى، فإنه يمكن أن يكون من أول المؤشرات على وجود التهاب عام وهو شائع في التهاب الكليتين والتهاب السحايا والتهاب المعدة والأمعاء وغيرها، وفي جميع هذه الحالات يجب مراجعة الطبيب فوراً.

ماذا يمكن أن يفعل الطبيب:

- يشخص الحالة بعد أن يستمع من الأم لوصف الإقياء والأعراض المرافقة ويقوم بفحص الطفل؟
- قد يصف للطفل بعض الأدوية إذا كان الإقياء معتدلاً والأدوية هذه قد تساعد قليلاً على عدم الإقياء.
- إذا كان الإقياء شديداً قد يحيل الطفل إلى المستشفى لإجراء الفحوصات وإعطاء العلاج.

الإمساك عند الأطفال

يعتبر الإمساك شكاية شائعة في مختلف مراحل العمر، فكثير من الناس يعتقدون أن التبرز كل يوم يعتبر ضرورياً وأن ما هو أقل من ذلك يعتبر إمساكاً، لذلك تقلق بعض



- أما إذا كان يرضع من الزجاجاة، فارضعيه التركيبة الخاصة الخالية من اللاكتوز.

- أعطيه ٥٠ - ١٠٠ ميليلتر من محلول الإرواء عن طريق الفم (يمكن الحصول عليه من عيادات رعاية الطفولة أو الصيدليات) بعد كل مرة يبرز فيها الطفل برازاً سائلاً أو شبه سائل.

- استعملي كوباً نظيفاً أو معلقة نظيفة لإعطاء محلول الإرواء بدلاً عن زجاجة الرضاعة التي كثيراً ما تكون مصدراً للالتهاب.

- عند توقف الإسهال يمكنك إعطاه الحليب الصناعي ثانية.

- إذا كان الطفل عمره أكثر من ستة أشهر أطعميه الزبادي (الروب) والموز الناضج المهروس والبطاطا المسلوقة والتفاح المقشور أو عصير التفاح الطازج والجزر المسلوقة أو عصير الجزر.

- قد يكون الإسهال معدياً ففي مثل هذه الحال احرصي على النظافة التامة واغسلي يديك بالماء والصابون بعد رعاية طفلك وتغيير حفاظته، فهذا يقي باقي أفراد الأسرة من الإصابة بالمرض.

متى يُراجع الطبيب؟

- إذا كان عمر الطفل تحت ستة أشهر واستمر الإسهال أكثر من نصف يوم.

- إذا أصيب الطفل بالجفاف: مثلاً الفم جاف والعيون غائرة والياخوخ (المنطقة اللينة في الرأس) غائرة أيضاً والجلد فاقد لمرونته وعدد مرات التبول قليلة (يجب الانتباه للفرق بين بلل الحفاظة بالبول وولها بسبب البراز السائل)، عندها يجب مراجعة الطبيب فوراً.

- إذا ترافق الإسهال مع أعراض أخرى مثل الإقياء أو الألم أو كان البراز مصحوباً بالدم، أو ارتفعت حرارة الطفل أو بدا مريضاً.

- إذا لم يتحسن الإسهال خلال ثلاثة أيام، فربما يؤدي الإسهال إلى نقص وزن الطفل.

ماذا يمكن أن يفعل الطبيب؟

- سيسألك عن غذاء الطفل وعن عدد مرات التبرز وقوام البراز والأعراض الأخرى المصاحبة للإسهال.

- سيفحص الطفل ليتأكد ما إذا كان الطفل مصاباً بالجفاف ودرجة الجفاف عنده.

- سيرزقك بالنصائح بخصوص غذاء الطفل.

- سيفصف للطفل محلول الإرواء عن طريق الفم لتعويض السوائل المفقودة بالإسهال.

- قد ينصح بإعطاء الطفل تركيبة حليب خاصة خالية من سكر الحليب (اللاكتوز) بدلاً من تركيبة الحليب الابتدائية أو المكتملة.

- قد يطلب إجراء فحص لبراز الطفل ليرى إن كان سبب الإسهال التهاباً بكتيرياً في الأمعاء.

- قد يصف بعض الأدوية مثل الكانوليين أو الكودينين التي تبطن حركة الأمعاء.

- قد يحول الطفل إلى المستشفى إذا كان الطفل مصاباً بالجفاف بدرجة متوسطة أو شديدة حيث قد يحتاج إلى إعطائه محاليل عن طريق الوريد لتعويض السوائل المفقودة بالإسهال.

- يحول الطفل إلى الاختصاصي إذا أصبح الإسهال مزمناً. ■

متى تراجعين الطبيب؟

- إذا كان التبرز مؤلماً أو كان البراز مصحوباً بدم، فهذا يعني أن الطفل مصاب بشق شرجي.

- إذا رافق الإمساك ألم في البطن أو إقياء.

- إذا بدأ يلوث ملابسه الداخلية بالبراز بعد أن أصبح نظيفاً.

- إذا اعتقدت أنه بحاجة إلى ملين لا تعطي الطفل مليناً ما لم يصفه الطبيب له.

ماذا يمكن أن يفعل الطبيب؟

- يبحث عن أسباب الإمساك عند طفلك بسؤالك عن غذائه اليومي.

- يقوم بفحص الطفل وبخاصة في بطنه ليتأكد أنه لا يوجد أي مضاعفات.

- يزودك بنصائح حول غذاء طفلك.

- قد يصف للطفل بعض المليينات أو الحقن الشرجية في بعض الحالات القليلة.

- قد يحيل الطفل إلى المستشفى في حالات نادرة إذا دعت الأسباب إلى ذلك أو لمعالجة بعض المضاعفات كالشق الشرجي أو تضخم القولون المكتسب.

الإسهال

من الطبيعي أن يبرز الرضيع بعد كل إرضاع برازاً ليناً، لكن تبرزه مراراً برازاً سائلاً أو شبه سائل لا يمكن اعتباره طبيعياً، لذا يجب أن تدرك الأم أن الإسهال قد يكون خطيراً ويؤدي إلى الجفاف الذي قد يكون له نتائج وخيمة.

أسباب الإسهال:

- ينجم الإسهال عادة عن التهاب في الأمعاء أو في مكان آخر من الجسم كالتهاب المجاري التنفسية العلوية (التهاب الأذن الوسطى) أو التهاب في المجاري البولية أو التهاب السحايا (وهذا يترافق عادة مع الإقياء).

- كما قد ينجم الإسهال أحياناً عن أسباب جراحية (تستدعي إجراء جراحة) مثل التهاب الزائدة الدودية، أو الاتخام المعوي.

- وينجم أحياناً عن عدم قدرة الأمعاء على امتصاص سكر الحليب (اللاكتوز) أو بسبب استعمال الأدوية كالمضادات الحيوية.

- وفي الأطفال الأكبر سناً قد يكون سبب من الأسباب يبدو للام على أنه إسهال إلا أنه في الحقيقة هو إمساك مزمن وشديد، حيث تسيل المحتويات السائلة إلى الأجزاء العليا من الأمعاء من حول كتل البراز الصلبة المحتبسة في الأجزاء السفلى من الأمعاء؛ تلك الكتل التي تبقى المستقيم والشرج مفتوحين باستمرار.

- كما يسبب التحسس لبعض الأطعمة أو القلق أحياناً الإسهال عند بعض الأطفال.

العلاج المنزلي:

- إذا كان الطفل يرضع إرضاعاً طبيعياً، استمري في إعطاء الطفل ثديك مراراً ولأطول مدة يرغب فيها.



عفواً سيدي الرجل



دون داعي... وفي نظري أن الزوج الذي يلجأ إلى الحلف بالطلاق على زوجته باستمرار إنما هو رجل لم يستطع تحقيق قوامته الصحيحة عليها وفي بيته، فهو لا يستطيع أن يجعل زوجته تطيعه الطاعة الواجبة... ولذلك يلجأ إلى كلمة الطلاق لإجبارها على طاعته - وللمرأة دور في ذلك بالطبع - وقد اعترف أحد الأزواج بذلك قائلاً: «إن زوجتي لا تطيع لي أمراً إلا إذا حلفت عليها بالطلاق».

ورغم أنه قد يكون معه العذر... ولكن عفواً سيدي لم يشرع الله تعالى الطلاق لهذا الغرض ولم يجعله تعالياً سيقاً مسلطاً على الزوجة والأولاد ليل نهار، لقد جعل الله حق القوامة وأخذ قرار بالطلاق أو الاستمرار في يد الرجل لأنه الأقل والأقرب على التحكم في عواطفه وقراراته كي تسيير سفينة الحياة في سلام بالأسرة ولكن عندما يصبح قائد هذه السفينة أمواج طائش اللب ستكون السفينة معرضة للغرق كل دقيقة ويصبح كل ركابها في حالة قلق وتوتر دائم، فكيف يستطيع بيت هذا حاله وحال أهله؟ أن يربي النشء تربية صحيحة؟ أو أن يقوم أفرادها بما عليهم من واجبات تجاه خالقهم ومجتمعهم - يقول رسول الله ﷺ: (ثلاث جدهن جد، وهزلهن جد: النكاح والطلاق والعنق).

وأخيراً... لا أحب أن ألقب بكل النوم على الرجل... فالمرأة هي مفتاح سعادة الأسرة، وإن كان هناك رجال يسيئون استخدام كلمة الطلاق، فهناك نوع من النساء يدفعهن أزواجهن دفعاً إلى تطليقهن بالعناد الدائم وعدم الطاعة والاستفزاز السافر بطلب الطلاق في أي نقاش دون داعي... إن الرجل يا أختاه طفل كبير يبحث دائماً في زوجته عن الأم التي تسامح وتتغاضى عن الأخطاء الصغيرة، وتحنو، بل وتذل أحياناً.

إن الكلمة الطيبة اللينة تطفى نار الغضب، والابتسام الهادئة تريح القلب قبل العين، فلتزيني لسانك ووجهك بهما، ولتتأكدني أن بيتاً هادئاً منظماً مستقراً وفيه زوجة ودود حانية مثل ذلك البيت لن يهجره صاحبه أبداً. ■

من كوب من الشاي أو قعطة اثاث بالية؟ إن امرأة تعيش مع رجل كلمة الطلاق عنده أسهل من إلقاء السلام على المارة، لا يمكن أن تشعر بالأمان ولا بمكانتها في بيته، بل ولا حتى بإنسانيتها لأنها تمتحن كل يوم بسوء فهمه وتصرفه، ولقد كان لنا في رسول الله ﷺ خير أسوة، حيث أنه ﷺ لم يلجأ إلى الطلاق في حل الخلافات الزوجية... على العكس، لقد ضرب لنا رسول الله ﷺ أروع الأمثلة في الحلم وسعة الصدر مع زوجاته رضي الله عنهن حتى في أصعب وأدق المواقف التي يحق لها أن تعصف بعقول أعظم الرجال، وليس هناك مثال على ذلك أروع من موقفه مع السيدة عائشة - رضي الله عنها - في حادثة الإفك ويا لها من حادثة... ويا له من موقف عظيم عندما يواجه الرجل أكبر عاصفة يمكن أن تعصف بأي بيت عندما يطعن الرجل في عرضه وتحيط به السنة السوء والإشاعات فتشتعل النار حوله لتلتهم العقول والأكباب، ولكن لم يكن رسول الله ليظلم أبداً، ولو طلق عائشة رضي الله عنها في هذا الموقف لأثبت عليها الشائعة، ولحق بها العار، ولكنه صبر وتحمل وعانى ما عانى من ألم وتحملت معه زوجته الطاهرة هذه المحنة حتى برأها الله تعالى من فوق سبع سموات، وغير ذلك الكثير من الأمثلة من حلمه - ﷺ - مع زوجاته ومراجعتهن له ومهجره لهن شهراً عندما طالبن بزيادة النفقة فلم يلجأ ﷺ إلى الطلاق.

فإن ذلك من رجل تجري الكلمة على لسانه ويلجأ إليها في أي خلاف بينه وبين زوجته، ثم يعود يلهث وراء أهل الفتوى قائلاً: لقد كنت في حالة غضب وانفعال... وقد أعجبني رد أحد مشايخ الأزهر على رجل طلق زوجته وكانت الطلقة الثالثة، ثم تملأ قائلاً: «كنت في لحظة غضب»، فرد عليه الشيخ قائلاً: «اتق الله يا رجل... وهل يطلق الرجل زوجته إلا وهو في حالة غضب؟! أم أنك تريد أن تصطحب زوجتك في نزهة كي تقول لها أنت طالق؟ إن كثيراً من بيوت المسلمين عانمة على بحر من الحرام بسبب جريان كلمة الطلاق على لسان الزوج

أحياناً ما تكون الكلمة أمضى من السيف وخاصة إذا ما تعلقت عليها حياة وكيان بيت وأسرة وأطفال وقد شرع الله تعالى الطلاق لحكمة شامت أن يكون رحمة منه لإفقاذ حياة زوجين استحال بينهما العشرة وأصبح الانفصال هو قارب النجاة الوحيد لهما... ومعنى استحال العشرة أنهما استنفدا كل محاولات الصلح والتوفيق التي شرعها الله في كتابه الكريم حيث يقول جل شأنه (واللاني تخافون نشوزهن فعظوهن واحسروهن في المضاجع واضربوهن) النساء: ٣٤، فإذا دب الخلاف بين الزوج وزوجته بدأ بالنصح والوعظ والكلمة الطيبة التي تذكرها بحق الله عليها وحق زوجها وتبصرها بعاقبة تصرفاتها التي تغضبه وقد تسبب في هدم البيت، فإن لم تستجب لذلك هجر فراشها فإن لم يجد ذلك لجا إلى الضرب الشرعي الذي لا يؤذي «غير المبرح»، فإن لم تفلح كل هذه المحاولات تكون خطوة أخرى شرعها الله تعالى في قوله: (وإن فختم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدوا إصلاحاً يوفق الله بينهما النساء: ٣٥).

فيأتي تدخل أهل الصلاح من الأقارب للتوفيق بين الزوجين... فتلك هي خطوات الصلح التي شرعها الله تعالى والتي لا يلتزم بها الكثيرون، فالبعض يلجأ للضرب كأول حل للخلاف، والبعض يدخل الأهل والأصدقاء في أي خلاف مهما صغر أو كبر... وهناك نوع أخطر يلقي بكلمة الطلاق لاتفه الأسباب ودون تفكير... نعم للأسف بعض الرجال يسيء استخدام هذا الحق الذي شرعه الله له حتى ترى كلمة الطلاق تجري على لسانه طوال الوقت وفي أمور قد لا تتعلق بالبيت والحياة الزوجية على الإطلاق، فتراه إذا أراد أن يدعوك لزيارته أو يحثك على فعل أي شيء يحلف يميناً بالطلاق... إنني عندما أصادف مثل هذه النوعية من الرجال أتساءل في نفسي ترى كيف يكون شعور زوجة هذا الرجل وهي ترى أنها في نظره أقل شأنًا



مفاهيم تخص المرأة المسلمة



دراستهم حتى النهاية، وكان بعضهم وبعضهن من المتفوقين والمتفوقات.

● هل تعتبر الفتاة المثقفة أئمة إذا هي رفضت الزواج بمن هو أقل ثقافة منها:

- أؤكد ما سبق: أنه لا إثم إلا بترك الواجب، ولا يجب على شاب ما، أن يتزوج فتاة ما بعينها، وكذلك العكس.

لكن لا ينبغي لنا السؤال عن الواجب الشرعي فقط، لنقوم به، ونبتعد عن الحرام، بل علينا أيضاً الحرص والسؤال عن المندوب «المستحب» والمباح، وذلك للعمل بهما، إذ من المعلوم أن في ترك المندوب، وفي ترك المباح أحياناً، تفرقة لكثير من المصالح والمنافع الدينية والدنيوية التي قد لا تعوض في المستقبل.

ومعنى هذا: أن الفتاة التي ترفض الزواج بمن هو أقل ثقافة منها، بنسبة غير كبيرة، لا ترتكب إثماً، لكنها قد تفتتت عليها فرصة أن تعود، وبخاصة إذا كان الشاب يتصف بأوصاف أخرى إيجابية، تلقى لها مكاناً

الحرام - إلا به - وهو هنا: الزواج - فهو واجب، أي: الزواج.

أما إذا عرف الإنسان من نفسه: أن الزواج في حقه مندوب وليس واجباً، وأرجأ التفكير به والحديث فيه، حتى إتمام الدراسة، فلا حرج في هذا ولا إثم.

لكن ينبغي على الفتيات - بوجه خاص - أن يعلمن أنه كلما تقدمت بهن السن، قلت أمامهن فرص الزواج ممن يناسبهن، ووقعن في الندم، حيث لا ينفع الندم.

هذا، وإن رفض بعض الفتيات فكرة الزواج كلياً، حتى الانتهاء من الدراسة، ظاهرة سلبية أسهمت بنسبة ما في انتشار مشكلة «العنوسة»، التي تفاقمت في كثير من المجتمعات، الإسلامية، وحملت الآباء والأمهات هموماً وأعباء نفسية كبيرة.

وعلى كل حال، فإن الزواج لا يعدُّ عائقاً عن إتمام الدراسة، وهناك وقائع وحالات كثيرة نعرفها جميعاً في أقراننا وأصدقائنا وجيراننا، تزوج فيها الشباب، وتزوجت الفتيات في أثناء الدراسة، وأتموا جميعاً

● هل تعتبر الفتاة أئمة في حال رفضها الزوج، من أجل إتمام دراستها؟

- من المقرر عند العلماء: أنه لا إثم على الإنسان إلا بترك واجب أو فعل حرام، والزواج تعتبره الأحكام التكليفية الخمسة، وهو يختلف من إنسان إلى آخر.

فقد يكون واجباً في حق إنسان ما - رجلاً أو امرأة - وذلك لحاجته إلى إعفاف نفسه، وصيانتها عن الوقوع في الحرام، مع تيسر أسباب الزواج، والقدرة على مسؤولياته.

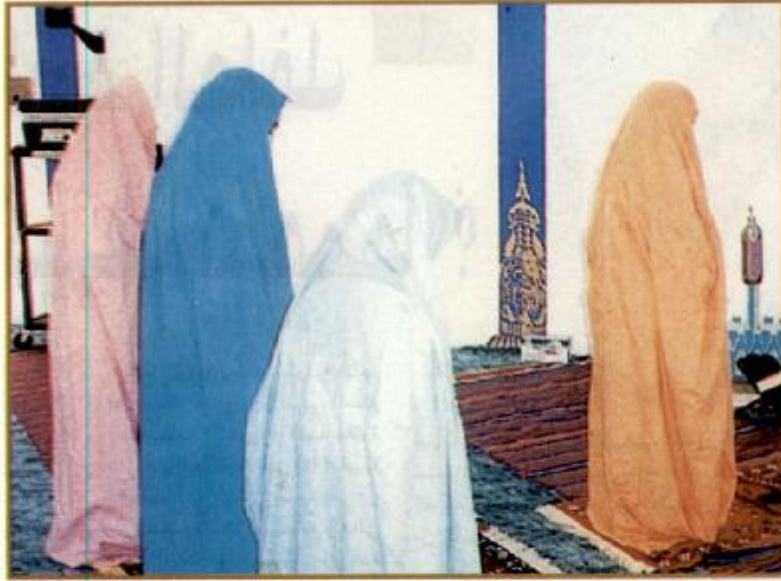
وقد يكون الزواج مندوباً ومستحباً في حق فرد آخر، لأنه يأسن على نفسه من الوقوع في الحرام.

وقد يكون الزواج في حق أفراد آخرين مباحاً... إلخ

وكل إنسان أدري بنفسه من غيره في هذه الأمور، فإذا كان بحاجة شديدة إلى الزواج، وتيسرت له أسبابه الشرعية، وامتنع عنه، فهو أئم في ضوء ما سبق، لأن ما لا يتم الواجب - وهو هنا: صيانة النفس عن



حسناً في قلب الفتاة.



● إذا كان أمام الشاب خياران
اثنان: إما الزواج من فتاة مثقفة
متقاربة معه في العمل، وإما الزواج
من فتاة أخرى أصغر وغير مثقفة.
فهل يعتبر إثمًا إذا اختار الأصغر
غير المثقفة؟ وهل يؤجر إذا تزوج
الكبيرة المثقفة؟

- الزواج ليس رغبات ومصالح مادية
بحقة، لا معاني فيها ولا مشاعر، الزواج
حياة وتفاهم، ومودة ورحمة، وحب ووفاء
وتضحية، وثجاس روحية، وتفاعل في
المشاعر، وتحقيق للأمال في الاستقرار
الأسري وإنجاب الأبناء الصالحين، الذين
يفيدون أمتهم ودينهم ومجتمعهم.

وعلى الشاب وعلى الفتاة أن يختار كل
منهما ما يراه مناسباً له، متوافقاً مع ميوله
وتطلعاته وحبه المشروع ويتحرى الأسباب
والأوصاف الشرعية المساعدة على استقرار
الحياة الأسرية ودوامها.

أخرج أحمد والنسائي وابن ماجه أن فتاة
قالت للنبي ﷺ: إن أبي زوجني من ابن
أخيه، وأنا له كارهة، فأرسل النبي ﷺ إلى
أبيها فجاء، فخير ابنته بحضوره...

وروى الحاكم وابن ماجه عن ابن عباس -
رضي الله عنهما - قال: جاء رجل إلى النبي
ﷺ فقال: يا رسول الله، عندنا يتيمة قد
خطبها رجلان: موسر ومعسر، وهي تهوى
المعسر، ونحن نهوى الموسر، فقال النبي ﷺ:
«لم ير للمتحابين مثل النكاح».

ففي هذين الحديثين بيان بأن الزواج مجمع
للعواطف والحب والتألف النفسي، وقد يكون
هذا مع الفتاة المثقفة المتقاربة في السن مع
الشباب، وقد يكون الحب والميل والهوى مع
الفتاة الأصغر غير المثقفة، وهذه مشاعر
ورغبات شخصية عاطفية، ليس للأخريين
سيطرة عليها... وليس على الشاب إثم إذا
اختار الأصغر غير المثقفة، وترك الكبيرة
المثقفة، كما أنه لا يؤجر أجراً خاصاً، لكونه
تزوج الكبيرة المثقفة، إلا إذا كانت هناك

موجبات أخرى للاجر.

● هل تُثاب الزوجة العاملة على
عملها، سواء كانت مدربة أو طبيبة؟
وهل يُثاب زوجها أيضاً؟

- نعم كلٌّ من باشر عملاً، أو تسبب في
عمل، أو أعان على عمل، يُبتغى به وجه الله
تعالى وتحقيق الخير والسعادة للأخريين،
فهو مأجور عليه إن شاء الله، سواء كان
رجلاً أو امرأة، مدرساً أو مدرسة، طبيباً أو
طبيبة، أو غير ذلك.

روى الشيخان أن رسول الله ﷺ قال:
«كل معروف صدقة»، وروى العسكري وابن
منيع والمنذري عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كل
معروف صدقة، والدال على الخير كفاعله».

وروى الطبراني وأبو نعيم والبيهقي
وغيرهم أن رسول الله ﷺ قال: «الخلق
كلهم عيال لله - أي عبيد لله - فأحبهم إلى
الله أنفعهم لعياله».

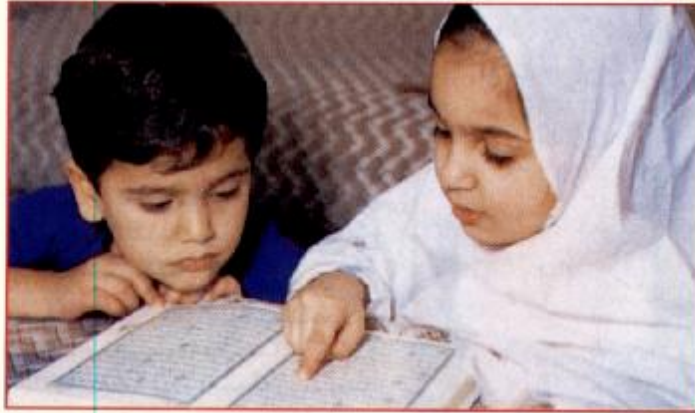
وهكذا، فإن أي نشاط يمارسه المسلم فهو
مأجور عليه، إن كان هذا النشاط مشروعاً
ويُراد به وجه الله تعالى، وذلك لأن حياة
المسلم كلها لله وفي سبيل الله، قال الله

تعالى: (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي
ومماتي لله رب العالمين) الأنعام: ١٦٢.

● عندما تحتاج الأمة للعاملات،
وتضطر للاستعانة بغير المسلمات،
فهل على الفتيات المسلمات مسؤولية
دينية للعزوف عن هذه الأعمال؟ وهل
على الأهل والأزواج مسؤولية كذلك،
إذا كانوا لا يشجعون بناتهن
وزوجاتهم على التعلم والعمل لسد
الحاجة الاجتماعية؟

- أشير إلى أنه صدر الكثير من الفتاوى
أكدت ضرورة الاستغناء على الخادسات،
تجنباً للخلو وغيرها من المحظورات، لكن
حين الضرورة القصوى ينبغي الاستعانة
بالعاملات المسلمات، وهن أولى من غيرهن،
لما في ذلك من أثر واضح في بناء شخصية
المجتمع، وتوثيق صلة الأبناء بالإسلام
وأحكامه وتشريعاته، ديناً وسلوكاً، حاضراً
ومستقبلاً.

ومن الطبيعي أن تعمل الفتيات وأهلوهن
وأزواجهن على تحقيق ذلك المطلب الديني
والاجتماعي، وذلك من أجل مستقبل أفضل
للجميع. ■



1 لغة الطفل

كيف نفهمها؟



يعتز الإنسان بلغته القومية، لأنها لغة قومه وعشيرته، والعربي المسلم يعتز باللغة العربية لأنها علاوة على أنها لغة قومه فهي لغة عقيدته والعقيدة هي أسس ما ينبغي أن يعتز به الإنسان المسلم والحق سبحانه وتعالى امتدحها حين قال: (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون. قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون) الزمر: ٢٧ - ٢٨

النمو اللغوي عند الطفل

الأصوات هي المادة الخام الأولية للغة وخلال الأشهر الأولى يكون الصراخ والصياح وسيلتاه للتعبير عن حاله، ومن المهم جداً خلال هذه الفترة ملاحظة الأم لوليدها بدقة، وتسجيل الملاحظات ومداومة الاتصال بالطفل وبخاصة في أثناء الرضاعة وذلك بالحديث إليه وتؤكد بعض البحوث العملية معرفة الأم لنوع البكاء هل هو بكاء جوع أم بكاء ألم. ومن الضروري خلال هذه الفترة:

- أن تناغي الأم طفلها وتحدثت إليه وتحاول تريب وحدات صوتية معينة أمامه.
- عدم تعجل نطق الطفل بحروف أو كلمات واضحة هو أن الوحدات الصوتية التي ينطق بها الطفل لا يتحكم فيها النضج.
- ينبغي عدم كلف الطفل أو نهره حينما يلعب بصوت مرتفع بدعوى أنه يسبب إزعاجاً لأن في حقيقة الأمر اللعب هنا هو تدريب للأجهزة الصوتية ومحاولة لاستخدامها.

متى ينطق الطفل الكلمة الأولى؟

يجمع علماء النفس على أن الشهرين الحادي عشر والثاني عشر من السنة الأولى هما المرشحان لنطق الطفل العادي. ولكننا نلاحظ تعجل بعض الآباء حديث أبنائهم وهذا ضرب من الوهم لأنه لا بد من نضج الأعضاء الصوتية

آخر قبله أو معاقبته على ذلك لأن ذلك يعطل نموه اللغوي.

ومن الملاحظ أن البنات يفقن الأولاد في الجوانب اللغوية، حيث يسبقن الذكور في بداية الكلام ويزدن عليهم في عدد المفردات اللغوية، كذلك الفروق الاجتماعية لها دور أيضاً في سرعة نطق الطفل، فاطفال الطبقات الدنيا يصلون إلى مستويات عليا من التحصيل اللغوي ويعود ذلك إلى ما يلاقونه من استتارة لغوية.

تطور اللغة بعد سن الثانية

تزداد قدرة الطفل على فهم الجردات والأمور المعنوية ولكن بقدر يسير ويستخدم الكلمات التي تدل على المكان مثل هنا، فوق، تحت، لذلك على الوالدين مراعاة ما يلي:

- عندما يعبر الطفل في حديثه عن حدث معين ويصفه للآخرين يجب الاستماع إليه باهتمام وإعطائه العناية الكافية حتى يعبر عن نفسه وينشأ سوياً كما ينبغي عدم تكذيب الطفل إن رأى رؤية مخالفة لرؤية الكبار فهو لم يقصد الكذب.

- ينبغي أن نكف عن محاولتنا جعل الطفل يفكر بعقولنا ويتصرف بمنطق الكبار.

- قد تبدو على الطفل أحياناً المشقة في التعبير عن نفسه فيكرر الكلام وهذه ظاهرة تتناقص مع زيادة قاموسه اللغوي وإذا استمرت هذه الاضطرابات فيجب علاجها.

وتوصي البحوث النفسية بالابتعاد عن مشكلة ثنائية اللغة في المرحلة الأولى من عمر الطفل، فلا يصح تعليم الطفل لغتين في وقت واحد لأن قدراته لا تسمح بذلك ولا ينبغي الخوف من الأخطاء الشائعة في الفاظ الأطفال وكلماتهم لأنها ستزول بفعل النمو والخبرة. ■

قبل ذلك وقد يتأخر النطق حتى الشهر الخامس عشر من عمر الطفل لذا ينصح اختصاصيو التربية بما يلي خصوصاً في الشهرين الأخيرين من السنة الأولى:

- تدريب حواس الطفل الرضيع على السمع كسماع تلاوة القرآن على أن يكون الصوت خافتاً.

- نداء الطفل باسمه وإشعاره بالحب والحنان. - إرضاعه في مكان هادئ ومريح وليس كفيه وشعر رأسه ومناغاته.

- أثبتت الأبحاث أن الطفل المحروم من المداعبات يكون عصبي المزاج عدواني الطبع يميل للعزلة والحقد على الآخرين.

نمو قاموس الطفل في السنة الثانية

يتطور قاموس الطفل في السنة الثانية سريعاً ليشمل مفاهيم مهمة فهو يستجيب للأوامر والأسئلة ويستخدم الكلمات ويدرك معانيها والطفل في المتوسط يستخدم (٣٠) كلمة استخداماً متكرراً خلال عامه الثاني وهناك فروق فردية واضحة بين الأطفال وتتميز هذه الفترة بغلبة الأسماء على غيرها ويستطيع خلال هذه الفترة تركيب الكلمات لتنتج جُملاً بسيطة وعلى الآباء في هذه المرحلة اتباع التالي:

- ١ - استتارة الطفل لغوياً عن طريق:
 - ١ - الحديث إليه بشكل شبه مستمر ويمكن أن يكون على هيئة أسئلة وحوار.
 - ٢ - دفعه للكلام بطريقة تشويقية واستتارته.
 - ٣ - عرض مشيرات بيئية مختلفة أمامه ليتعرف عليها.
- ٢ - مراعاة الفروق الفردية بين الأطفال فلا يضغط على طفل للنطق بكلمات نطق بها طفل

فصل المقال في حركة الجبال



تعملون. ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون. ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصراً إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون. ويوم يتفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين. وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون. من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون. ومن جاء بالسيسة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون) النمل، وتنتهي أقوال جمهور المفسرين إلى أن الجبال ستتم يوم القيامة من السحاب لأجل أن تصل إلى الأرض فتسوى بها، ولعظم حجمها يراها الإنسان كأنها جامدة غير متحركة، وعلى الرغم من إجلائنا لهؤلاء المفسرين، فإن التفسير لا يمكن أن يكون قرآناً في يوم من الأيام، لأن التفسير كلام البشر، أما القرآن فكلام الله، كما أن عطاء الله في كلماته لا ينفذ ولن ينقطع إلى يوم القيامة، وعليه، نوجز آراء العلماء المعاصرين في كون حركة الجبال المذكورة في الآية ٨٨ من سورة النمل في الدنيا، وليس في الآخر، وما هي الأدلة:

١ - يتحدث القرآن في مواضع عديدة عن أمور الآخرة ثم يلتفت إلى بعض أمور الدنيا التي لها علاقة بما ذكر عن أحوال الآخرة، وقد يأتي العكس أيضاً، ويقول علماء البلاغة: إن إزالة الحواجز الزمنية بين الدنيا والآخرة أبلغ تأثيراً في النفوس. وفي النص الذي معنا نقرأ الآيات ٨٢ - ٨٥ في أحوال الآخرة ثم الآية ٨٦ في أحوال الدنيا، ثم الآية ٨٧ في الآخرة، ثم الآية ٨٨ في الدنيا، ثم الآيتان ٨٩، ٩٠ في الآخرة...!!

٢ - يقول الله تعالى في الآية ٨٨: (صنع الله الذي أتقن كل شيء)، والإنسان هنا ذو صلة بالنواميس التي خلقها الله في الدنيا، ويريد أن يلفت أنظار الناس إلى التفكير فيها والتأمل في صنعها ومعرفة قدرة خالقها سبحانه وتعالى، أما في الآخرة فإن عقد كل شيء ينفرط، وتنخرق النواميس الكونية «الدنيوية»، فالجبال سيتم نسفها حسبما ورد في قول الله: (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً) طه.

٣ - يقول الله تعالى في صدر الآية ٨٨: (وترى الجبال)، وهو فعل مضارع يأتي في القرآن ليقوم مقام فعل الأمر، فكان الله سبحانه وتعالى يأمر برؤية الجبال، أي النظر إليها كمعجزة من معجزات الخلق في هذا الكوكب الأرضي، وفي القرآن شواهد عديدة على هذا، مثل قول الله تعالى: (وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) الحج.

وردت لفظة الجبال في القرآن العظيم أربعاً وعشرين مرة بصيغة الجمع وست مرات بصيغة المفرد، فوردت بها لفظة «الجبل» في حالات خاصة كحالة نبي الله إبراهيم - عليه السلام - في التجربة العملية لإحياء الموتى لتثبيت عقيدة البعث لديه (سورة البقرة/٢٦٠)، واستحالة رؤية الله في الدنيا رؤية مجربة حتى على الأنبياء والرسل، كما وقع لكليم الله موسى - عليه السلام (سورة الأعراف: ١٤٢)، وإسداء إحدى النعم على بني إسرائيل قديماً (سورة الأعراف: ١٧١)، وعصيان ابن نوح لأبيه حين دعاه إلى ركوب سفينة النجاة (سورة هود: ٤٣)، وخشية الله التي أودعها الله في نفوس مخلوقاته الحية ومخلوقاته الجامدة - ظاهرياً - كالجبال (سورة الحشر: ٢١).

نلتقي في هذه المقالة حول آية قرآنية كريمة تحتوي إشارة صريحة لحركة الجبال، هي قول الله تبارك وتعالى: (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب، صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون) النمل: ٨٨. ويقول ابن كثير في تفسير القرآن العظيم: تراها كأنها ثابتة باقية على ما كانت عليه، وهي تمر مر السحاب، أي: تزول عن أماكنها، كما قال الله تعالى: (يوم تمور السماء مورا، وتسير الجبال سيراً) الطور، وقال: (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً. فيذرها قاعاً صفصفاً. لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً) طه، وقال: (ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة) الكهف... وبهذا يكون ابن كثير قد فهم سير الجبال على أنه واحد من أحداث يوم القيامة، بدليل الاستشهاد بالآيات الأخر من سورة الطور وطه والكهف، أي أنه لم يدر بخلده إمكانية سير الجبال في الدنيا.

ومن التفسير بالمأثور «الذي يُعدُّ ابن كثير واحداً من رواده إلى التفسير بالرأي» الذي يُعدُّ الفخر الرازي واحداً من فرسانه، فيقول صاحب مفاتيح الغيب: اعلم أن هذا هو العلامة الثالثة لقيام القيامة، وهي تسيير الجبال، والوجه في حساباتهم أنها جامدة فلأن الأجسام الكبار إذا تحركت حركة سريعة على نهج واحد في السموات والكيفية ظن النظار إليها أنها واقفة مع أنها تمر مرأ حثيثاً... ويعني هذا أن الرازي - هو الآخر - استبعد حركة الجبال في الدنيا، واعتبرها علامة من علامات القيامة، ولهذا ذهب المفسرون جميعهم - تقريباً.

ويستدلون على رأيهم «أو تفسيرهم» بأن الآيات السابقة والآيات اللاحقة لهذه الآية تتحدث عن بعض أحوال القيامة، يقول الله تبارك وتعالى: (ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون. حتى إذا جاؤوا قال أكتبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً أَسَاءَا كنتم

٤ - كما أن في الآية ٨٨ إشارة إلى أن حركة الجبال ليست حركة ذاتية، وإنما هي تابعة لحركة أكبر، وكما يفيد علم البلاغة بإمكان إطلاق الجزء وإرادة الكل، فإن الجبال تتحرك بحركة الكوكب الأرضي كاملاً - كما سنفصل هذا بعد قليل - وإنما ذكرت الجبال لأنها أبرز ما على الأرض، وكما أن السحاب لا يتحرك بذاته، بل بحركة وقوة دفع الرياح له، فهكذا الجبال تتحرك بحركة الأرض، وهو تشبيه يليق. ومن نافذة القول أن الآية تشير أيضاً إلى وجود الحركة الدورانية للكرة الأرضية.

والناظر في الآية القرآنية يرى لفظة «تحسبها» قد جاءت لتلائم المستوى العلمي للمسلمين وقت نزول القرآن، فالكل يرى الجبال ثابتة مستقرة، ولا يرى لها حركة مطلقاً، فلم يثبت لأحدهم أن علم بحركة جبل من مكان إلى مكان آخر، ولذلك يقول الله (تحسبها جامدة)، وفي هذا معنى المغايرة لما يعقبها من معلومات، وهي (تمر)، أي: تتحرك حركة انتقال أو اختفاء من مكان وظهور في مكان آخر، ثم جاء تشبيه حركتها بحركة السحاب في قول الله تبارك وتعالى: (عر السحاب)، فهل تتحرك الجبال فعلاً، وهل توصل العلم الحديث إلى إثبات هذه الحركة، وما هو نوع هذه الحركة؟

تتلخص آراء علماء الجيولوجيا حالياً لفهم هذه الآية القرآنية الكريمة في ثلاثة أنواع من الحركة بشأن الجبال، وهي: حركة الجبال بحركة الأرض، وحركة الجبال بتغيرتها وتغيير صخورها، وحركة الجبال بحركة القشرة الأرضية (فيما يسمى ظاهرة انزياح القارات)، وفيما يلي موجز لكل نوع من هذه الحركات.

حركة الجبال بحركة الأرض

أصبحت حركة الأرض، أو بالأدق حركات الأرض، اليوم حقيقة علمية يؤكدتها العلماء المتخصصون، ومن هذه الحركات دوران الأرض حول نفسها مرة كل ٢٤ ساعة، ودورانها حول الشمس «أمها» مرة كل ٣٦٥ يوماً وربع اليوم، ويقدر العلماء سرعة دوران الأرض في أي نقطة على سطح الأرض عند خط الاستواء بنحو ١٦٠٠ كيلو متر في الساعة، ودورانها في مدارها على بُعد ١٤٩ مليون كيلومتراً من الشمس، ويقدر بنحو ١٠٦٠٠٠ كيلو متراً في الساعة.

وأما تشبيه حركة الجبال بحركة السحاب، فهو تشبيه علمي يليق، لأن السحاب عبارة عن كتل ضخمة من بخار الماء وذوى التكاثف العالقة به، وهو محمول بوساطة هواء ديناميكي متحرك، أي: الرياح، يعني أن السحاب لا يتحرك حركة ذاتية، بل يتحرك حركة مكتسبة من الرياح... وكما اشارت الآية القرآنية: (الله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت) فاطر، فلفظة «سقناه» في هذه الآية تدل على حركة ومرور السحاب من بقعة إلى أخرى، وكان السحاب يركب الرياح ويسافر عبر البلدان، ويمر من مناطق الضغط المرتفع إلى مناطق الضغط المنخفض، والجبال هي الأخرى مكونات أرضية تتحرك بحركة كوكب الأرض في الفضاء وهي محمولة على الأرض وتتحرك بحركتها، أي ليست لها حركة ذاتية، كما هو الحال أيضاً بالنسبة للسحاب... فالأرض تقطع مسافات شاسعة وهي تحمل الجبال، وبالتالي تقطعها هذه الجبال، وهكذا لم تصرح الآية القرآنية الأساسية في هذا المقال بحركة الجبال الانتقالية حتى لا يتنافى ما تعارف الناس عليه في زمن نزولها، وحتى لا تصطدم بمعارفهم في ذلك الوقت، وفي الوقت نفسه انطوت الآية ذاتها على ما ينبئ بحركة الجبال، حتى جاء العصر الحالي وتوصل العلماء إلى هذه الحقيقة حديثاً.

ولعل الجزء الثاني من الآية ٨٨ من سورة النمل يشهد لصحة هذا

المعنى، إذ يقول الله تبارك وتعالى فيه: (صنع الله الذي أتقن كل شيء)، فهو أتقن، والاتقان لا يحدث إلا في الحياة الدنيا، ولم يقل «خرب» وهو ما يحدث عند قيام القيامة، إذن فالمعنى الذي ذهب إليه جمهور المفسرين لا يتفق مع معنى اللفظة القرآنية، وتعارضه للعطيات العلمية الحديثة، ومن المعروف أن كلام المفسرين يؤخذ منه ويُرد، لأنه اجتهاد بشر يصيب ويخطئ، وربما كان ما ذهبوا إليه من معنى أو شرح أو تفسير يناسب مدارك الناس في العصور السابقة، وعموماً (فالتفسير ليس قرآناً).

وإذا عدنا إلى التشبيه البليغ للجبال بالسحاب، في الحركة، نجد أن حركة السحاب محمولاً على متن الرياح فيها خير ومنافع للكائنات الحية، وكذلك في حركة الجبال محمولة على متن الأرض، فيها منافع ومنها تعاقب الليل والنهار وتوزيع الحرارة والظروف المناخية على مدار العام، وما كان يحدث هذا ولا ذاك إلا بحركة ودوران الأرض، وعلى متنها الجبال والخلاصة هي أن الجبال جزء من الأرض، ولما كانت الأرض متحركة وتدور في فلكها حول نفسها وحول الشمس وفي الفضاء الكوني، فإن الجزء لا بد وأن يتبع الكل الذي ينتمي إليه، فلا بد وأن الجبال في حركة دائمة، ولا يستطيع أن يفهم المرء هذه الحركة إلا إذا علم يقيناً أن الأرض تتحرك وتدور، فيكون ثبات وجمود الجبال من الأمور غير الحقيقية، أي: مما يقع في دائرة الظن، ولذلك جاءت اللفظة القرآنية «تحسبها».

حركة الجبال بحركة القشرة الأرضية «انزياح القارات»

تنص نظرية الألواح الأرضية على أن الغلاف الصخري للأرض تنتشر به شبكة هائلة من الصدوع التي تقسمه إلى عدد من الألواح واللويحات «وتسمى أيضاً: الصفائح التكتونية، أو الألواح الأرضية المتجاورة، أو الشرائح أو القطع الصخرية الرئيسية في وشاح الأرض»، وتطفو هذه الألواح فوق طبقة الوشاح Mantle الصخرية الساخنة اللدنة عالية الكثافة عالية اللزوجة، وتساعد هذه الصفات في انزلاق الألواح واللويحات على هذه الطبقة بسهولة، ويساعد في هذا أيضاً دوران الأرض حول محورها أمام الشمس، ووجود تيارات حرارية كثيرة ناتجة عن النشاط النووي لتلك الطبقة من الأرض، وعندما تتحرك هذه الألواح واللويحات قد تصطدم ببعضها فتحدث هزات أرضية وأنشطة بركانية عند حوافها، وعندما تتباعد عن بعضها البعض تندفع الصحارة الصخرية «وهي كتل سيال جرانيتية» لتملأ المسافات الموجودة فيما بينها... وتتحرك الألواح عبر محيط الأرض وتحمل معها القارات فتصطدم قارة بأخرى، وتصطدم القارات ببعضها أيضاً نتيجة اختفاء المحيط الفاصل فيما بينها، ويؤدي هذا إلى ظهور أعظم السلاسل الجبلية ارتفاعاً، وهي السلاسل التي تؤدي إلى إبطاء حركة كل من اللوحين المصطدمين بالتدريج حتى يتوقفا عن الحركة، أي أن هذه السلاسل الجبلية «رواسي» تعمل على إرساء القشرة الأرضية.

يقول قجندر: إن كتلة السيمبا الباطنية كانت أكثر لزوجة عما هي عليه الآن، وساعد ذلك على طفو كتل القارات من مادة السيلال، الخفيفة وتزحزحها بفعل قوة الجذب الأرضية التي زحزحت بالدفع صخور السيلال القارية نحو المناطق الاستوائية، وأن ذلك أدى إلى تكوين سلاسل الجبال الاتوائية الشامخة المستعرضة كسلسلة جبال الألب والهمالايا، وكان المناخ القديم للأرض مختلفاً عن المناخ الحالي... وكان من نتاج الزحزحة الجانبية الأفقية أن «انفتحت» الأمريكيتان عن

أوروبا وأفريقيا وزحفنا نحو الغرب، واتجهت قارة أنتاركتيكا نحو الجنوب، وهضبة النكن وأستراليا نحو الشرق.

هذا، وتمت الجبال مع الألواح واللويحات الأرضية، مروراً بطيناً لا يستطيع الناس إدراكه فيظنون أنها جامدة أو ساكنة أو ثابتة، ولكن العلماء المعاصرون أثبتوا أنها تتحرك على مر ملايين السنين، بل وقدرنا معدل هذه الحركة البطيئة المستمرة بنحو ١ - ١٢ سم كل عام، في ظاهرة تدعى «انزياح» أو إزاحة أو زحزحة القارات، التي تشرحها «نظرية إزاحة القارات» في أن جميع القارات كانت قديماً متصلة ببعضها البعض، ثم انفطقت وتشققت ثم تباعدت عن بعضها البعض فظهرت البحار والمحيطات التي نراها الآن... وبناء على هذه النظرية كانت قارة أفريقيا متصلة بالقارة أمريكا الجنوبية، ويدل على ذلك تطابق سواحل غرب أفريقيا مع سواحل شرق أمريكا الجنوبية، لكنها - ومع حدود إزاحة للقارات بحركة الألواح الأرضية وتباعدها - انفصلتا عن بعضهما البعض، ومن الذين بحثوا في زحزحة القارات كلفن، سولاس، لابوارث، لاف، فجنر، جولي، هولز، فرانسيس بيكون، وأنا، فوريس، سيندر، بييس، تايلر... ومرت هذه النظرية بمراحل، أولها كان بزحزحة القارات رأسياً، ثم أخرجها بزحزحة القارات أفقياً، وهو ما استقرت عليه آراء العلماء حالياً، وعموماً، فإن هذه النظرية تؤكد أن قارات الكرة الأرضية كانت في الأصل والمنشأ كتلة واحدة «ريقاً» فتشققت «تفتقت» خلال فترات وأحقاب جيولوجية مختلفة، ولم يتغير في هذه القارات «أي» أجزاء الأرض، إلا الهوامش فقط، إذ إن أنواع الحيوانات والنباتات واحدة، ومعظم أشكال الحواف متطابقة، ولقد تكونت الجبال الالتوائية الشامخة «الرواسي» بعد حدوث الأحداث العظام في زحزحة قارات الأرض وتباعدها عن بعضها البعض، ويُقال إن هذه الرواسي قد تشكلت في بداية العصر البرمي منذ ٢٠٠ مليون سنة، وإذا رُصت قارات الأرض بجوار بعضها لتداخلت تعاريج ونبوءات سواحلها مع بعضها تماماً، كما لو كانت قطعة ورق تمزقت ويمكن إعادةها إلى حالتها الأولى تماماً، كما قال بهذا العالم فجنر.

وعلى هذا، يتوقع علماء الجيولوجيا زحزح قارة أفريقيا إلى الشمال لتتغلغل البحر المتوسط، وسوف تتزحزح إلى الغرب فيتسع البحر الأحمر ليصل إلى حجم محيط في يوم من الأيام، وهكذا، تتحرك الجبال مع الألواح الأرضية بمرور السنين فتنتقل من مكان لآخر، حركة بطيئة وثيئة، وكانت مرور سحب، كما عُدت الآية القرآنية الكريمة في سورة النمل.

حركة الجبال بتغيريتها وتغيير صخورها

يصنّف الجيولوجيون صخور الأرض - تبعاً لطريقة تكوينها - في ثلاثة أنواع، هي:

١ - صخور نارية: تكونت في درجات حرارة عالية جداً، وهي كتل متبلورة من مواد ملتهبة معروفة باسم الصهارة «أو لافا»، وتُقدف مع البراكين. ومن أنواعها: الجرانيت والبازلت.

٢ - صخور رسوبية: تكونت بترسيب وتراكم مواد جمعتها عوامل التعرية «أو التجوية»، أو أنتجتها كائنات حية، ثم تماسكت هذه المواد مع بعضها البعض بتأثير الضغط والحرارة، ومن أنواعها: الحجر الجيري، والحجر الرملي.

٣ - صخور متحولة: تكونت من صخور رسوبية أو نارية تعرّضت

لدرجات شديدة من العوامل كالحرارة أو الضغط، ومن أنواعها: الرخام والارديواز.

وللصخور دورة مع الزمن، يتحول فيها نوع إلى آخر، فمثلاً تتحول الصخور النارية إلى صخور رسوبية بفعل عوامل التعرية والنقل والترسيب، وتتحول الصخور الرسوبية إلى صخور متحولة، حيث تندثر تحت سطح الأرض أثناء تكون الجبال، وقد تتحول الصخور الرسوبية إلى صخور نارية حين تتحول درجة حرارتها إلى درجة الانصهار، وهكذا اكتشف العلماء التغير المستمر لصخور الجبال. والأرض عموماً، وهو التغير الذي يحدث تدريجاً بيئياً، أو فجأة «كما هو الحال في الكوارث الطبيعية كالخسف المفاجئ مثلاً»، وقد أعلن جيمس هانتون «في القرن السابع عشر الميلادي» مبدأ التغير التدريجي المستمر للقشرة الأرضية على مر الأحقاب الجيولوجية، وبناء على هذا المبدأ، وما دعمته من بحوث وكشوف حديثة، فإن زوال جبال و ظهور أخرى، أو الانتقاص من جبال وازدياد أخرى، عمليات تتم مع الزمن، وكان الجبال تنتقل من مكان إلى آخر... وهكذا تذوب الجبال بفعل عوامل التعرية، وفي هذا يظهر أحد المعاني المفهومة في مرور الجبال الذي ورد في الآية القرآنية رقم ٨٨ بسورة النمل، وهكذا يتضح مدى الفائدة التي يمكن تحصيلها لخدمة القرآن العظيم وتفسيره وعرضه على الشعوب المختلفة وخاصة الشعوب المتقدمة علمياً، وهكذا تتضح أهمية توظيف المعطيات العلمية الحديثة في هذا المجال.

ومن نافلة القول أن هذه الآية القرآنية احتوت قول الله تبارك وتعالى: «وترى الجبال» وليس «وترى الأرض»، وهذا تعبير علمي معجز، لأن الأرض لا يراها الإنسان وهي تمرّ إلا إذا خرج منها ونظر إليها من الفضاء الخارجي، وقد تحقق له ذلك بعد اختراع سفن الفضاء حديثاً، وإنما جاءت «وترى الجبال» لأن الجبال مما يقع في مجال رؤية الإنسان، كما لزم أن ترد اللفظة القرآنية «تحسبها» «أي: تظنها»، لأن في الظاهر أمام العيان هي ثابتة، بل ورأسية - كما أخبرت بذلك آيات مثل: الآية ٢٢ في النازعات، ولكن العلم الحديث كشف «كما قلنا» عن معنى عظيم لم يكن ليعرفه الناس إلا بعد الدراسة والبحث عبر مئات السنين... أما كيف لم يفهم المسلمون الأوائل مثل هذه الحقائق العلمية القرآنية في عصر نزول الوحي العظيم بين ظهرانيهم، فلأنهم كانوا مشغولين - بالدرجة الأولى - بمقاومة الشرك والإلحاد، وتنقية النفوس من أدانها، ودعوة الناس إلى توحيد الله رب العالمين، فلا وقت لديهم إذن للتفتيش عن كل - أو معظم - مكونات الآيات القرآنية، وحتى الذين علموا بعض هذه الأسرار العلمية من رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا من الحكمة ألا يتحدثوا بها، فهي مما لا يصدق العقل في ذلك الزمان، ومن ثم أمسك الصحابة عن إذاعة ما علموه من مثل هذه الأسرار العلمية للآيات الكونية في القرآن الكريم، فكيف يشرحون للناس حركة الجبال - مثلاً - وهي ثابتة جامدة أمام أعين الناس وأنظار الناظرين... إن هذا إذا حدث لأدنى إلى وقوع فتنة للناس في ذلك الزمان، وختاماً، فإن الآية القرآنية التي معنا الآن (النمل: ٨٨) تدل أيضاً على حركة الأرض، وخصوصاً سياحتها في فلكها، حول نفسها، وحول أمها الشمس، وفي الفضاء الكوني العظيم بمرافقة الشمس، وسبحان من هذا كلامه المنزّل، وهذا كونه المخلوق، سبحان الله الخالق العظيم، وصلى الله على خاتم الرسل والأنبياء أجمعين وسلم تسليماً كثيراً. ■

المسلمون في روسيا

الإسلام انتشر قبل قرن
من اعتناقها المسيحية !

● المسلمون في روسيا حريصون على تعليم مبادئ الإسلام



كتب الكسندر سميرنوف مقالاً عن أوضاع المسلمين في روسيا في أعقاب انهيار الاتحاد السوفياتي السابق تناول فيه بالتفصيل تطلعات المسلمين للحفاظ على هويتهم الثقافية والدينية. يقول المقال :

حديقة «إسماعيلوفو» الشهيرة في موسكو تغدو مع إطلالة الربيع المكان الأثير لأبناء الجالية التترية، حيث يقيم التتر في موسكو منذ سيطرة أسلافهم على روسيا في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، وفي العاصمة الروسية الآن زهاء ٦٠٠ ألف تتري، إلا أن كثيرين منهم لم يعودوا يتكلمون لغتهم الأصلية، وتصدى عدد من الشخصيات والمنظمات ذات الطابع القومي والديني لمهمة «إحياء الأصول» لدى الشعب التتري.

وفي هذا السياق، وقع الاختيار على «إسماعيلوفو» لعقد لقاءات ربيعية كان لها في البداية طابع أقرب إلى الفولكلوري، إذ كان التتر يقيمون حلقات الرقص والغناء ويتعارفون فيما بينهم وفيما بعد ظهرت مساحة دينية على هذه اللقاءات، وغدا الرجال يرتادونها وهم يعتمرون طاقيات سوداء أو خضراء أو بيضاء، أما النسوة فأخذن يربطن رؤوسهن بالمناديل.

الحلال، وثمة مستشفيان مختصان بعمليات الختان التي تجرى وفق أحدث القواعد بعدما كانت في الماضي تجرى سرأً وبطريقة بدائية.

وظهرت أخيراً منتديات تترية وداغستانية وأذربيجانية وشركسية وفي إطارها تقام دروس ومحاضرات دينية وندوات عن الإسلام ودوره في روسيا.

وفي حديث صحفي أشار رئيس مجلس

وغالياً ما تسمع هنا وهناك عبارات «السلام عليكم» و«الحمد لله»، ويمكن أن تجد في أكشاك متنقلة كتباً دينية إسلامية إلى جانب مؤلفات في التراث والأدب التتريين.

بالإضافة إلى «إسماعيلوفو» يلتقي التتر وسائر مسلمي موسكو في المساجد الخمسة القائمة في العاصمة وفي مؤسسات اجتماعية - دينية وغالباً ما تشاهد طوابير طويلة عند محلات خاصة تبيع اللحم



● مسجد في جمهورية تارتارستان يجري بناؤه حالياً بالقرب من دار الحكومة في العاصمة قازان

فريد عزيزالله، إلى جانب عدد من كبار الأدباء والمفكرين مثل حيدر جمال وولي الدين صدر.

إلا أن المسلمين يشيرون إلى أن تمثيلهم في هيئات السلطة لا يزال متخلفاً إلى حد كبير عن نسبتهم في المجتمع، وإلى ذلك، فإن السلطة المدنية تجهر بتعاطفها مع الكنيسة الأرثوذكسية، متناسية أحياناً أن خمس أبناء روسيا من المسلمين، وأن الإسلام بدأ الانتشار في روسيا قبل قرن كامل من اعتناقها المسيحية. ■

الدوما، وهما «اتحاد مسلمي روسيا» الذي يعلب عليه نفوذ القوقازيين وحركة «نور» التي تستند أساساً إلى الجالية التترية.

وبرز في الأونة الأخيرة «المركز الثقافي الإسلامي» بقيادة عبدالواحد نيازوف الذي تثير شخصيته جدلاً في الوسط الإسلامي، كما أثيرت تساؤلات عن مصادر تمويله، وتضم النخبة السياسية في العاصمة الروسية عدداً من الوجوه البارزة من أبناء الجالية الإسلامية مثل وزير شؤون القوميات رمضان عبداللطيفوف ووزير أملاك الدولة

المفتين في روسيا الشيخ راوي عين الدين إلى أن في منطقة موسكو وضواحيها أكثر من مليوني مسلم، وذكر أن العدد ارتفع بعد انهيار الاتحاد السوفييتي وتعاضم موجات الهجرة بسبب النزاعات الإقليمية، فثمة تقديرات تفيد بأن زهاء ٤٠٠ - ٦٠٠ ألف أذري وصلوا إلى موسكو من منطقة قره باخ أو العمق الأذربيجاني، كما أن قرابة ١٥٠ ألف طاجيكي هربوا من الحرب الأهلية وتدفقوا إلى موسكو.

ويؤم الكثيرون من هؤلاء المساجد التي غدت تغص بالمصلين، إلا أن الأزمة الاقتصادية الخانقة تعوق إنشاء مصليات جديدة، وكان يمكن للمسلمين أن يحصلوا على موقع مهم للالتقاء لو اكتمل إنشاء «المركز الإسلامي» الذي صمم كمجمع يضم مسجداً وفندقاً ومشفى، وداراً للإيتام ومؤسسات ثقافية وخيرية، وتعهدت جمعيات إسلامية روسية وأجنبية الإنفاق عليه، إلا أن منظمات حماية البيئة تدخلت لعرقلة بناء المشروع في منطقة «تروباريوفو» في غرب موسكو، كما احتجت جهات متنفذة في الكنيسة الأرثوذكسية على إقامة جامع جديد في حي زعمت أن عدد المسلمين فيه «ضئيل»، وبدأت في السنوات الأخيرة حركة دائبة للطباعة والنشر، وقال رئيس دائرة الإعلام في الإدارة الدينية الإسلامية فريد أسدالله: إن صحيفة «منير الإسلام» تصدر في موسكو باللغتين التترية والروسية، وتنتشر فيها نصوص دينية باللغة العربية، ويرأس تحريرها البروفيسور طالب سعيد بايف الذي كان ألف عدداً من الكتب القيمة عن الإسلام، وحتى الآن تصدر في شكل غير منتظم صحيفة «التوحيد» التي تمثل ما يوصف بالتيار الراديكالي.

وعلى الصعيد السياسي كان «حزب النهضة» أول تنظيم سياسي إسلامي نشأ في أوائل التسعينيات، إلا أنه عانى من انقسامات زاهداً عمقاً انهيار الاتحاد السوفييتي، وبالتالي انفصال فرع طاجكستان الذي كان الأقوى في الحرب، وأصبح عدد من مؤسسيه قادة لحركة المعارضة وأعضاء في الوزارة الطاجيكية. وخاضت الانتخابات البرلمانية الأخيرة في روسيا حركتان أصابتا نجاحاً نسبياً، وإن لم تتمكنوا من إيصال نواب إلى مجلس



موسوعة علمية مصورة توثق الطيور في الكويت

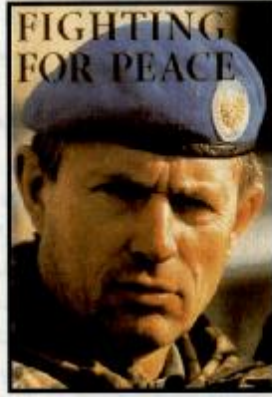
نكر مدير الصندوق الوقفي للتنمية العلمية داود الأحمد أن الصندوق قدم دعماً لطباعة وإصدار موسوعة طيور الكويت لمؤلفها المستشار مشعل أحمد الجريوي، مبيناً أن هذه الموسوعة العلمية تعتبر مرجعاً موثقاً تاريخياً لحياة الطيور المحلية والمهاجرة في الكويت والخليج العربي.

وأشار الأحمد إلى أن هذا الدعم يجيء انطلاقاً من أهداف الصندوق في دعم النشر العلمي بين أفراد المجتمع.

وذكر أن الموسوعة التي استغرق المؤلف في إعدادها أربع سنوات تشتمل على الاسم العلمي للطائر باللغة الإنكليزية والعربية ومسماه باللهجة المحلية، ورتبة الطائر وموطنه ووزنه وطوله والصفات العامة والغذاء، وأماكن مشاهدته ومسالكه وفترات الهجرة.

وقال: أفرد المؤلف صورة لكل طائر وتاريخ ومكان تصويره، موضحاً أن جميع الصور المحتواة في الكتاب التقطت من خلال الكاميرا الشخصية للمؤلف في دولة الكويت وفي أكثر من ١٠ مواقع.

وأفاد: يهدف هذا الكتاب للتعريف بأكبر عدد ممكن من الطيور وأهميتها للبيئة الكويتية باعتبارها أحد عناصر الحياة الفطرية المرتبطة بالبيئة المحلية، كما يخدم هذا الكتاب الكثير من الباحثين وعمامة المواطنين والوافدين والمهتمين في مجال الطيور والبيئة.



قتال من أجل السلام

مؤلف الكتاب : الجنرال البريطاني «سير مايكل روز»
قائد قوات حفظ السلام في البوسنة

وهذا الكتاب يقدم شهادة زور موجعة ومؤلمة عبر صفحاته ولا يوجد ما ينطبق على هذا الكتاب خير من المثل العربي الشهير «سكت نهراً ونطق كفراً»، فبعد أكثر من أربع سنوات من أسوأ المجازر البشرية في القرن العشرين التي جرت في البوسنة وشاهدها العالم على شاشات التلفاز جاء الكتاب ليؤرّ الحقائق. فروز وقواته لم يقاتلوا من أجل السلام، بل وقف وقواته يتفرون على وحوش الصرب وهم ينقضون على ما سُمي بالمناطق الآمنة - التي يقطنها مسلمو البوسنة، بعد أن جردتهم قوات روز من أسلحتهم وتعهدت بحمايتهم - ويقتلون الرجال والنساء والأطفال، وعزّ على روز ألا يشارك الصرب أمجادهم، فكان جنوده يخطفون له صبايا من مناطق المسلمين ليفتصبهم، وهو ما كشفه ابن جلده في صحيفة الأندبندنت.

وفي ثنايا الكتاب تضع الحقيقة ولا تعرف من المعتدي ومن الضحية في تلك الجزيرة، فالكتاب يحفل بأحط الصفات للساسنة والعسكريين المسلمين الذين يتهمهم روز بأنهم كانوا عقبة في الطريق إلى السلام، أما الجنرال الصربي راتكو ميلاديتش الذي تبحث عنه محكمة لاهاي الدولية لحاكمته كمرجم حرب بعدما أباد عشرات الألوف من الشيوخ والنساء والأطفال المسلمين، فهو في رأي روز «رجل يحترم كلمته» ولا غرابة فالرجلان ينطبق عليهما المثل العربي «وافق شن طليقة».

ويقدم روز تفسيراً مدهشاً للقصف الوحشي الذي نفذته الصرب ضد المدنيين من المسلمين في المناطق السبع الآمنة، فذلك القصف كان ردأ على خداع المسلمين الذين استقروا الصرب عمداً حتى يقصفوهم ويقتلوا مزيداً منهم استدراراً للعطف الدولي!

والأكثر إبلاماً، أن روز يلتمس العذر لوحوش الصرب، هو نفسه الذي هدد حكومة سراييفو بضرب قواتها الموجودة في المناطق الآمنة، وحثه - كما أوردها في الكتاب - أن هذه المناطق يجب أن تكون منزوعة السلاح، مع أن منطوق قرارات الأمم المتحدة يقول بسحب القوات غير الموالية للحكومة البوسنية، أي قوات الصرب.

الرياضة من منظور إسلامي



صدر ضمن مطبوعات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «الاييسيسكو» كتاب جديد بعنوان «الرياضة من منظور إسلامي» وهذا الكتاب يشتمل على أبحاث مختارة من الندوة العلمية حول موضوع «المفهوم الإسلامي لرياضة الشباب» التي عقدت في الخرطوم في صيف عام ١٩٩٧م في إطار التعاون بين المنظمة ومنظمة الدعوة الإسلامية، ويهتم الكتاب بإبراز المبادئ الإسلامية السامية في تكوين الأجسام والنفوس والتأكيد على المفاهيم الأساسية حول الرياضة في المنظور الإسلامي، وتدور محاور الأبحاث التي يتضمنها الكتاب حول الأخذ بالمفاهيم الإسلامية الشرعية في الألعاب الرياضية وتهذيب الأنواع الرياضية العنيفة التي تلحق الأذى والموت أحياناً بممارستها والتخطيط لإقامة منافسات على مستوى دول العالم الإسلامي والتركيز أكثر على القيم الإسلامية الأخلاقية.

الاعتراف بجامعة روتردام

الإسلامية على المستوى العالمي

شهد يوم ٧ يونيو الماضي حدثاً تاريخياً مهماً في مجال التعاون المشترك بين جامعة روتردام الإسلامية وجامعة طشقند الحكومية، فبالإضافة إلى الاعتراف المتبادل بالشهادات شمل العمل المشترك - أيضاً - وفي مختلف المجالات مثل وضع المشاريع المشتركة وتبادل الأساتذة والطلبة والإشراف المشترك على درجتي الماجستير والدكتوراة. وتعتبر جامعة طشقند الحكومية بأوزبكستان من أشهر وأعرق جامعات العالم الإسلامي، فإبان مرحلة ازدهار وتطور العلوم الإسلامية لعبت المدن مثل: طشقند ويخارى دوراً مهماً في التطور العلمي، وكان الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله أحد أشهر الذين ينتمون إلى هذه المنطقة، والذي يرجع إليه الفضل في جمع الأحاديث النبوية الشريفة وتصنيفها في كتاب «صحيح البخاري» الذي يحمل اسمه، كما أن العديد من العلماء والفقهاء المعروفين قد تلقوا علومهم في طشقند ويخارى وغيرها.

وجامعة روتردام الإسلامية هي مؤسسة أكاديمية ذات نظرة اجتماعية واضحة، فهي تريد أن تقدم تقريراً حقيقياً عن حياة المواطنين المسلمين الهولنديين وذلك عن طريق التعليم الأكاديمي والبحث العلمي، فعدد المسلمين القاطنين في هولندا يناهز ٧٠٠ ألف مسلم، حيث إن نسبة كبيرة منهم تعتبر من المهاجرين، لكنهم يتخذون - بالدرجة الأولى - صفة مواطنين مسلمين متعاضدين في هولندا، وانطلاقاً من قواعدهم الدينية يريدون التعبير عن مواطنيتهم بشكل مسؤول ونشط، ولديهم أيضاً رغبة أكيدة في ربط مبادئهم الدينية بالأسئلة الحساسة وبالمشاكل المطروحة على مستوى التعايش في هولندا.

من هذا المنطلق، تعتزم جامعة روتردام الإسلامية تقديم تقرير واف حول التطورات اللاحقة للمواطنين ومخططهم حول التعايش في هولندا.

من اتفاق أوصلو إلى الدولة ثنائية القومية

عن دار الشروق للنشر والتوزيع في عمان صدر مؤخراً كتاب بعنوان: «من اتفاق أوصلو إلى الدولة ثنائية القومية»، للباحث الفلسطيني منير شفيق والكتاب يمثل في مجمله رداً على ما يدعو إليه كل من إدوارد سعيد وعزمي بشارة وآخرون وبخاصة أطروحة الدولة ثنائية القومية أو «دولة لمواطنيها» وما حملته من خلال إدوارد سعيد من استراتيجية للعمل السياسي الفلسطيني خارج الساحة الفلسطينية. كما يعالج الكتاب مجموعة من القضايا التي أثارت خلال السنتين الماضيتين، وكانت جميعها نتاجاً مباشراً وغير مباشر مؤيداً أو معارضاً لاتفاق أوصلو وما انتبثق عنه من مسارات واتفاقات. ويركز الباحث على مناقشة وتبيان خطورة ما يدعو إليه بعض الفلسطينيين وبخاصة ما يدعو إليه عزمي بشارة ويسميه «الحالة الفلسطينية الإسرائيلية» منطلقاً من التركيز على اعتبار سمته الأساسية تتمثل بحالة «الابارتايد» أي الفصل العنصري ومن ثم فإن بشارة يرى أن الحل يكمن في المطالبة بالعدل والمساواة ورفع الظلم العنصري وصولاً إلى الدولة ثنائية القومية. ويرى الباحث أن إدوارد سعيد الراض لاتفاق أوصلو يدعو إلى ما هو أخطر من ذلك بالنسبة للقضية الفلسطينية، فالقضية الفلسطينية ومشكلة الشعب الفلسطيني تنحصران في مشكلة الحصول على حق المواطنة في الدولة العبرية.

وفي الكتاب العديد من القضايا الفلسطينية المثيرة للجدل، إذ يتساءل الباحث مثلاً عن سر تحمس المعارضة الإسرائيلية لإعلان الدولة الفلسطينية ويجب بأن خطوة إعلان الدولة يحرق إسرائيل من قضايا مثل القدس والاستيطان واللاجئين، ويحذر الكتاب في النهاية من الاستسلام للعبة المفاوضات التي يرى أنها لن تعيد الحقوق للشعب الفلسطيني ومن الانجراف وراء سراب الوعود والاتسلاخ من المحيط العربي والإسلامي بحيث لا تبقى للمفاوض الفلسطيني أي أوراق، ويقول: لعل أخطر ما يحدث في الساحة الفلسطينية هو نسف ما هو أصل وقاعدة ووضع ما هو شان وظارئ مكانها.

إضافة علمية غير مسبقة للمكتبة الإسلامية، تتمثل في مصنف «فقه الجنائز»، الذي يعد موسوعة فقهية في هذا الجانب من العلم، فقد بذل مصنفه الشيخ الدكتور/ أحمد محمود كريمة، مدرس الفقه المازن بجامعة الأزهر بالقاهرة جهداً مضمناً في التوثيق العلمي لمسائل «فقه الجنائز»، في أحكام: الاحتضار، أفعال عقب الوفاة، التسليم، التكفين، التشييع، صلاة الجنائز، الدفن، القبور، التعزية، القرابات، وبيان المذاهب الفقهية بأدلتها النصية والعقلية والمختار أو الراجح وفق معايير علمية معتمدة معتبرة، وبلغت تلك المسائل ما يزيد على ثمانين مسألة فقهية مقارنة، ويقع الكتاب ٤٥٥ صفحة من القطع المتوسط.

«فقه الجنائز» دراسة فقهية مقارنة جديدة

أخبار ثقافية

- افتتحت مؤخراً الأكاديمية الإسلامية في النمسا وتم الاتفاق بين الأكاديمية وجامعة الأزهر على تدريس المناهج الأزهرية في الأكاديمية والاعتراف بشهادتها كشهادة معادلة للشهادة الجامعية الأزهرية.
- انتهى السيناريست وحيد حامد من كتابة فيلم تسجيلي عن علاقة المسلمين بالأقباط النصرانيين منذ الفتح الإسلامي لمصر وحتى الآن، ويأتي الفيلم رداً على مزاعم
- غربية بوجود اضطهاد للمسيحيين في مصر وإثارة القضية بصورة متكررة.
- حددت الفترة من ٢٢ نوفمبر وحتى ٣ ديسمبر المقبل موعداً لإقامة معرض الكويت للكتاب، وهو يُقام للمرة الأولى منذ سنوات متفضلاً عن مهرجان القرنين، وسيأخذ المعرض الصفة الدولية لأول مرة وسيطلق عليه اسم: «معرض الكويت للكتاب العربي» أسوة بالمعارض الأخرى.



شبكة إسلامية على الإنترنت دشنتها وزارة الأوقاف القطرية

دشنت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية موقعها على الإنترنت بعنوان الشبكة الإسلامية، ويشتمل على عشرة محاور، بعضها ثابت لا يتغير وهو القرآن الكريم وتفسيره الذي يقدم بالصوت والصورة وكذلك السنة النبوية ثم السيرة النبوية.

وتتضمن المحاور التي تتغير المدرسة الإسلامية التي تعتبر مدرسة إسلامية متكاملة تزود الزائر لها بمبادئ عامة في العلوم الإسلامية والموسوعات الإسلامية التي تشمل: أعلام الإسلام والعالم الإسلامي، وموسوعة الأديان والمذاهب المعاصرة، ثم محور لماذا أسلمت؟ والمكتبة الإسلامية التي تقدم بالعربية والإنجليزية ثم ركن الفتوى.

وصرح رئيس لجنة الإنترنت بالوزارة يوسف بن أحمد الكواري بأن هناك محورين آخرين هما: منتدى الحوار ويتم فيه تبادل وجهات النظر حول القضايا الإسلامية التي تُطرح من المفكرين والباحثين المتخصصين إثراء للفكر الإسلامي.

وهناك المحور العاشر: وهو دليل للمواقع الإسلامية ونشرها التعريف بها.

وصرح عبدالله سالم غراب - نائب رئيس اللجنة - بأن الوساطية وعدم التجريح ومد الجسور مع الآخرين هو منهج الشبكة الإسلامية كما أن تفسير الشعراوي هو أحد تفاسيرها.

الناس في القرن المقبل مسنون ويسكنون المدن



وتركزهم في المناطق الحضرية.

ويتميز سكان الأرض حالياً بارتفاع نسبة الشبان بينهم، فالسنوات التي شهدت نمواً سكانياً مرتفعاً جعلت عدد الشبان من سن

سبورتفع عدد سكان الأرض من ستة مليارات نسمة عام ١٩٩٩م إلى تسعة مليارات في ٢٠٢٤م، وإن كانت الأرقام تخفي اتجاهها يشير إلى زيادة عمر سكان الأرض

مجمع إسلامي في العريش بتكلفة ٥ ملايين جنيه

قرر المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة إنشاء مجمع إسلامي في مدينة العريش بالتنسيق مع محافظة سيناء في مصر يضم مسجداً ومكتباً لتحقيق القرآن الكريم وعيادة طبية وحضانة إسلامية ومكتبة دينية وداراً للأيتام وجمعية لتنمية المجتمع المحلي.

وقال توفيق الشريف مدير المجلس في القاهرة إنه تم اعتماد مبلغ خمسة ملايين جنيه مصري لبناء المجمع الذي يعد الأول من نوعه الذي يقيمها المجلس داخل مصر، مشيراً إلى تبرع محافظة سيناء بقطعة أرض مساحتها عشرة آلاف متر مربع لإقامة المجمع عليها، وأشار الشريف إلى أنه تم اختيار مدينة العريش لقلّة عدد التجمعات الإسلامية في هذه المدينة مقارنة بالمدن المصرية الأخرى.

١٥ إلى ٢٤ سنة يصل إلى ١,٠٥ مليار شخص، كما أن نصف السكان في معظم الدول النامية هم دون سن الخامسة عشرة، إلا أنه يتوقع أن يؤدي التباطؤ التبرجي في معدل الولادات إلى خفض عدد المواليد الجدد إلى ٣٠ مليون سنوياً اعتباراً من ٢٠٤٥ بدلاً من ٧٨ مليوناً في الوقت الحالي، وفق تقديرات الأمم المتحدة، هذا التناقص في عدد الصغار سيؤدي إلى جانب ارتفاع متوسط الأعمار إلى زيادة كبيرة في عدد المسنين.

ففي ١٩٩٨م كان يعيش على الأرض ٥,٨٠ مليون إنسان فوق سن ٦٠ عاماً من بين حوالي ستة مليارات، أما في ٢٠٥٠ فسيرتفع عدد هؤلاء إلى ملياري إنسان من أصل تسعة مليارات.



في تقرير اليونسيف السنوي أفريقيا أخطر مكان لحياة الأطفال

أفاد صندوق الأمم المتحدة لرعاية الطفولة «يونسيف» أنه رغم قطع خطوات كبيرة على طريق القضاء على مرض شلل الأطفال، فإن الصروب والفقر يعوقان تحقيق النجاح النهائي بحلول عام ٢٠٠٠م.

وقالت مديرة الصندوق كارول بيلامي في معرض تقديمها التقرير السنوي الجديد للصندوق «نحن على وشك أن نودع سلة التاريخ مرض شلل الأطفال الذي طالما روع المجتمعات ودمر حياة نفوس بلا حصر».

واستطردت بيلامي «لكن الصراعات الأهلية الدائرة في أسكن مثل أنجولا وجمهورية الكونغو الديمقراطية تهدد حملة مكافحة شلل الأطفال ونحن نقرب من خط النهاية».

ويقول تقرير «تقدم الأمم في ١٩٩٩م» إنه ورغم ذلك انخفض عدد حالات الإصابة بالمرض بنسبة ٨٦ في المائة من ٣٥ ألف حالة إلى خمسة آلاف فقط منذ أن بدأت منظمة الصحة العالمية حملات التطعيم في ١٩٨٨م وتحنو حذوها الآن اليونسيف ومنظمات

أخرى وشرحت بيلامي كيف جاب موظفو الصحة الصحاري وخاضوا غمار المياه وامتطوا ظهور الإبل وركبوا القوارب والدراجات لتسليم جرعات المصل الواقي من المرض، الذي يؤخذ عن طريق الفم.

مجلس الأمم المتحدة الاقتصادي والاجتماعي يدعو إلى استئصال الفقر في العالم

تزال تجمع بين أسوأ الأمور: الفقر والنزاعات المسلحة بأعداد كبيرة. من جهة أخرى، تمنى المجلس الاقتصادي والاجتماعي الذي يرغب في أن يضطلع بدور المجلس الاقتصادي لمجلس الأمن الدولي، وضع خطة طويلة الأمد من أجل هايتي.

طفل مصري كل ٢٤ ثانية

بلغ عدد سكان مصر في أحدث إحصاء سكاني ٦٣ مليوناً و ٩١٥ ألفاً و ٣١٩ نسمة من بينهم مليون و ٩٠٢ ألف من الهجرة المؤقتة العاملة خارج مصر وذلك في أول يناير الماضي. وأعلن ايهاب علوي رئيس الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، في مؤتمر صحافي، أن عدد سكان مصر يزيد بمعدل طفل واحد كل ٢٤ ثانية وبمعدل ٣٥٢٧ يوماً و ١٠٧ آلاف و ٢٩٠ نسمة كل شهر.

اختتم مجلس الأمم المتحدة الاقتصادي والاجتماعي دورته السنوية في جنيف بعد أعمال استغرقت شهراً، بتوجيه نداء لاستئصال الفقر في العالم.

وعرض رئيس الدورة السفير الإيطالي باولو فولتشي عشرة «أهداف استراتيجية» لاستئصال الفقر يفترض ألا تتجاوز كلفتها الإجمالية ٤٠ مليار دولار سنوياً أي «عشر ما تدره تجارة المخدرات غير الشرعية» على حد تعبيره.

ومن بين هذه الأهداف التقليدية توفير الغذاء، عبر مكافحة سوء التغذية والحق في الحصول على خدمات صحية وعلى التربية والخدمات الاجتماعية.

وأضاف: أنه عبر الطلب من الدول المتطورة تخصيص ٠,٧ في المائة من إجمالي الناتج القومي سنوياً، «يمكننا أن نخفض الفقر بنسبة النصف في العالم بحلول العام ٢٠١٥».

ودعا المجلس أيضاً إلى اهتمام عالمي أكبر بالقارة الأفريقية التي لا

اتساع الهوة بين الأغنياء والفقراء يهدد الديمقراطيات الناشئة



قال تقرير جديد للأمم المتحدة بشأن أوروبا الشرقية إن الرجال الروس يموتون في منتصف العمر بمعدلات تدعو إلى القلق منذ انتهاء الشيوعية.

وقال برنامج التنمية التابع للأمم المتحدة في تقرير له: «إن سنوات التحول كانت قاتلة بمعنى الكلمة لعدد كبير من الناس».

وأدت عملية تحول الاقتصاديات من الاشتراكية إلى الرأسمالية إلى زيادة معدلات الفقر والبطالة والجريمة والانتحار مع انتهاء الرعاية الاجتماعية الحكومية للفرد من المهد إلى اللحد ولا سيما الرعاية الصحية الملأمة.

وحذر التقرير المؤلف من ١٠٠ صفحة من أن اتساع رقعة الفقر وتزايد الهوة بين الأغنياء والفقراء في دول الكتلة السوفييتية السابقة يهدد الديمقراطية.

وعلى الرغم من تزايد العمر الافتراضي في بقية العالم فمازال العمر الافتراضي للإنسان كما هو أو نقص في معظم الدول الثلاث والعشرين التي شملها المسح في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفييتي السابق باستثناء جمهورية التشيك وأوزبكستان، ولكن معدلات المواليد تناقصت في كل هذه الدول منذ عام ١٩٨٠م.

وكانت أكثر الإحصاءات شداً للانتباه هي انخفاض العمر الافتراضي للرجل الروسي فيما بين عامي ١٩٨٠م و ١٩٩٥م وهو أدنى معدل في المنطقة ويتوقع أن يعيش الرجل الروسي المتوسط ٥٨ عاماً أي أقل عشر سنوات عن نظيره الصيني.

ه جرائم قتل «زوجية» في ألمانيا كل أسبوع

مصادر الشرطة الألمانية إحصاءات عن عدد الجرائم الزوجية والجرائم المرتكبة في إطار العائلة الواحدة في عموم ألمانيا.

ويتضح من الإحصائية أن عدد الجرائم المرتكبة في إطار العائلة الواحدة يشكل الجزء الأكبر من جرائم القتل التي بلغت ١٣٠٠ جريمة عام ١٩٩٧م، فنسبة الجرائم بين أفراد العائلة الألمانية ترتفع إلى نحو ٤٠٪ من جرائم القتل، علماً أنه لم يحتسب عدد المحاولات وإنما عدد الجرائم التي ارتكبت وأدت إلى موت أحد أفراد العائلة.

ضحيتهما امرأتان ألمانيتان، إن قام رجل ألماني من مدينة ميونيخ بقتل زوجته النائمة طعنًا بسبب خلاف حول إرث، وطعن رجل آخر من مدينة بامبيرغ زوجته في قلبها كي يتسع له المجال للسياحة مع صديقته في الخارج، وتشير الإحصاءات إلى أن ما معدله خمس جرائم قتل يرتكبها الأزواج ضد زوجاتهم أو بالعكس أسبوعياً في ألمانيا.

وفيما انشغلت صحافة بافاريا بعرض تفاصيل الجرائم وأسبابها نشرت

طالب الادعاء العام في محكمة ريجنسبورغ بإنزال عقوبة الحبس لمدة عشرة أعوام بحق المهندس ديتير هولتز ٦٤ عاماً بسبب إقدامه في مارس ١٩٩٨م على قتل زوجته بسكين المطبخ، وقال قاضي المحكمة كونراد دينجلر إن لجريمة التي نفذها هولتز ضد زوجته تجري مع الأسف كل يوم في ألمانيا ويشكل يتطلب تدخل القضاء بهدف وضع حد لتفاقم هذه الظاهرة، وجاء تعليق القاضي على طلب الادعاء العام بعد ورود أنباء جريمتين أخريين حدثتا في ولاية بافاريا وارحت

زيادة ديون الدول النامية إلى ٢,٢ تريليون دولار



يشهد العالم استقطاباً مطرداً بين الأغنياء والفقراء سواء بين الدول أو داخلها، ويشكل الفقر وسط الوفرة مشكلة متزايدة تنطوي على أخطار كبيرة بالنسبة للغرب وللعالم.

ويقول جيمس سميث في «الهيرالد تريبيون» إنه انخفضت حصة الفرد من الداخل في أكثر من ١٠٠ بلد خلال الأعوام الخمسة عشر الماضية، كما انخفض الاستهلاك الفردي بنسبة تقارب الواحد في المائة سنوياً في أكثر من ٦٠ بلداً.

وخلال العامين المقبلين ستحدث زيادة حادة في عدد الفقراء في شرق آسيا من ٤٠ مليوناً إلى ١٠٠ مليون إذا استمر الاتجاه الراهن، وسوف يرتفع عدد الإندونيسيين الذين يعيشون على أقل من دولار واحد في اليوم من ١٣ مليوناً عام ١٩٩٧م إلى ٣٤ مليوناً خلال العام الحالي. ولذلك، فإن هناك خطراً حقيقياً في أن هذه الطبقة الدنيا الهائلة في العالم ستقوض الاستقرار العالمي.

وكان يتوقع لأفريقيا أن تحقق في عام ١٩٩٨م نمواً اقتصادياً يتجاوز ٤ بالمائة ولكنه كان في الحقيقة أقرب إلى ٢,٢ بالمائة، وفي أمريكا اللاتينية انخفضت توقعات النمو من ٥,٢ بالمائة قبل الأزمة المالية العالمية إلى ٤,٦ في المائة لعام ١٩٩٩م.

وفي الوقت نفسه، أدى انهيار الاتحاد السوفييتي إلى إفقار نحو ١٥٠ مليون شخص. ومن أصل ٤,٤ مليارات شخص في البلدان النامية يعيش ثلاثة أرباعهم في مجتمعات تفقر إلى المنشآت الصحية الأساسية، ويشرب ثلثهم

مياه غير نظيفة، ويفتقر ربعهم إلى سكن كاف ويعاني خمسهم من سوء التغذية. كما أن ١,٣ مليار شخص يعيشون على أقل من دولار يومياً، ويتوقع أن ثلث سكان البلدان الأكثر فقراً، خصوصاً الواقعة جنوب الصحراء الكبرى، سيموتون قبل سن الأربعين. ومن أجل ذلك يتعين على البلدان الصناعية أن تبادر قبل كل شيء إلى تقليص عبء البلدان النامية من الديون الخارجية، التي يبلغ إجماليها حالياً أكثر من ٢,٢ تريليون دولار والتي يشكل الدين الحكومي طويل الأجل ثلثها.

ويجب أن تكون هناك برامج خاصة تتصدى لتحديات الأسواق قبل - الناشئة حيث أنظمة البنوك والإشراف وإمكانات الإدارة أقل تطوراً بكثير مما هي عليه في آسيا. وتقوم منظمات دولية مثل برنامج التنمية التابع للأمم المتحدة بحشد الإرادة السياسية =الدولية من أجل تخفيض الديون وتحسين قدرة البلدان الفقيرة على إدارة ديونها وسماحتها على تحويل مواردها من الديون إلى التنمية الاجتماعية.

وتتفق الدول الأفريقية الأشد فقراً على خدمة ديون خارجية تبلغ ٢٠٠ بليون دولار أكثر مما تنفق على قطاعات الصحة والتعليم لنحو ٢٠٦ ملايين طفل. ووضعت اليونسيف في تقرير ١٩٩٩م «مقياس الخطر على الأطفال» لقياس معدل الوفيات بين الأطفال دون سن الخامسة وحالات انخفاض الوزن المعتدل أو الخطير، ومعدل الالتحاق بالتعليم الأولي إلى جانب مخاطر الإيدز والصراعات المسلحة، وكلما ارتفع المؤشر كان معنى ذلك أن الأطفال أسوأ حالاً.

ووفقاً لهذا المقياس، ظهر أن أسوأ الأطفال حالاً في أفريقيا، وإن أشد الدول خطراً بالنسبة لهم هي أنجولا (٩٦) وسيراليون (٩٥) والصومال (٩٢) وأثيوبيا (٨٥) وغينيا بيساو والنيجر (٨٠) ثم الكونغو الديمقراطية (٧٦).

وفي الشرق الأوسط وشمال أفريقيا كان الأطفال أكثر عرضة للخطر في السودان (٥٩) واليمن (٤٩) والعراق (٣٩) والجزائر (٣٦).

اليتامى .. ضحايا الإيدز

وأفاد التقرير أيضاً أن مرض نقص المناعة المكتسب «إيدز» اجتاح الدول النامية بمعدل ١٦ الف حالة جديدة يومياً، مما زاد من عدد اليتامى إلى عشرة ملايين شخص.

وفي أوغندا يوجد على سبيل المثال ١,١ مليون طفل يتيم وهو ما يمثل ١١ في المائة من إجمالي الأطفال هناك، مقارنة بآيتام الدول الصناعية الذين لا تزيد نسبتهم عن واحد في المائة فقط.

وأشار التقرير إلى تردي أحوال الأطفال على نحو خطير في الدول النامية مقارنة بالدول المتقدمة.

فالطفل يولد في الدول النامية ونصيبه من الدين القومي ٤١٧ دولاراً،



من هدي رسول الله

عن أنس . رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :
« فعدوة في سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها ،
متفق عليه .

من هدي كتاب الله

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم
وليمكّن لهم دينهم الذي ارتضى وليبدلّهم من بعد
خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك
فأولئك هم الفاسقون)
النور: ٥٥ .

من اصطلاحات المحدثين

- إذا قالوا متفق عليه: يعني رواه البخاري
ومسلم، وكذلك إذا قالوا: أخرجه الشيخان.
- إذا قالوا: رواه الأربعة: يريدون الترمذي
وأبو داود والنسائي وابن ماجه.
- إذا قالوا رواه الثلاثة: فإنهم يريدون
الأربعة السابقين ما عدا ابن ماجه.
- إذا قالوا رواه الستة: فإنهم يريدون
أصحاب السنن الأربعة والبخاري ومسلم.

من الأسماء العربية

- خالص: صاف أبيض لا غش فيه.
- خبير: عالم بالأمر وعارف بالخير.
- خزيمة: تصغير خزّام وخزّام وهو نبت
طيب الأزهار أو هو ناظم اللؤلؤ.

ثلاثة

- قال الأحنف بن قيس:
- ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة: شريف من
دنيء، وير من فاجر، وحليم من أحمق.

مخالفة الهوى

- قال عتبة بن أبي سفيان: إذا اجتمع في
قلبك أمران لاتدري أيهما أصوب، فانظر
أيهما أقرب إلى هواك فخالفه، فإن الصواب
أقرب إلى مخالفة الهوى.

أقوال وحكم

قال أبو الدرداء: ثلاث لا يحبهن غيري: أحب الموت اشتياً إلى
ربي، وأحب المرض تكفيراً لخطيئتي، وأحب الفقر تواضعاً لربي،
فذكر ذلك لابن شبرمة فقال: ولكني لا أحب واحدة من الثلاث:
أما الفقر فوالله للغنى أحب إليّ منه لأن الغنى به توصل الرحم،
ويحج البيت، وتعشق الرقاب، وتيسط اليد بالصدقة، وأما الموت
فوالله ما يمنعنا من حبه إلا ما قدمناه، وسلف من أعمالنا
فنتستغفر الله.

سأل ملك وزيره فقال: ما خير ما يرزقه العبد؟ قال: عقل
يعيش به. قال: فإن عدمه؟ قال: أدب يتحلى به.
قال: فإن عدمه؟ قال: مال يستره. قال: فإن عدمه؟
قال: فصاعقة تحرقه وتريح منه البلاد والعباد!

محاورة

الأغنياء أفضل أم العلماء؟

قيل لأحد الحكماء: الأغنياء
أفضل أم العلماء؟
قال: العلماء.
قيل له:
فما بال العلماء يأتون أبواب
الأغنياء أكثر مما يأتي الأغنياء
أبواب العلماء؟
قال:
ذلك لمعرفة العلماء بفضل المال
وجهل الأغنياء بفضل العلم.

الفرج من الله

يا صاحب الهم إن الهم منفرج
أبشر بخير فإن الفرج الله
الأيأس يقطع أحياناً بصاحبه
لا تياسن فإن الكافي الله
الله يحدث بعد العسر ميسرة
لا تجزعن فإن الصانع الله
إذا بليت فتق بالله وارض به
إن الذي يكشف البلوى هو الله
والله ما لك غير الله من أحد
فحسبك الله في كل لك الله

الدنيا

سئل رجل عن الدنيا فقال: «ما أصف من دار أولها عناء، وآخرها فناء، وفي حلالها حساب، وفي حرامها عقاب، من أمن فيها سقم، ومن مرض فيها ندم، ومن استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن، ثم إن الدنيا دار لمن صدقها ودار غنى لمن تزود منها، مسجد أبينا آدم ومحيط ومتجر أوليائه، فاكتبوا منها الرحمة وادخروا منها الجنة».

في مغفرة الرب

قال الفضيل بن عياض: قال إبليس: يا رب الخليفة تحبك وتبغضني، وتعصيك وتطيعني، فقال الله سبحانه: لأغفرن لهم طاعتهم إياك يبغضهم لك ولأغفرن لهم معصيتهم إياي بحبهم لي.

مؤنثات مجازية

يستدل على التأنيث المجازي بضمير المؤنث، أو شارته أو لصوق التاء بفاعله مثل: هذه الشمس رأيتها طلعت، وظهور التاء في تصغيره كالتنية، أو حذفها من اسم عدده كأربع أذان والمؤنثات المجازية الفاظ محصورة سمعت عن العرب فيقتصر عليها ومنها:

- جهنم: وهي علم على النار التي يعذب الله بها العصاة من عباده ولا تصرف قال تعالى: (فجزاؤه جهنم خالداً فيها).
- الحجيم: وهي النار الشديدة التلجج قال تعالى: (فإن الحجيم هي المأوى).
- السعير: هي النار قال تعالى: (وسيصلون سعيراً).
- سقر: وهي جهنم واسم من أسماء النار، معرفة ممنوعة من الصرف قال تعالى: (وما أدراك ما سقر لا يبقى ولا قدر).
- الأرض: مؤنثة وجمعها: الأرضون، قال أبو زيد: وسمعت العرب تقول في جمع الأرض: الأرضي والأروض كفلوس وجمع فعل على فعال من أرض وأراض وأهل وأهال وليل وليال بزيادة الياء على غير قياس.
- العقاب: طائر من الجوارح معروف، جمعها: أعقب وعقبان.
- العنز: الأنثى من المعز إذا أتى عليها حول وهي أيضاً الأنثى من الطباء، وجمعها أعنز وعنوز.

ثلاثة عيوب

ثلاثة عيوب من كُنَّ فيه:

البغي: قال تعالى: (يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم) والمكر السيء: قال سبحانه وتعالى: (لا يحيق المكر السيء إلا بأهله)، والنكث: قال سبحانه وتعالى: (فمن نكث فإنما ينكث على نفسه).

من أراد

- من أراد زادا فالتقوى تكفيه.
- ومن أراد عزاً فالإسلام يكفيه.
- ومن أراد عدلاً فحكم الله يكفيه.
- ومن أراد أقبساً فذكر الله يكفيه.
- ومن أراد جليسا فالقرآن يكفيه.
- ومن أراد واعظاً فالموت يكفيه.
- ومن أراد غنى فالقناعة تكفيه.
- ومن أراد زينة فالعلم يكفيه.
- ومن أراد جمالاً فالأخلاق تكفيه.
- ومن أراد راحة فالآخرة تكفيه.
- ومن لم يكفه كل هذا فالنار تكفيه.

بال الثعلب

فاسلم باو ذر !!

كان أبو ذر الغفاري رضي الله عنه يعبد صنماً في الجاهلية لا يفارقه في حضر ولا سفر فخرج يوماً إلى السفر وقال:

أيها الصنم احفظ متاعي، فلما ذهب جاء الثعلب وبال على الصنم، فلما رجع أبو ذر وجد الصنم مبتلاً فقال:

واعجباً!! السماء لم تمطر فمن أين جاء هذا البلبل؟ فتبين أن الثعلب بال عليه، فرمق السماء بطرفه وقال:

أرب يبول الثعلبان برأسه
لقد نل من بالث عليه الثعلاب
فلو كان رياً لكان يمنع نفسه
فلا خير في رب نأته المطالب
برنت من الأصنام في الأرض كلها
وامنت بالله الذي هو غالب

أمثال إيطالية

- يدفع الجندي من دمه ثمن شهرة قائده.
- كل طحان يجر الماء إلى طاحونه.
- تعلن الحرب عندما نريد وننتهيها عندما نستطيع.
- المصيبة تجر أخرى.
- من يعيش أملاً يمت رغباً.
- من يتكلم يزرع ومن يصمت ينضح.
- أسوأ اللصوص كتاب تافه.
- كلما استنبت قانون جديد استنبتت طريقة للتخلص منه.



هاتف مباشر
خدمة الفتوى

149

هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الفتاوى والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها إلى أهل الاختصاص للإجابة عليها. ويسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الأسئلة الفقهية مباشرة من الساعة ٨ صباحاً إلى الساعة ١٢ ظهراً ومن الساعة ٤ عصراً إلى الساعة ٨ مساءً على الهواتف التالية :

إذا كان واقع الحال كما هو في السؤال، من أن الشركة لا تترك لهم مجالاً للصلاة، وتفرض عليهم مواصلة العمل، فيجوز لهم الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء، ولكن إذا أمكنهم أن يصلوا في الوقت فلا يجوز لهم تأخير الصلاة حتى يخرج وقتها، ويستوي الحال في رمضان أو في غير رمضان، والله أعلم.

عرض على اللجنة السؤال التالي:

نحن موظفون في شركة، هل يجوز لنا الجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء، لأن الشركة لا تترك لنا مجالاً للصلاة وتفرض علينا مواصلة العمل، وكذلك لا نعطي وقتاً في رمضان للصلاة والإقطار، افتونا ماجورين.

- أجابت اللجنة:

من أسباب جمع الصلاة

التكلم في الصلاة

- أجابت اللجنة بما يلي:

هذه الصلاة فاسدة لأمرين: خروجه منها بالتسليم وبكلامه بقوله «نعم»، وعليه أن يعيدها، أما القاعدة العامة في البناء على الصلاة عند من أجازها من الفقهاء وهم الحنفية فهي أن يسبقه حدث كرعاف، أو ناقض للوضوء غير متعمد، فيذهب للوضوء ويعود ليبنى على ما صلى، شريطة ألا يأتي بمناف للصلاة، ككلام، أو كشف عورة، أو انحراف عن القبلة، إلا لضرورة في هذا الأخير. والله أعلم

عرض على اللجنة السؤال التالي:

مسلم كان في الركعة الأولى، فطرق الباب، فأجاب الطارق بعد طرقتين بكلمة «نعم» وفتح له الباب، ثم عاد أدرك الركعة الثانية في قراءة الفاتحة، ولم يعد الركعة الأولى، فهل الصلاة تامة؟ علماً بأن المصلي عندما خرج من الركعة الأولى خرج بتسليم وعندما عاد إلى الصلاة كبر للتحريم، وما القاعدة العامة في البناء على الصلاة عند قطعها مثل هذه الحالات؟

الجمع بين الصلوات زكاة العقار والأراضي

عرض على اللجنة السؤال التالي:

رجل يقوم بشراء الأراضي والبناء عليها بقصد بيعها، ثم بعد انتهاء البناء والبيع يقوم الرجل بسداد تكاليف البناء، ثم يخرج زكاتها، فهل هذه الطريقة صحيحة أم لا لإخراج الزكاة؟ مع العلم أن مدة البناء تستغرق عدة سنوات؟

- أجابت اللجنة:

إن على هذا الرجل أن يحدد موعداً سنوياً لإخراج الزكاة، فيصحب قيمة الأراضي وما عليها يوم وجوب الزكاة، ويضم إليها ما لديه من الأموال الزكوية، ويسقط منها ما عليه من الديون، ثم يخرج زكاته بنسبة ٢,٥٪. والله أعلم

- وعرض على اللجنة السؤال التالي:

هل زكاة العقار تكون من رأس المال أم من الإيراد؟

- أجابت اللجنة:

إنه إذا اشترى العقار بقصد التجارة فهو من العروض التجارية، يضمن في يوم الزكاة بسعره القائم وتخرج زكاته، أما إذا اشترى بقصد الاستثمار أو السكنى فليس في قيمته زكاة، والزكاة على وارد المأجور أو المزرع. والله أعلم

عرض على اللجنة الاستفتاء التالي:

شخص كبير السن وقد ناهز المائة عام، ويجد صعوبة في استعمال الضوء لكل صلاة ورخاوة في البول، فهل يجوز له أن يجمع بين الصلوات كصلاة الظهر مع العصر أو صلاة المغرب مع العشاء، إما تقديماً أو تأخيراً؟ جزاكم الله خيراً

- أجابت اللجنة:

الأولى لمن هذه حالته أن يجمع الجمع الصوري بأن يؤخر الظهر إلى أن يقرب وقت العصر، بحيث يتوضأ ويصلي الظهر قبل دخول وقت العصر، ثم يصلي العصر بعد دخول وقتها، وكذلك يفعل بالنسبة لصلاة المغرب والعشاء، والله أعلم

بيع الذهب بالذهب بزيادة نقدية

عُرِضَ على اللجنة الأسئلة التالية:

١ - ما حكم من يشتري مصاغ ذهب جديد بمصاغ ذهب قديم مع زيادة نقدية؟ علماً أن المصاغين متماثلان وزناً وموضحين ما يلي:

إن الجاري في تجارة الذهب أن التاجر الذي يشتري مصاغاً جديداً يدفع فيه قيمة وزن الذهب، كما هو سعره في السوق، وأيضاً قيمة الصياغة، وهي هنا الزيادة التي يأخذها بائع المصاغ الجديد، فهل هذا البيع جائز أم يدخل في النهي الوارد في الأحاديث المعروفة في هذا الباب؟

- أجابت اللجنة بما يلي:

إن هذا البيع المشار إليه في السؤال يدخل في النهي الوارد عن بيع الذهب بالذهب متفاضلاً، والطريقة الصحيحة لمثل هذه المبادلة التي يجري العمل بها هي:

بيع الذهب غير المصوغ بالعملة النقدية ثم شراء الذهب المصوغ بالعملة النقدية أيضاً أي لا بد من إجراء عقدين منفصلين، وقد ورد في نحو هذه المعاملة في عهد الرسول ﷺ فقد روى ما نصه «أن رسول الله ﷺ استعمل رجلاً على خبير فجاءه بتمر جنيب، فقال رسول الله ﷺ أكل تمر خبير هكذا؟ قال: لا والله يا رسول الله: إنا نأخذ الصاع من هذا بالصاعين، والصاعين بالثلاثة، فقال رسول الله ﷺ: لا تفعل، بع الجمع بالدرهم، ثم ابتع بالدرهم جنبياً، رواه البخاري والجنيب هو الذي أخرج منه حشفه ورديته، وهو الذي لا يخلط بغيره، بخلاف الجمع، والجمع: هو التمر المختلط، (فتح الباري ج ٤ ص ٣٩٩ حديث رقم ٢٢٠١، ٢٢٠٢) ولا بد من التقابض في المجلس، والله أعلم.

ب - هل التماثل في المصاغات الذهبية يكون في الوزن فقط أو أن التماثل ينبغي أن يكون كذلك في نوع القطعة نحو قلادة، سوار، خاتم، وكذلك في عيار الذهب نحو ذهب عيار ١٨، ٢١، ٢٤... إلخ؟

- أجابت اللجنة بما يلي:

إن التماثل في بيع الذهب بالذهب سواء كان مصوغاً أو غير مصوغ العبرة فيه بالوزن، فقط، ولا ينظر إلى نوع القطعة المصوغة، كما لا ينظر إلى عيار الذهب ما دام الذهب هو الغالب كالعيارات المشار إليها في السؤال، فإن صار الذهب مغلوباً كعيار (١١) فما بونه فيعتبر نوعاً آخر بحسب المعنى الغالب فيه، إذ العبرة للاكثر، والحل الشرعي في مبادلة هذه الأنواع من الحلي أو العيارات المختلفة، بعضها ببعض هو ما سبقته الإشارة إليه في جواب السؤال الأول من بيع النوع الأدنى بالنقد، ثم شراء النوع الأعلى بالنقد أيضاً مع الأخذ في الاعتبار وجوب التقابض في المجلس، والله أعلم.

ج - ما حكم من يسعر بسعرين مختلفين لمصاغ ذهب واحد، فمثلاً إذا أراد بائع المصاغ أن يأخذ قيمة المصاغ تقدماً يكون السعر المعطى له أقل مما لو أراد بائع المصاغ أن يشتري بثمن مصاغه مصاغاً آخر، حيث يكون السعر المعطى أكثر، فهل يجوز هذا؟ وهل هذا هو المراد في البيعتين ببيعة؟

- أجابت اللجنة بما يلي:

إن كان المراد من هذا السؤال تطبيق ما عليه العمل من بيع المصوغ بمصوغ آخر مع فرق في الثمن فهذا ما تقدم منعه إلا عن طريق البيع بالعملة النقدية ثم الشراء بالعملة النقدية، وقد سبق بيان الحكم الشرعي فيه.

أما إن كان المراد شراء المصوغات القديمة بسعر أعلى إذا كان البائع يريد شراء مصوغ جديد فيما بعد، وشراؤها بسعر أدنى إذا كان لا يرغب فيما بعد شراء مصوغ جديد فهذا التفاوت جائز بشرطين:

أولاً: أن يتم ذلك بعقدين مستقلين.

ثانياً: أن تكون هذه الرغبات مساومة قبل العقد، وأن يقع العقد على سعر واحد، وإلا كان من

«بيعتين فيبيعة، وعلى جميع الأحوال لا بد من التقابض في المجلس، والله أعلم»

بيع وشراء الأسهم

١ - هل يجوز البيع والشراء في الأسهم المتداولة في بورصة الكويت والمضاربة بها، علماً بأن هذه الشركات صناعية كانت أو عقارية تودع بعض أموالها في البنوك، وتأخذ عليها فوائد، أو تقترض من البنوك بفائدة لتكتمل مشاريعها؟

٢ - الشركات السالفة الذكر تدفع أرباحاً سنوية للمساهمين وفيها نسبة من فوائد البنوك داخلية ضمن أرباح هذه الشركات، فما حكم هذه الأرباح وأين تنفق؟

ج - توزع الشركات المساهمة سنوياً أسهم منحة من الشركة بقيمة اسمية أو رمزية مقدارها دينار، علماً بأن هذا السهم يقدر في السوق بانخفاض قيمته، علماً بأن هذا السهم الموزع على المساهم كمنحة مجانية له من الشركة دخل ضمن قيمته الاسمية، فما حكم هذه الأسهم؟ وهل تجوز المضاربة بها والانتفاع بأرباحها أم لا؟

د - هل يجوز بيع الأسهم بالأجل؟
- ويعد عرض الموضوع على اللجنة أجابته بما يلي:

(أ) إن الشركات التي ليس عملها الأساسي التعامل بالربا أو المحرمات فلا مانع من التعامل معها أو المساهمة فيها، أما إن كان عملها الأساسي التعامل بالربا أو المحرمات فتحرم المساهمة فيها، أما إذا تعاملت بالربا إرضاءً فعلى المساهم أن يتخلص من الربح الذي أصابه من هذا السبيل بإتفاقه بأي عمل من أعمال الخير، بشرط أن لا يقضي به ديناً، وأن لا يبني به مسجداً، وأن لا ينقله على أهله، ولا يحتسبه من الزكاة، أما إن كانت الشركة تقترض بالربا فإن كان الاقتراض لضرورة أو حاجة ملحة فلا إثم على الشركة، وإنما الإثم على منقرض بالربا ويكون الإثم مضاعفاً.

وإن كان الاقتراض لغير ذلك فيكون شريكاً في الإثم إذا أقرت الشركة على هذا التصرف، وعليه أن يعمل على التخلص من هذه المعاملة الربوية.

ج - لا مانع شرعاً من أن توزع الشركة أسهماً على مساهمها مع ملاحظة أن يكون أصل هذه الأسهم من كسب حلال، وتجوز التجارة بها وبيعها وشراؤها إذا كان مصدرها حلالاً، حتى ولو بيعت بأكثر من ثمنها الرمزي.

د - السهم ما هو إلا جزء شائع في شركة وبيع الشاع جائز سواء كان حالاً أو مؤجلاً.

يكاد الإسلام يولي أمر القوة والبأس اهتماماً خاصاً، فليس من عجب إن وجدناه يكره الضعف بجميع أشكاله ويعتد العجز بكل أنماطه وعلى كل مستوياته، فلم يرض للمسلم البتة في يوم من الأيام أن يكون طرفاً ضعيفاً واهناً، بل يرضاه معتداً بكل مظاهر القوة معتزاً بها، رافضاً لكل مواطن الضعف والعجز واليأس، وسر ذلك أن الإسلام يعلم أن هناك أعداء يتربصون به الدوائر ويفرحون بما يصيبه من فجاجع لينالوا منه ويصيبونه في مقتل، ومن أجل هذا كانت البيئة الصحراوية القاسية هي موطن هذا الدين ومهدده ليكون ذلك رمزاً للقوة والمشقة.

إنما الإسلام في الصحراء امتهد ... ليجيء كل مسلم أسد

القوة القوة

نعم يريد الإسلام أسداً لكي يركب الصعب والذلول ويتجشم الحزون والسهول ويقطع الفيافي والقفار ويسلك البر والبحر فلا غرو أن يوصي القرآن الكريم أتباعه بإعداد القوة وأخذ العدة (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل)، وولفت الأنظار إلى أن في الحديد بأس شديد ومنافع للناس ليكون المسلم مسيطرأ بالقوة في أوقات السلم

والحرب، فتراه يشير إلى استخدام الصناعات العسكرية الثقيلة بقوله: (فيه بأس شديد)، ثم يشير إلى الصناعات المدنية بقوله: (ومنافع للناس)، فيكون المسلم حارساً أميناً بقوته على مقدرات الأرض، عادلاً بين الشعوب، يعدل بميزان الله الذي لا يظفي وليس هذا فحسب، بل إن إدراك التعاليم والأخذ بها على النحو الأمثل يحتاج إلى قوة (يا يحيى خذ الكتاب بقوة) (فخذها بقوة وأمر قومك ياخذوا بأحسنها)، وإن صناعة المجد تحتاج إلى قوة نفسية وأخرى بدنية ولن يتحقق لنا ذلك القدر ما لم نترك أسباب الخلاف وموارد النزاع لكي نتوحد من جديد أمام الخطر الأكبر ولم ينس التاريخ الإسلامي أن يسجل في رائعة من روائحه (في معركة الزلاقة) عندما استغل الفونس السادس «الأذفونش» ملك الفرنجة ضعف ملوك الطوائف من المسلمين في بلاد الأندلس وقد صاروا يؤدون إليه ضريبة يصلحونه عليها حتى يأمّنوا على أنفسهم، وكان قد استولى على طليطلة عام ٤٧٨هـ، وثمة خلاف كان قد وقع بين «المعتمد بن عباد» أكبر ملوك الطوائف وبين «يوسف بن تاشفين» زعيم المرابطين فقال المعتمد بن عباد قولته الرائعة الحكيمة: «لأن يرعى أولادنا جمال المرابطين أحب إلينا من أن يرعوا خنازير الفرنج».

إنّ القشل الذريع ينشأ حتماً عن الخلاف ويؤدي في نهاية الأمر إلى ذهاب الريح وهناء القوة فهلا تدرك أمتنا ذلك وتستقرئ التاريخ من جديد لترتبط بين الماضي والحاضر والمستقبل، لعلّ الله تعالى يطلع على صدق نواياها فيمن عليها بعناية ترفع البناء إنه على ذلك قدير وهو حسبها ونعم الوكيل.



العقبة الإسلامية

شعبة جامعة إسلامية al-Waei al-Islami

On The Internet على الانترنت

e.mail: al_waei@hotmail.com

Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet



ص.ب.: ٢٣٦٦٧ - الصفاة - 13097 - الكويت - هاتف : ٢٤٨٧٢١٠ (+٩٦٥) فاكس : ٢٤٣١٧٤٠ (+٩٦٥)
P.o.Box : 23667 - Safat - 13097 - Kuwait - Tel. (+965) 24 87 210 - Fax : (+965) 24 31 740



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَنْ نَبْالُوَ الْبِرَّ حَتَّى نُنْفِقُوا مِمَّا نَحِبُّونَ

صدق الله العظيم

شارك معنا من خلال اقتنائك



بقيمة

د.ك

السهم الوقفى

ومضاعفاته



للإستفسار - هاتف: ٧٧٧ ٨٠٤

التحصيل السريع - بيجر: ٩٢٥ ٩٢٥٠

فاكس: ٢٥٣ ٢٦٦٠

السهم الوقفي

عمدة جارية... لخدمة المواطن والمجتمع



بنك مصر للأوقاف